

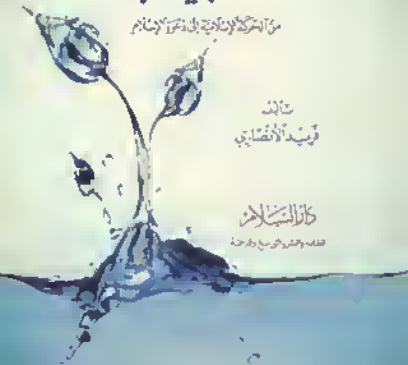
الفطرية

بعثة التجديد المقبلة

من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

تأليف
فريد الأنصاري

دار المسيلامي
طبعة وحيدة مع دواحة



الفطرية

بعثة التجديد المقبلة

مِنَ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ

تأليف

فريد الأنصاري

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كَافَّةُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّرْجُمَةِ مَحْفُوظَةٌ

لِلنَّاشِرِ

دَارُ السَّلَامِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجُمَةِ

لصاحبها

عبد الفادر محمود البكار

الطبعة الثانية

١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة للدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

الأصباري ، فريد .

القطرية بعثة التحديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى
دعوة الإسلام / تأليف : فريد الأصباري . - ط ١ -
القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
والترجمة ، [٢٠٠٩ م] .

٢٧٢ ص : ٢٤ سم .

تدليك ٨ ٧٢١ ٣٤٢ ٩٧٧

٢ - الإسلام - حركات الإحياء والإصلاح والتجديد .
١ - العنوان .

٢٢٩

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المشروع من شارع نور الدين بهجت -
الوادي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر

هاتف : ٢٢٨٧٢٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤٢٥٧٨ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فسرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع
مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ٢٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطي بحوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدنا : القاهرة : م.ب ١٦١ العويبة - الرمز البريدي ٢٢٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

ش.م.م

تأسست فدار عام ١٩٧٣ م وحصلت

على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة

أعوام متتالية ١٩٩٩ م و ٢٠٠٠ م و

٢٠٠١ م هي عضو الجائزة تترجمها لعدد

ثالث ماضي في صناعة النشر

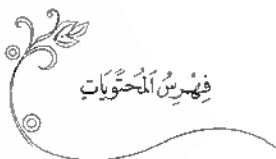
مدخل قرآني

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ يَغَيِّرُ عَلَيْهِمْ قَسْرَ
يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ لَّصِيرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَفِضْ
وَجْهَكَ لِلْبَيْنِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا
يُدْبِلُ لَخَالِقِ اللَّهِ ذَلِكَ الذِّبْتُ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينٍ إِلَهُو رَأْفَتُهُ وَأَقْبِسُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ وَكَلَامَهُمْ وَكَلَامَهُمْ
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٢٩ - ٣٢].

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



الموضوع	الصفحة
- الإهداء	٩
- خطبة الكتاب	١١
- تمهيد : في سبع مقدمات منهجية	١٩
المقدمة الأولى: بين يدي هذا الزمان ..	٢٠
المقدمة الثانية: بين يدي هذا المشروع، من « الحركة » إلى « الدعوة » ..	٢٥
المقدمة الثالثة: النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام » ..	٣٣
المقدمة الرابعة: الإنسان هو القضية!	٣٨
المقدمة الخامسة: في ولاية الله، وندير الشأن الدعوي!	٤٥
المقدمة السادسة: في السياسة والفصص الإسلامي المعاصر	٥٢
المقدمة السابعة: في أقسام مشروع الفطرية	٥٦
الفصل الأول: الفطرية مدخل إلى تأسيس القضية	٦١
البَحْثُ الْأَوَّلُ: « بعض التجديد » دراسة في المفهوم	٦٣
البَحْثُ الثَّانِي: الفطرية نقلة نوعية: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ..	٧٣
الفصل الثاني: في الفطرية: القضية والمفهوم	٨٥
البَحْثُ الْأَوَّلُ: الفطرية وفضبة الدين	٨٧

- ١٥٥ المَبْحَثُ الثَّانِي: الفطرية دراسة في الأركان والمسالك
- ١١٦ المسالك التربوية للفطرية:
- ١١٦ - المسلك الأول: الدخول في مجالس القرآن
- ١١٨ - المسلك الثاني: بلاغ الرسالات
- ١١٩ - المسلك الثالث: رباط الفطرية
- ١٤٥ الفَصْلُ الثَّالِثُ : التجديد الفطري: معالمه المنهجية وقضاياها العمرانية
- ١٤٩ المَبْحَثُ الْأَوَّلُ : في المعالم المنهجية للتجديد الفطري
- ١٥٠ - المَعْلَمُ الأول: التداول القرآني
- ١٥٢ - المَعْلَمُ الثاني: الإمامة العلمية
- ١٥٥ - المَعْلَمُ الثالث: يسر الدعوة وبساطة المفاهيم
- ١٦٠ - المَعْلَمُ الرابع: التنظيم الفطري
- ١٦٨ المَبْحَثُ الثَّانِي: التجديد الفطري وقضايا العمران البشري
- ١٦٩ - القضية الأولى: التوحيد
- ١٧٠ - القضية الثانية: العبادة. وأهم رموزها فريضة الصلاة
- ١٧١ - القضية الثالثة: المجتمع. ونواته الأولى إنما هي « الأسرة » بالمفهوم الإسلامي ...
- ١٧٤ - القضية الرابعة: علم الدين
- ١٧٥ - في تجديد المناهج العلمية: ...
- ١٧٦ - الأول: بحث الثقافة الفقهية التراثية؛ فهنا وتداولاً
- ١٧٨ - الثاني: تجديد أصول الفقه بعمقه المتعاصدي
- ١٨١ - الثالث: تجديد « أصول الفقه السياسي »
- ١٨٤ - خاتمة

١٨٧	- الملحق: برنامج الريانية، « من الكلمات إلى الرسالات »
٢٦٢	البيان الجامع
٢٦٣	المصادر والمراجع
٢٦٧	نبذة عن المؤلف

إهداء

إلى حُثَّالِ رِسَالَاتِ الْقُرْآنِ..
 السَّالِكِينَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، تَعْبِيدًا وَبَلَاغًا..
 الْمُكَابِدِينَ بِهَا مِخْرَجًا هَذَا الزَّمَانَ!
 إِلَى بَلَابِلِ الْعَالَمِيِّ الْخَضِرِ..
 الْمُرْتَلِّهِ خَوْفَهَا وَرَجَاءَهَا بِمَحَارِبِ الشَّعْرِ
 إِلَى مَلَابِغِ الْحَقُولِ الْعُثْرِ..
 الْمُورِقَةِ بِسَنَابِكِهَا لَهَيْبِ الْفَقْهِ الْمُبِينِ
 سَلَامًا وَأَمَانًا لِلْعَالَمِينَ!
 إِلَى أَجْنِبَالِ الشُّبَّانِ الصَّادِقِ الْمُؤْمِنِ..
 ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا
 إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]
 إِلَيْكُمْ سَادَنِي.. أَهْدِي هَذِهِ اللُّوْعَابِ..!

خادمكم المحب
 قَرِيبُ الْأَنْصَارِي

خطبة الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده؛ حتى أتاه اليقين.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلَمَ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَغَيَّبَ أَوْ يُتَغَيَّبَ عَلَيَّ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَفِتْنَةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ، مُقْبِلَةٍ أَوْ مُدْبِرَةٍ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَفُتْرَةِ الرِّجَالِ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فُسُوقِ الْقَلْبِ وَطُغْيَانِ الْعِلْمِ، وَمِنْ زَيْغِ الْبَصَرِ وَزَلَّةِ اللِّسَانِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ غَيْبٍ لَا تَدْمَعُ، وَمِنْ هَوًى مُطَاعٍ وَشَيْخٍ مُتَّبَعٍ، وَأَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ نَفْسِي وَهَوَايَا، وَمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ مِنْ زَوَائِلِهَا، تُجْهِئُهَا اللَّهُمَّ مِنْ طُغْيَانِيهِ وَطُغْرَوَائِي، وَأَعْصَمِيهَا مِنْ فُجُورِهَا بِنِقْوَتِهَا، وَأَلْهَمِيهَا ضَلَاخَهَا وَتَعَدَّائَهَا! أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا.

ثم أما بعد: فإن فضبة هذا الكتاب راجعة إلى إثبات أمرين اثنين:

أولهما: إثبات أن طبيعة التدافع الحضاري بين الأمة وخصومها قد دخل مرحلة أخرى من تاريخه، مرحلة ذات اختلاف كمي ونوعي؛ حيث صار الرهان الغربي اليوم قائماً على تدمير الفطرة الإنسانية في الأمة؛ بما يجعلها قابلة للابتلاع العولمي الجديد! في دينها، وأخلاقها، وفيها الحضارية، وفي سياستها، واقتصادها،

وعمرانها، وسائر غلط عيشها على الإجمال بما نعتقد أنه لم يمر مثله في التاريخ بهذا العمق، وبهذه الإحاطة والشمول! نعم، قد مرت على الأمة فن أنكى رأسدا لكن بأشكال رصور جزئية. فن مريرة - والعباد بالله - لكنها كانت تضرب من الأمة جانبا دون جانب، وتثير فضية دون أخرى، كما وقع مرارا في التاريخ، من الابتلاء بفن الخوف والجوع. أما اليوم فالخطب أدهى! وإن ساد الأمن نسبيا كثيرا من البلاد الإسلامية - والأمن العام نعمة من الله عظيمة، لا يحفرها إلا جاهل بالله أولا، ثم جاهل بالواقع والتاريخ - إلا أن الخطر الجديد مع ذلك من الناحية الحضارية أشد؛ لأنه يستهدف الوجود الشخصي للأمة بأكمله، ويحاول اجتثاثه من أصله! بوسائل أكثر تدميرا وأشد تغيرا، ربما كان الأسلوب العسكري منها أقل قوة وأهون تأثيرا. نعم؛ لن ينسكن الغرب من ذلك أبدا؛ تلك عفدنا، وليست محن الأمة اليوم إلا بشائر في طريق العودة - إن شاء الله - إلى اعتلاء موقعها الذي جعلها الله فيه ابتداء، موقع الشهادة على الناس؛ فإنما هي فن التمحيص والابتلاء: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدَلَّوْا الْبَيْسَ وَلَكِنْ بَأْيِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ عَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبِاسَةُ وَالْعَارَةُ وَأُزْلِفُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [الفرقة: ٢١٤]. ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ مِنْ سُورَةٍ وَلَا يَرُؤُا إِلَاسًا عَنِ الْقُوَى الْمُجِيبِينَ﴾ [سورة: ١١٠]. وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ يُغْطِئُوا وَجْهَ رَبِّهِمْ بِالْمُنَى وَيُكَفِّرُوا بِهِ لَوْلَا إِذْ سَأَلْتَهُمْ لَظَهَرَ عَلَيْهِمْ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ وَنُزُلُ الْمُنَى فِيهَا الْمَلَأَتْ سُورُ الْمُنَى مِنَ الْمُنَى يُخْرِجُونَ مِنَ الْمُنَى صِغَارًا تَمْشِي فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْنِىَّةِ وَالْغَمَامُ خَالٍ مِنَ الْمُنَى﴾ [الصافات: ٩٨]. وبعض أهل العلم المعاصرين يرون أن الظهور على «الدين كله» إنما يكون بعالية الإسلام التي سننحرف في هذا العصر.

ومن هنا نوانرت المبشرات عن رسول الله ﷺ بظهور هذا الدين على الأرض كلها، ويكفينا من ذلك هذا الخبر النبوي الصحيح الملبح، الذي يرويه الصحابي الجليل تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لنبلغن هذا الأمر ما بلغ اللبل والنهارة ولا تنرك الله بيت فذر ولا زبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزنا بعز الله به الإسلام، ودلا بذل الله به الكفر» ^(١) ويبدو أن العالم مهبا

(١) رواه أحمد وأحمد والحاكم وابن مته عن غيم الداري مرفوعا؛ قال: صحيح الإسناد. كما رواه ابن حبان والحاكم، والبيهقي، والطبراني في الكبير، كلهم عن المفضل عن الأسود. وصححه الشيخ شبيب الأرناؤوط في =

لهذا اليوم أكثر من أي وقت مضى، رغم ما يكتنف واقع المسلمين من محن وفتن. لكن عبارة (حتى) التي في آية البقرة لها حقيقتها؛ إذ لا يتحقق ما بعدها من فُرَج إلا بما قبلها من ضيق وحرج، وهي في هذا العصر فتنة شديدة ومحنة مريرة، لها دورتها ولها إبانها، ظلمات من الشبهات والشبهوات ذات طبيعة أخرى، نعصف بفطرة الإنسان المسلم اليوم ورغبنا وزهينا، بما هو فرد ووطن وأمة فنحطم دوحته ونمسخ هويته بنشئ الوسائل الثقافية، والتعليمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإعلامية، والسياسية، والعسكرية... الخ؛ لنحط به في ذك اليهيج الخرساء، عبداً حسبنا لطاغوت الغفلة. ظلمات لن نخرج هذه الأمة منها بسهولة، وضحاياها - كما نرى اليوم - في العالم الإسلامي كثير.

وما هنا مدخل المعركة، إن التحدي قائم اليوم على تحرير الإنسان المسلم - فرداً وأمة - من أغلال الاسترقاق الغفلي، عبدة وثقافة واجتماعاً واقتصاداً. لقد فقد المسلم اليوم كثيراً من خصائصه الفطرية - بما هو عبد خالص لله - وكاد يصير جزءاً من منظومة الآخر الحضارية، لكن على شكل ذرة نافذة تدور على الهامش بخادماً غير مخدم، ومستهلكاً غير منتج! ومفعولاً به غير فاعل! تماماً على وزن هذا الحديث النبوي الرهيب، من قوله عليه الصلاة والسلام: « يُوَسِّبُكَ الْأُتَمُّ أَنْ تُدَاغِيَ غَلَبُوكُمْ كَمَا تُدَاغِي الْأَكَلَةُ إِنْ لِي فَضْغِيهَا » فقال فابِل: ومن قلة نحن نؤمن؟ قال: « بَلْ أَنْتُمْ يَوْسِبُ كَثِيرٌ وَلِكُنْكُمْ غَنَاءٌ كَفَنَاءِ السَّل! وَلَنُزْعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ غَدُوكُمُ الْمُهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَنُظِلَّنَّ اللَّهَ فِي قُلُوبِكُمُ الزُّهْنَ! » فقال فابِل: يا رسول الله، وما الزُّهْنُ؟ قال: « حُبُّ الدُّنْيَا وَتَرْكُ الرَّاهَةِ الْمُؤْتَبِ »^(١). ونلك نتيجة طبيعية لمروره عن مدار العبيدة الخالصة لله، إلى شرك الأهل والشهوات، التي ضلّت به في ظلمات الوثنية العالمية الجديدة.

والأمر الثاني: أن العمل الإسلامي المعاصر لن يمكنه الاستجابة لهذا التحدي الحضاري الجديد، إلا بتجديد نفسه هو أولاً؛ وذلك بالرجوع إلى فطرته هو أيضاً في الدين والدعوة؛ لأن الفطرة المسلوكة أو المخرومة، لن تعالج أو لن تُسَرِّج إلا بمنهاج فطري.

= تعليقه على المسند، وقال: « إسناده صحيح على شرط مسلم ». كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة. (١) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن أبي شيبة، عن ثوبان مرفوعاً وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وفي الجامع الصغير.

ولذلك كانت ورقات هذا البحث في نغريد « البطريركية »، بما هي منهاج في العمل الدعوي، قائم أساساً على أصول الفطرة، كما هي معروضة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبما هي محاولة لاستعادة دور الوحي النبوي والاجتماعي في النفس وفي المجتمع، الوحي الذي قام منهاجه الشمولي على هدف أساس، ألا وهو: نخرج نموذج « عبد الله »؛ الذي هو مناط كل شيء في الدين والدعوة على ما بفضيله « مقام العبدية » الخالصة لله، من توحيد لرب العالمين في الاعتقاد والثقافة والاجتماع والسباسة والاقتصاد، وفي سائر مجالات العمران البشري. بناءً على قوله تعالى: ﴿ بَلِ انْشَغَ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَسَلَ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ فَأَفْزَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَیْتُ الْقَدِيمُ وَلَكِن كَثُرَ الْكَافِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَآفَؤُهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿١٠٩﴾ مِنَ الَّذِينَ فَتَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا سَبْعًا كُلٌّ حِزْبٍ وَمَا لَدَيْهِمْ فِرْعَوْنٌ ﴿١١٠﴾ [الروم: ٢٩ - ٣٢].

فبعداً عن خوارم الفطرة، من مضامين الجماعات والتنظيمات والأحزاب، وبعداً عن تحزج الأسماء والمصطلحات والألقاب، وما يترتب عن هذه ونلك من تصنيفات وتغبيطات؛ نعود إلى التبع الأول في ديننا ودعوتنا، نعود إلى بساطة الإسلام، نعود إلى ربيع القرآن الصافي؛ لنسمي المعاني كما سماها الله، ونصف الحقائق كما وصفها رسول الله ﷺ، فأنحن فلوبنا لروح القرآن، عسى أن نلتقي حقائقه الإيمانية، ونترقى بمنزلة الربانية، في سبيل التخلق بمقام العبدية لله، فذلك هو باب النجاة الأخروي أولاً، وهو مذار الدين كل الدين، ثم هو مفتاح الخروج بالإنسان المسلم - فرداً وأمة - من ظلمات التيه العولمي المعاصر، ونلك هي راية التحرير الكلي من استرقاقه، من حملها واعتمض بها وصل وانصر، ومن خانها انهمز واتكسر، وكليات القرآن العظيم فاطعة بهذا المنهاج. يكفيك منها قوله تعالى في هذا السباق ذاته: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنُهَا عِبَادِيَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوجِى إِلَيَّ آتَمَاءُ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَجِدْ فَبَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [الأنبياء: ١٠٥ - ١٠٨].

فعلى هذا الأساس - بعون الله - نعرض ورفات هذا الكتاب، دون أن نحصر على الاستشثار بلفظ أو التحيز إلى فئة؛ إلا ما دل عليه سبيل القرآن، وأرشد إليه منهاج النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. منوسلين إلى ذلك - جهد المستطاع - بوسائل العلم وفواعد الشريعة حريصين على الاستفادة من نراث الأمة في هذا المجال، بدءًا بجبل القرآن الأول، أصحاب رسول الله ﷺ، ومرورًا بأتباعهم الأخبار، وبفقهائهم الأمصار، وما وُثِّقَ لهذه الأمة من منهاج في الفهم، وفواعد في الاستنباط، مما نوارثوه نوازنا كلنا، واستفراغًا معنويًا، عن الصحابة الكرام. ثم متبعين « قُصَصُ » الدعوة الإسلامية عبر التاريخ إلى يومنا هذا، غير هاضمين أي تجربة دعوية حقها، ولا منكرين لأي حركة أو طائفة فضلها. مراعين عند التنزيل للمواقف والأحكام، والنحفين لمناطات التصورات والأفهام، خصوص الزمان والمكان، من الأمة والوطن والشعب والتاريخ، وما استمر من خصوص نراثه الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي، ما لم يخالف نضًا فطعياً أو إجماعاً شرعياً. سائلين الله أن يهتينا مواطن الزلل، وأن يهتينا مزالق الضلالة والحطل.

وعليه، فإن كتابنا هذا الذي نقدمه اليوم لأهتينا وفرائنا الكرام عامة، ولأهل الشأن الدعوي منهم خاصة، عبارة عن رؤية - مواضعة - في فقه الدعوة الإسلامية، تتضمن نأصبلات منهجية، نظرية وتطبيقية.

وهو لذلك ينقسم - دون هذه « الخطبة » التي هي فيما نرى، والخاتمة التي نلخص نتائجها - إلى ثمهد وثلاثة فصول وملحق. وقد قسمنا الفصول إلى مباحث على حسب ما ننضمته من فضايا.

فالنمهد هو في بناء سبع « مقدمات منهجية » تمهد لفضايا الكتاب. والفصل الأول صبح بعنوان: « الفطرية مدخل إلى تأسيس القضية ». وفيه مبحثان: المبحث الأول في: « بعثة التجديد » دراسة في المفهوم. والمبحث الثاني: « الفطرية نفلة نوعية: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ». وأما الفصل الثاني فهو: « في الفطرية: القضية والمفهوم ». وفيه مبحثان: المبحث الأول في: « الفطرية وقضية الدين ». والمبحث الثاني: « الفطرية دراسة في الأركان والمسالك ».

وأما الفصل الثالث فهو في: « التجديد الفطري: معالمة المنهجية وفضائها العمرانية ». وفيه تمهيد ومبحثان.

المبحث الأول في: « المغالمة المنهجية للتجديد الفطري ».

والمبحث الثاني في: « التجديد الفطري وفضاء العمران البشري ».

وأما الملحق فهو في: « برنامج الوثائبة من الكليات إلى الرسالات ». وفيه تمهيد تعريف بالبرنامج طبعاً وغاية، ثم عرض مقرر تربوي يتكون أساساً من مجموعة من الرسالات، المستخلصة من النصوص القرآنية والبيانات النبوية، وضعت على طريقة التراجم الفقهية لدى المحدثين، مرتبة على منهاج تربوي يتدرج بصاحبه عبر مدارج التخلل بصفات الربانية؛ وذلك فصداً التأهيل لممارسة العمل الدعوي.

وفي الأخير وضعنا خاتمة عامة، نرجع على ما سبق باستخلاص نتائج وخلاصات للعمل.

للك فضاء حاولنا مدارستها في هذه الورقات؛ عسى أن يغبط الله لها من يخرج من بينها خيراً نافعاً.

ولا أنسى بعد هذا أن أشكر السادة العلماء، من بعض أشباخنا وإخواننا، وكذا بعض أهل الخبرة التربوية في المجال الدعوي، ممن نكرموا بقراءة فصول هذا الكتاب كلها أو بعضها؛ فأفادونا بملاحظاتهم ونوحياتهم. بل إنني أذكر أن بعض فصوله كان عبارة عن عمل جماعي؛ بما نال من التصحيح والتنقيح، الذي استغل فيه بعضهم بروح الفريق. فجزاهم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء.

ذلك، وإنما الموفق من وفقه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وكتبه - بمكناسة الزيتون - عبد ربه، راجي عفوه وغفرانه، الفقير إلى رحمته ورضوانه: فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السجلماسي، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين. وقد وافق تمام تصنيفه يوم السبت: ٢٧ رجب: ١٤٢٨هـ، الموافق لـ: ٧/٨/٢٠٠٧م.

القطرية

بعثة التجديد المقبلة

بين الحركة الإسلامية ودعوة الإسلام

تمهيد

• ويحتوي على سبع مقدمات:

المقدمة الأولى: بين يدي هذا الزمان.

المقدمة الثانية: بين يدي هذا المشروع، من « الحركة » إلى « الدعوة ».

المقدمة الثالثة: النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام »!

المقدمة الرابعة: الإنسان هو القضية!

المقدمة الخامسة: في ولاية الله، وتدير الشأن الدعوي!

المقدمة السادسة: في السياسة والقصص الإسلامي المعاصر.

المقدمة السابعة: في أقسام مشروع القطرية.

تمهيد

(في سبع مقدمات منهجية)

نستعمل مصطلح « المقدمة » - خلال هذا التمهيد - بما يقارب المعنى المنطقي للكلمة، أي باعتبارها منطلقاً منهجياً، وأصلاً استدلالياً؛ لتوجيه الأدلة وبناء الحجاج. ومن هنا؛ فما من مسألة نقررها خلال هذه المقدمات السبع، إلا وهي ممهدة لقضية من القضايا المعروضة في هذا الكتاب، مما سيأتي بسطه مفصلاً خلال فصوله ومباحثه. وبيان ذلك هو كما يلي:



المقدمة الأولى

بين يدي هذا الزمان

وما عسانا أن نقول عن هذا الزمان؟ وللزمان - في هذا الزمان - ألف لسان! فهل بقي شك في أن « القَوْلَةُ » - بوجهها الكالحي - قد اكتسحت فعلًا؟ وهل بقي شك في أنه قد تم احتلال الإنسان قبل احتلال الأوطان؟ ثم من ذا يتردد بعد في ملاحظة التحولات العالمية؟ ألبست الأرض ندور اليوم على غير طريقها العادية؟ ألا تدخل الأمة الآن منعطفًا جديدًا من تاريخ علاقاتها مع نفسها، ومع الآخر؟

ألم نكشف الصهيونية - بوجهها الأمريكي - القناع عن غطرستها؛ استخفافًا بالعرب والمسلمين، في أجرأ حركة من تاريخها تجاه الأمة الإسلامية؛ استعدادًا لأمر ما؟ لقد نفارب الزمان اليوم لينكشف عن شيء، والعالم ينهبأ له بدول تتوحد وتتكتل، وأخرى تتمزق وتنفرد، ويرموز تقوم وأخرى تنهار، فانطلاقًا من سقوط الاتحاد السوفياتي، وسقوط سور برلين بدلالاته السيمبائية العميقة، حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بأمریکا، التي ضيّغت لنا به « إخراجها »؛ كانت موجة أخرى من تاريخ التدافع الحضاري تتجمع؛ لتنتقل بأكبر عملية احتلال عسكري في القرن الخامس عشر الهجري (الحادي والعشرين الميلادي)؛ ويدخل الغرب العالم الإسلامي - بقيادة أمريكية - غازيًا بلا فناء سياسي! فنكون العراق أكبر فنطرة للعبور إلى غزو عالمي جديد للأمة الإسلامية، بجعليات متعددة، قد نختلف مظاهرها من قطر إلى قطر؛ ولكن مآلها واحد هو الهيمنة العولمية الحديديّة على العالم الإسلامي. وهاهنا تعددت الأشكال والموت واحد.

إن الغزو الغربي للعالم الإسلامي في صورته الجديدة، الحاصلة اليوم - نفاقياً وسياسياً وعسكرياً - لهو صغعة قوية في وجه الأمة! ليس - فقط - من حيث هي أنظمة مُشَاسِسةٌ مداهنةٌ أحياناً، أو خائنةٌ منخاذلةٌ أحياناً، أو متواطئةٌ أحياناً أخرى؛ ولكن أيضاً من حيث هي مشاريع نهضوبة فكرية، وقومية، ووطنية، بل حتى إسلامية أيضاً! ولم لا؟

لقد انتهى زمن وكالة الأنظمة العربية فالآن العدو هو الذي يشغل، وهو الذي يقنحم البيوتَ ويقتل، وهو الذي يحاكم، وهو الذي يصاير! يلقي القبض على من يشاء كما يشاء، ومنى بشاء! فأبما مفكر حر، أو داعية - أو ربما حتى عابر سبيل - أزعجه بكلمة؛ أصدر أمره باعتقاله! ولم يعد بيالي، ولا حتى بحرج النظام العربي الذي يعيش ذلك المطلوب في حوزته ونحت سلطانه، وبلقي القبض عليه هو بنفسه، هنا أو هناك، في أي مكان من خريطة العالم الإسلامي!

إضافة إلى هذه المهلكات الخارجية، فقد أصيبت الأمة بداء التآكل الداخلي منذ عدة قرون، هذا الداء الذي تطور حتى آل إلى انهيار وجودها المعنوي؛ فوجدها العدو لفمة سائغة، وجاءت سلسلة الاستعمار الفديمة والجديدة بشنى وبلاتها ومصائبها، ونلك هي ترجمة التاريخ المعاصر لحديث النبي ﷺ - المذكور قبل - في العتائية. وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «يُؤْبِكُ الْأُمَمَ أَنْ قَدَّاعِيَ عَلَيْكُمْ كَمَا قَدَّاعِيَ الْأَكَلَةَ إِلَى قَضَعَتِهَا» فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ بِنُومِيذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ بِنُومِيذٍ كَثِيرٍ؛ وَلَكِنَّكُمْ عَنَاءٌ كَفَّاءُ السَّبِيلِ! وَلَيُزَعِزُّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ غَدُوِّكُمْ أَنْهَاتَهُ بِكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ!» فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (١).

إن أزمة ضعف الوجود المعنوي للأمة، الذي صار اليوم إلى ما يشبه الفقدان، إنما هو راجع إلى ما ذكر في هذا الشخص النبوي الكريم: حب الدنيا وكرهية الموت؛ ومعناه فقدان الثقة بالله، وضعف الارتباط بأصول الدين إيماناً وعملاً. وإنما كانت هذه الأمة يوم كانت بالدين، ولن نكون في يوم من الأيام إلا بالدين، وإنما المسلم إنسانٌ أحروي

بالدرجة الأولى. وبهذا بنى عمرانہ النبوي الحضاري العظيم، يوم كان حاضراً في التاريخ. وذلك هي الفضبة.

إن مشكلة الأمة اليوم - وهي تنزف باستمرار؛ جراء تمزقها الروحي والثقافي والسياسي - أنها لم تعد تبالي بمصدر فونها الخفيفة، ولا تثق فيما عندها من أدوية بصبلية الدين، ولا هي بعد ذلك تثق حتى بنفسها، مما أكسبها هزيمة نفسية ألفت بها في أحضان العدو مِرْقاً من الأشلاء والأجزاء!

ولقد غدّى العدو مرض الناكل الداخلي عبر سنوات، ببرامج التعليم المسموم والإعلام المغفوم؛ ما بلغ بها إلى انقلاب المضادات الحيوية الطبيعية، التي خلقت للدفاع عن الجسم، إلى مضادات داخلية للجسم نفسه، فنشأت نبارات شاذة من أبناء الأمة بحاربون الأمة! وبلعنون التاريخ الذي كان! نيارات تنصلت عن هويتها، ونيرأت من دهنها، وتمردت على الله خالفها! فخانت الأمة، وخانت الدين، وخانت الوطن! وما أحسب أن شبتا كان أشد على الأمة في حربها مع عدوها من هذا الكبد العظيم! ذلك أنه رغم ضعف الرصيد الشعبي لهذه النبارات فإنها استغوت بالعدو على أوطانها وشعوبها، ونبأت بدعمه المباشر مواطن الصدارة والإدارة في الحكومات! ووفعت بأيديها سياسة التعليم والإعلام والاقتصاد؛ ففعلت في البلاد والعباد من الخراب ما لم يستطع الاستعمار المباشر أن يفعله!

فانقلنا بذلك من الوضع الصحي السليم الموصوف في الحديث: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَوَادِهِمْ وَنِرَاحِهِمْ وَمَعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالشَّوْرِ وَالْحُمَّى»^(١). إلى الوضع الصحي السقيم، وضع التفوق والافتتال الداخلي، الموصوف في الحديث الآخر: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَيْنِ وَمَعْنِي وَاحِدَةً سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُهْلِكَ أُمِّي بِالسُّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمِّي بِالْغُرُقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَجْعَلَ بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا»^(٢).

ومحنة الأمة اليوم هي في محاولة النهوض من تحت هذا البلاء كله، بنشعباته الداخلية والخارجية، ولنا البقين في أن لها من الطائفة الكامنة والخرركات الدانية، ما لو

شغلته لأفعلت بقوة، بل لطارت في الفضاء رغم ذلك كله، وإنما الإشكال اليوم هو في التجهيد الدقيق لمواطن أزرار التشغيل لطافة الحياة فيها، تلك هي الأسئلة، وتلك هي التي لا غم لك لها الحركة الإسلامية - في كثير من تجلياتها المعاصرة - إلا أجوبة مجملّة!

وينتصب السؤال المثير: أين الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي إذن؟ أين نحو قرن من الزمان، مضى في بناء التنظيمات والجماعات؟ أين الخطط والبرامج والاستعدادات؟

ألم بنى الأوان بعد للمراجعة، والمساءلة لحركات العمل الإسلامي هنا وهناك؟ إلى متى ونحن منشثون بخطط خرفها الغرب واخترفها أكثر من سبعين مرة؟ حتى أنت عولمة النظام العالمي الجديد على آخر ما بقي منها، فلم يعد لها غير عجبج المظاهرات، وصراخ المهاترات؟! إلى متى ونحن منشثون - أحراباً وتنظيمات - بوهم (إننا فادمون) ^(١) نمائاً كما نشب النظام السابق في العراق بوهم (نُططِلُ للسحن والنططيع)؛ لم نلبث أن دكتها الدبابة الأمريكية، ولما تنقطع أصداء كلمانها الرنانة في الفضائيات!

هذا زمان نهاية الجغرافيا واختفاء الحدود! نعم، ولكنه زمان انبعاث حركة التاريخ، واستشرافها لدورة حضارية أخرى. والصراع اليوم هو حول من يكون لها؟ أو هي لمن نكون؟ أما قصة «نهاية التاريخ» فتلك أكذوبة من أكاذيب القولبة، وأسطورة من أساطيرها، تُنبِئ في سبيل الحرب النفسية على المستوى الفلسفي والسياسي.

الحرب الحضارية اليوم عالمية بما للكلمة من معنى، وفطار التاريخ بنطلق بقوة نحو المستقبل.

والعولمة في نهاية المطاف حصان، والحصان لمن يركبه، وإننا على يقين من أن الدعوة الإسلامية اليوم إذا هي دخلت هذه المعركة بشروطها الإيمانية، وبميزها

(١) إنما القصد نقض قولهم: (إننا قادمون) من يعني بذلك تجربته التاريخية الذاتية، انطلاقاً من حربه، أو تنظيمه وجماعته، أما دعوة الإسلام في مجموعها ومجملها فهي قادمة بإذن الله، تلك حقيقة عقدية توازمت النصوص ببنائها، وأبلى الواقع الحزين، يستغلها؛ ذكرى للمستنصرين.

الحضاري، وهويتها الإسلامية الصافية؛ فإنها بإذن الله تُنتج عولتها الإيجابية عُمراناً حضارياً جديداً، وأمثا وسلاماً للعالمين، كل العالمين، وإن القُرس التي نقاتل اليوم في صف العدو، يمكن أن نقاتل هي نفسها غداً في صف الإيمان؛ وإنما الفضبة هي في الفارس من هو؟ وما طبيعة الروح التي نسكنه؟

فأين الحركات الإسلامية من هذا كله؟ بل أين هي من الإسلام بما هو مُبشِّرات نصية ومنهجية بعالمية هذا الدين، وظهوره على العالمين؟ وإلى أيِّ حدٍّ هي فعلاً مُجتهِد - فكراً وعملاً - من داخل بنية النص الشرعي، ومنظومته الاستدلالية؛ لتجديد مفاهيمه وقبمه في المجتمع؟ أين هي الاستراتيجيات الدعوية والإصلاحية؟ وأين موازين نفعها ونعجبها في هذا الإطار العالمي الجديد؟

أليس قد آن الأوان فعلاً لتجديد النظر في الأساليب التربوية، والمنهجيات الدعوية؟ في زمن لم نعد فيه ظلال الحكومات كما كانت، ولا مظاهر العدوان كما كانت؟ وصار العدو - عن كتب - يرافب برامج التعليم، وخطب المساجد، والعلاقات الزوجية، ويحصي مدارس القرآن، والمعاهد الدينية، وينسب الولادات؟ أليس قد آن الأوان لبعثة جديدة؟ تجدد أول ما تجدد هذه (الحركات الإسلامية) نفسها التي لم نعد قادرة على إعطاء ما لا تملك؟ إلى منى ونحن صامتون؟ مرددون في وضع الإصبع على مواطن آلامنا وأدوائنا؟ وقد امتدت يد «الآخر» إليها قبل يدنا؛ لنعالجها - ولكن مع الأسف - بدوائه لا بدوائنا وبطريفته، لا بطريقتنا

إن الوقت الذي نعبثه اليوم قد نضايين ونفارب؛ حتى لم يبق منه - لفوات الواجب - إلا وقت الضرورة، فمن ذا يحاول منا أن يتنفل من الشكل إلى الجوهر، في «بعثة التجديد المقبلة»؟ ومن ذا يبادر للإسهام في تسجيل خطوات الانفعال التاريخي الكبير؟ مع منعطف العولة المظلم؛ من «الحركة الإسلامية» إلى «دعوة الإسلام»؟

المقدمة الثانية

بين يدي هذا المشروع من « الحركة » إلى « الدعوة »

وعليه؛ فهذه لبنة جديدة في البناء الدعوي الذي نشغل به، نرمي إلى الإسهام في العودة بالعمل الإسلامي إلى فطرته، وأصل طبيعته؛ ولذلك وسمنا الكتاب بمصطلح « الفطرية »، وهي سماء دالة على المفصود منه ابتداءً وانتهاءً. أخذنا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. متخذين لذلك متطافاً من قوله تعالى: ﴿ بَلَى أَنشَأَ الْإِنسَانُ ظُلُمًا أَهْوَاءَهُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ يَتَّبِعُونَ نَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ مُصِيرِينَ ﴾ فَأَفْضَ وَحَهُكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَاقِ أَفَبُذِّمُوا أَفَبُذِّمُوا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ مُبِينٌ إِلَيْهِ وَالْغُوهُ وَأَفْتُمُوهَا أَلَسَلْتُمْ لَا تُكْفُرُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ مِنَ الَّذِينَ فَتَقُوا رَبَّهُمْ وَكَانُوا شُبُهَةً كُلِّ جَزْبٍ يَمَّا كَذَّبُوا فَرِحُوا ﴿ [الروم: ٢٩ - ٣٢] .

ولأن الفطرة راجعة - على الإجمال - إلى الطبيعة الأولى، وإلى الهيئة الأصلية التي كانت للأشياء قبل خضوعها للتغيير والتبديل، فإن الحاجة ملحة اليوم على العودة بالعمل الإسلامي إلى ذلك أبضاً.

لقد أثنى على العمل الإسلامي حين من الدهر وجد نفسه فيه يدور في حلقة مفرغة بسبب الأزمة الحاصلة في نظوره ومنهجه. وإن للقاموس الاصطلاحي والجهاز المفهومي الذي يشغل به لدلالة على طبيعة تلك الأزمة، مما يمكن تشخيصه بالتحليل لأبرز مصطلح ينسب به. وعلى رأس ذلك مصطلح (الحركة) نفسه الذي يحمل ما يحمل من الخلفيات غير الإسلامية؛ مما كان له الأثر البالغ على توجهات

التنظيمات الإسلامية المعاصرة، وعلى ميزان أولوياتها، والألفاظ لبست بربقة من الخلفيات الحضارية والمذهبية، ولا استعملها بالأمر الهين في أمور النفاذات والعلوم عموماً، وفي أمور الدين بصفة خاصة، وقد أرشد الله الصحابة إلى التحري فيما يخطئون به رسوله - عليه الصلاة والسلام - من الألفاظ والعبارات؛ لما للاشتراك اللغوي الحاصل في بعضها بين الخير وبين الشر؛ رفقا لكل تلبس وتدلّيس يفع من المنافين! فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْسًا وَتُولُوا نَظَرًا وَأَسْمَعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

وإنما فطرة العمل الإسلامي أنه «دعوة»، لا «حركة»، وبين هذا وذاك فرف كبير فمصطلح «الدعوة» لفظ قرآني أصيل، ومصطلح «الحركة» لفظ سياسي دخيل؛ ولذلك ما له من آثار كبيرة على مستوى المنهاج والتصور للعمل الإسلامي كما سنرى بحول الله. وإنما سمي الله - جل وعلا - فعل تجديد الدين ووظيفته «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - في كتابه وسنة نبيه - «دعوة»، وما كان ينبغي العدول عما سمي الله به مفاهيم الدين، إلى غيره من عبارات المتخذين؛ لأنه سبحانه أدرى بمراده من دبه. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نمل: ٢٣]. وخاطب رسوله ﷺ في هذا الشأن فقال له: ﴿فَلْيَدْعُوا سَبِيلَ اللَّهِ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسَيُحَنِّ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال له أيضاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بَالِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْهَكِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وخاطب سبحانه هذه الأمة فقال: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَلْفَفُوا وَاخْلَعُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ رَاسَهُمْ الَّذِينَ كَذَبُوا وَأُولَئِكَ هُمُ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥]. وقال سبحانه: ﴿رَأَاهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَهَدَى مَن بَشَاءَ إِلَى سَبِيلِ شَتَائِفٍ﴾ [يونس: ٢٥]. وقال أيضاً: ﴿وَمَا لَكُمُ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٢٨]. ومنه أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْغَنَةِ وَالْمَغْفِرَةِ يَذُوبُ وَيَبِينُ مَابَيْنَهُ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]. وغير هذا وذاك في القرآن كثير.

و « الدعوة » هو عين المصطلح المستعمل في البيانات النبوية باطراد تام، ويكفيك منها قوله ﷺ: « من دُعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من نبهه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دُعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل إثم من نبهه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »^(١).

ثم ما استعمل السلف الصالح - بعد ذلك - غير مصطلح (دعوة الإسلام) وهو التركيب الاصطلاحي المستعمل عند أهل الحديث كما في صحيح مسلم وغيره^(٢)، وكذا عند كبار السيرة عموماً، وعند علماء الفقه، خاصة في أبواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر ضروب الإصلاح، سواء في دار الإسلام أو في دار الحرب، أو دار العهد. وهذه النصوص وغيرها دالة على أنه مصطلح عام في معنى تبليغ دعوة التوحيد، وأصل الدين الكلي، الذي هو مسمى « الإسلام »، وإيصاله لمن لم يبلغه أصلاً من الكفار، كما أنه مستعمل عندهم في الدلالة على الإصلاح الداخلي، والتجديد الديني لما انحرف من مفاهيم الدين وأحكامه في المجتمع الإسلامي أصالة.

فتبين إذن أن مصطلح « الدعوة » جامع لكل المعاني المشروعة، التي يعبر عنها اليوم بمصطلح « الحركة »، كما أنه مانع من دخول كل الإحالات المنحرفة والدلالات المختلة، التي قد تنسرب إلى العمل الإسلامي مع التعبير الدخيل إضافة إلى تميزه ونفرده بالمفاسد التعبدية التي يُقَصَّرُ عنها لفظ « الحركة » ويضيق.

ونحسب أن مصطلح « الدعوة » قد ناله من التحريف المفهومي والتجزيء الدلالي؛ بحيث جعله مقتصراً لدى كثير من المستعملين له اليوم في الحقل الإسلامي الإصلاحي، على معنى « الوعظ » بمفهومه الخطابي ليس إلا، وهذه أزمة كثير من « الإسلاميين » إزاء المصطلحات القرآنية الرائجة في التداول الإسلامي المعاصر. ونحسب أن من مهام « الفطرية » إعادة الاعتبار لألفاظ القرآن الكريم، وللمصطلحات الشرعية عموماً؛ بتجديد استعمالها بمفاهيمها الأصلية، كما هي في الكتاب والسنة، لا كما هي جارية على ألسنة الناس، وكذا مواجهة الفصص

(١) رواء مسلم.

(٢) صحيح مسلم: (كتاب الجهاد والسير. باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام...)

الإعلامي للعالم الإسلامي، الذي يرمي الأمة صباح مساء بالمصطلحات الأيديولوجية المصنوعة في المختبرات الصهيونية والصمود أمام زحفه الثقافي الشامل؛ وذلك بالعض على « كلمات الله » بالنواجذ، والنشيث بألفاظ القرآن الكريم، وبمفاهيمها الربانية ودلالاتها الإجمانية. ونحن نعلم أن دون ذلك ما دونه من المجاهدة بالقرآن، لفظاً ودلالة:

﴿ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَنِّهْهُمْ بِهِ عَنْ صِهَابِ كُفْرِهِمْ ﴾ [القرآن: ٥٢].

إن مصطلح « الدعوة » هو التعبير الإلهي المنزل وحيًا؛ للدلالة على طبيعة الرسالة القرآنية في الأرض تأسيسًا وتجديدًا، بينما يبنى مصطلح « الحركة » تعبيرًا وضعيًا، مرتبطًا بنسبته التاريخية، ويرجعته المادية البشرية، التي لا روح فيها ولا رواء، وما أرى العدول عن كلمات الرحمن إلى عبارات الإنسان، في مجال ديني تعبدي محض، إلا ضربًا من التحريف المفهومي لمقاصد القرآن!

وبين ذلك أن مصطلح (حركة) في المجال الاجتماعي إنما هو ترجمة للفظ الأجنبي: (mouvement) وهو تعبير منحدر من أدبيات علم الاجتماع السياسي، ظهر في أوروبا في ظروف المظالم الاجتماعية والاختلالات الطبقة التي خلفتها الثورة الصناعية، خلال القرن الثامن عشر ثم التاسع عشر الميلاديين، وذلك عندما تغيرت طبيعة الاقتصاد الأوروبي وحلت الآلة محل اليد العاملة، كما حلت المصانع الضخمة محل الصناعات البدوية والنسوية المنزلية، فأحدث ذلك تغيرات بنوية على طبيعة المجتمع الأوروبي، وتكونت كتلات اجتماعية جديدة؛ للدفاع عن حقوقها والمطالبة بتحسين وضعيتها؛ كالفابات العمالية، والحركات النسوية، ثم الحركات الطلابية، وغيرها.

ومن هنا جاء مصطلح « الحركة » دالاً بالأساس على: تيار سياسي منظم فكريًا وبشرقيًا، يتناضل من أجل فكرة محددة؛ لتغيير وضع معين بأساليب سياسية في الغالب، لكنها قد تنطور إلى أساليب عسكرية أو ثورية دموية كما هو شأن الحركات الماركسية مثلاً.

ولذلك فقد بني المصطلح محمولاً بدلالات « مادية »، ومرجعية متأثرة إلى حد بعيد بنظرية « الصراع الطبقي »، أو « النزاع الاجتماعي » كما سماه الدكتور عبد الهادي حلف، في دراسته: « المقاومة المدنية: مدارس العمل الجماهيري

وأشكاله». يقول: « يفهم تاريخ البشرية على مختلف أشكال النزاع بين المجتمعات البشرية، وضمن كل منها. فالنزاع بمعناه الاجتماعي العام [هو] القابلة التي يلد التاريخ على يدها ويتقدم »^(١) حيث « يتجه كل مجتمع بشري حال نشأته إلى الانقسام إلى مجموعات، تنافوت فدراتها على الوصول إلى الموارد المتاحة لذلك المجتمع والاستفادة منها، بيد أن الأشكال البسيطة لذلك التنافوت الأولي سرعان ما تصبح أشكالاً معقدة ومنشعبة المصادر والتأثيرات، كلما تطور ذلك المجتمع (...) فمع هذا التطور يتكرس التنافوت الاجتماعي وينخذ أشكالاً أكثر صلابة ووضوحاً »^(٢) ومن هنا ينشأ « النزاع » أو « الصراع » من أجل السيطرة على الموارد الانصبادية؛ حيث « تنافس فيه الفئات الاجتماعية على الاستفادة من الموارد المتاحة لمجتمعها، والاستحواذ عليها، ووسائل التحكم فيها »^(٣).

وما مفهوم « الحركات الاجتماعية » على حد تعبير « شارلز تيلي » سوى: « سلسلة من التفاعلات بين أصحاب السلطة وأشخاص يُنصَّبُون أنفسهم بافئدار، كمنحدرين عن قاعدة شعبية تنفذ للنمط النيابي الرسمي. وفي هذا الإطار يفهم هؤلاء الأشخاص بتقديم مطالب على الملأ من أجل التغيير، سواء في توزيع أو في ممارسة السلطة، وتدعيم هذه المطالب بمظاهرات عامة للتأييد »^(٤).

ومن هنا فإن « الحركات الجماهيرية » قد نشأت في سياق مواجهة صور شتى من الاستبداد، من مثل: « الانقلابات العسكرية »، و « الأنظمة الديكتاتورية العسكرية »، أو « الديكتاتورية المطلقة »، و « الغزو أو الاحتلال الأجنبي »، و « الظلم الاجتماعي » بشتى صور، الذي في ظله ظهرت « الحركات النسوية »، و « حركات مقاومة الميز العنصري »، و « حركات التحرر الوطني » في البلدان المستعمرة، و « حركات

(٢) المقاومة المدنية: (١٧).

(١) المقاومة المدنية: (٤٥).

(٣) المقاومة المدنية: (١٨).

(٤) Charles Tilly, "Social Movements as Historically Specific Clusters of Political Performances," Berkeley Journal of Sociology 38 (1994): (1-30).

نقلاً عن: (الحركات الاجتماعية المفهوم والتاريخ) (ص: ٢). للباحثين: (ربيع وهبة، وحزيف شكلاً)، بحث منشور على الموقع الإلكتروني:

مواجهة الاستغلال الطيفي « في كثير من البلدان الصناعية ^(١) . إذ « عبر مثل هذه الحركات الجماهيرية بقدّم التاريخ البشري المعاصر أمثلة بارزة على الإمكانات الواسعة، التي بنهجها النضال الجماهيري - خاصة حين تكون الجماهير ضعيفة - في مواجهة عدو مسلح، وفعلي، وقادر على البطش! » ^(٢) .

ف « الحركة » بهذا المفهوم إذن؛ لا نخرج عن معنى كونها « مجموعة ضغط سياسي تحمل مجموعة من المطالب » ليس إلا وعلى ذلك أجمعت أغلب الدراسات والبحوث التي تناولت مفهوم « الحركات الاجتماعية » بشئ أثنائها، والسبب في ذلك كما يقول الدكتور إبراهيم البيومي غانم ^(٣) : إن الحركات الاجتماعية إنما نشأت في سياق الأزمة، خاصة « أزمة الديمقراطية »؛ حيث « تنشأ الحركات الاجتماعية في مواجهة الدولة؛ نتيجة نعر الدولة في أداء دورها، وتدخل الدولة المتزايد للسيطرة على السوق، وتدعيم فونها وتوسيعها على حساب المجتمع المدني، وهو ما يتزامن عادةً مع تآكل دور الأحزاب السياسية، كمنظمات للتنمية والتعبئة الشعبي (...) ونشط الحركات الاجتماعية في ظل هذا العجز؛ لتقوم بمهمة تمثيل المصالح، وتقديم خطط بديلة، والدفع باتجاه التغيير من خارج النظام، ولتمثل قوة ضاغطة تفرض على الدولة تعديل سياساتها ونظير أداؤها » ^(٤) .

ذلك هو مفهوم « الحركة » في المجال الاجتماعي، كما ظهر في سياق الصيرورة الغربية الحديثة. ولا غيبش في أن الحلقية المادية العلمانية واضحة فيه جدًا. وهاتنا مناط الإشكالات المصطلحي كما سنبين بعد قليل يحول الله.

ذلك أن هذه التعريفات والشروحات كلها تؤكد الفصور الشديد لمصطلح « حركة » عن الدلالة الشمولية الكلية التي يتمتع بها مصطلح « الدعوة »، بما ينضمه هذا من مصدرية ربانية، وخلفية إيمانية غفيرة، ومرحبة تربوية إصلاحية شاملة. ثم إن مصطلح « الحركة » منهم يتضخيم بعض معاني العمل الإسلامي على

(١) المقاومة المدنية: (٤٨ - ٦٤).

(٢) المقاومة المدنية: (٤٨).

(٣) خبير سياسي في « المركز القومي للبحوث الاجتماعية » بقصر.

(٤) الحركات الاجتماعية، د. إبراهيم البيومي غانم. بحث للدكتور إبراهيم البيومي غانم، منشور على الموقع الإلكتروني: « إسلام أون لاين » .

حساب بعض، لتضخمها عند أصحابها أصلاً من واضعي المصطلح في منظومته الغربية! وتلك حضارة أخرى وفوم آخرون، كما أنه منهم بتجوز وسائل للعمل قد لا نغلبها - كلياً أو جزئياً - أحكام الشريعة إلا باستصلاح أو (أسلمة) كما يعبرون اليوم، مع أن أمر الدعوة دين والدين واضحة معاملة، أصيلة وسائله، خاصة على المستوى المتهاجي الكلي، وليس كل الوسائل يقال فيها إنها من قبيل الاجتهاد، بل منها ما هو مرتبط بثواب الدين، لا حاجة لنا فيه إلى «أسلمة» ولا إلى استيراد أو افتراض!

ومن هنا، فقد كان لتوظيف مصطلح «الحركة» من الأثر ما كان في الاختلال الجزئي أو الكلي للعمل الإسلامي، والانحراف به إلى مضائق العمل الحزبي المباشر أو غير المباشر؛ حيث أصبحت كبرى الحركات الإسلامية في العالم مجرد أحزاب سياسية كبرى!^(١) ونبعها في ذلك من تبعها من الحركات والتنظيمات في المشرف والمغرب حتى رسخ في ذهن الجيل أن صورة العمل الإسلامي إنما هي هذا النمط أو هذه الهيئة! فشامت بذلك جملة من النصوص، وانقلب كثير من موازين الأولويات. بل رسخ في ذهن الكثير أنه لا يمكن أن يعيش بالدين، ولا أن يكون من المسلمين، إلا بانتمائه إلى جماعة، أو انخراطه في تنظيم، وانحصاره داخل إطاره، لا يدور إلا بمداره، ولا يتغذى إلا بأفكاره! وقد عملت بعض الجماعات فعلاً على فروج هذا البهتان، والله يعلم أنه ما أنزل به من سلطان، بل الفكرة بهذه الصورة بدعة منكورة، وعفيدة باطلة، أعني جعل النجاة الأخروية رهينة أغلال الجماعات ومضائق التنظيمات، فمن لم يمر عبر «مباركتها» هنا، محرم النجاة هناك.

وعليه؛ فإنا لسنا نقصد بهذا التأسيس الاصطلاحي مفارقة ألفاظ، وتغليب معاني ودلالات، وبيان دلائل إشكالات؛ من أجل أمور لا تزيد ولا تنقص من أمر العمل الإسلامي شيئاً، أو ربما قيل فيها ما يقال أحياناً في سياق الخلاف الفقهي، إذا اكتشف أنه راجع إلى مجرد اختلاف لفظ، لا إلى حقائق الأحكام ومفاهيم العلم،

(١) انظر تصريح الدكتور محمد سليم العوا «أحد قيادي جماعة الإخوان المسلمين بضرورة ترك العمل السياسي بكل مفرداته والعودة إلى العمل التربوي الشامل» (حوار مع الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين: الأحد ١٠ يونيو: ٢٠٠٧).

فبقال عندئذ: (لا مشاحة في الاصطلاح). كلا طبعا؛ فالأمر هنا مختلف تماما؛ إذ هو عيني الارتباط بالمفاهيم الأساسية للعمل الإسلامي والدعوي، سواء من حيث مفاهيمه، أو من حيث أحكامه، أو موازين أولوياته، وكل ما نعلق بصحة الفعل الواقع في سبيله أو بطلانه.

ولذلك فالمشاحة كل المشاحة في الاصطلاح، ولو نظرت إلى أمر الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ بمخاطبة نبيه ﷺ بلفظ: « أَنْظِرُونَا » بدل « رَاعِنَا » ؛ لوجدت أن العبارتين مترادفتان في اللغة، ورغم ذلك ورد النهي عن إحداهما والأمر بالأخرى، ولم يُقَلْ آنذ: « لا مشاحة في الاصطلاح ».

إن « الدعوة » لها مجال تداول شرعي أصيل، تحفه أحكام معينة، وأصول معينة، وآداب معينة، ونظام معين من المراتب والأولويات المقتدة شرعا، والمؤتفة نصفا، أو المقاربة اجتهاذا بفواعد العلم وموازين الشريعة. أما « الحركة » فلها مجال تداولي آخر مختلف تماما، ونقلها إلى مجال « الدعوة » لا يسلم من استصحاب مرجعيتها الغربية، ولو على المستوى النفسي وهو أمر له ما له من الضرر على العمل الإسلامي في مفهومه، وطبيعته، وميزان أولوياته، وحتى بعض أحكامه.

ولا يعني هذا كله أيضا أننا نُجْري الألفاظ على ظواهرها فحسب، بل العبرة بـ « المفاهيم » فقد يكون من التنظيمات أشكال لم نلتف بلفظ « حركة »، وإنما نسمت باسم: « جماعة »، أو « دعوة »، أو غيرها من الألفاظ ذات الدلالة الشرعية الأصيلة، ولكنها في الواقع حبيسة مفهوم « الحركة »، ولو لم نشم رسما بسماها، وذلك حسب ما طبع تصوراتها المنهاجية والعملية لمفهوم العمل الإسلامي وطبيعته. ومن هنا نادينا بفطرية العمل الإسلامي، أي الرجوع به إلى أصل فطرته الدينية، وإلى طبيعته الشرعية، الجامعة بين البساطة والعمق، سواء على مستوى المصطلحات والمفاهيم، أو على مستوى المناهج والتصورات؛ لأن بذلك - في نظرنا - يستوي ميزانه ونستقيم أحكامه. وذلك هو موضوع كتابنا هذا.

المقدمة الثالثة

النص الشرعي بين « الحركة الإسلامية »
وبين « دعوة الإسلام » !

الفطرة هي الدين، وما الدين إلا وحي من الله، وما الوحي إلا نص من كتاب الله أو نص من سنة رسول الله ﷺ قال أمر الدين كل الدين إلى أنه نص، وهنا يظهر الفرق جلياً بين « الحركة الإسلامية » وبين « دعوة الإسلام ». فالحركة الإسلامية تشغل حول النص، بينما دعوة الإسلام تشغل بالنص وفي النص، وتدعو إلى النص، فعملها مرتكز أساساً على التعامل المباشر مع الوحي، نخلفاً بأخلاقه ونخلفاً بأحكامه وجنجه، ودعوة للناس إلى الدخول في فلكه واستثمار مفاصده. فالنص في الأولى شعار، وهو في الثانية مثار، يؤدي الدخول في محبته إلى ابتلاء عملي للنفس، وسلوك تطبيقي في المجتمع.

والاشتغال « حول النص » قد يوهم أنه عمل بالنص وفي النص، بينما هو في الحقيقة مجرد رسم لأهداف إسلامية، لكن بسعي فكري وكسب بشري محض لا علاقه له بالنص، بل هو - من حيث منهجيته « الحركية » - خارج إطار النص، كما بيناه في المقدمة السابقة، وإنما مرجعه في ذلك هو منتج الفكر البشري في مجال « التغيير الاجتماعي »، مما أنتجه « الآخر » من مناهج ونصورات، وما رسمه من فواعد وأرلوبيات، في السياق الحضاري الغربي، وكان من صلب تجربته التاريخية، مما قد يخالف أرلوبيات الدين أو ربما خالف طبيعة الدين، بسبب عدم استشارة النص فأصلاً واجتهاداً، وعدم الاحتكام إليه والاشتغال به ديانةً وتعبداً، وعدم جعله وسيلة فضيذة، ومثلثاً مؤزده، وسُلّم بنائه وعمرانه. فالاشتغال للدين في المجال الدعوي لا يكون إلا بالدين، إذ لا يتم التوصل إلى غايته إلا بوسيلته، فهو الغاية والوسيلة معاً. وعدم اعتبار ذلك هو ما يُخوّل أهداف الاشتغال « حول النص » إلى مجرد شعارات،

لا نجدد - في الواقع العملي - من الدين شيئاً^(١).

وفضبة حرية « الوسائل » في المجال الدعوي ليست على إطلاقها أبداً بل هي مضبوطة بما ذكرنا من الاشتغال بالنص اجتهاداً وناصلاً، وعدم ضبط هذا أذى في كثير من الأحيان إلى الانحراف عن منهج الدين، وإلى الضرب بعيداً عن أهدافه ومقاصده بما جعل بعض الحركات تتحول من مشروع ديني تجديدى، إلى مجرد مشروع « مدني » لا يرتبط بالدين إلا قليلاً.

ولا يعني هذا أننا نعرض مشروعاً « حرفانياً » في مجال الدعوة والإصلاح! أو أننا نفعل بعدم جواز الاستفادة من تجربة « الآخر »، كلا طبعاً، ولكن بشرط ألا نكون المنفولات من صلب المنهاج وأركانه؛ لأن المنهاج هو الدين، بل يجب أن نخضع الاستفادة لمقاييس الدين استصلاحاً؛ حتى نصير جزءاً من الدين، وندخل تحت سلطان النص، ونصير - في سبيل التنزيل والتخفيف - عملاً بالدين ونعيلاً لله رب العالمين. وهو ما يسنعه الدرس الأصولي الفقهي، بمنهج الاستصلاح والاستحسانية المنضبطة إلى فواعدها الشرعية وتخفيفاتها الاجتهادية.

والناظر في دعوة الإسلام كما وردت في القرآن يجد أنها لا تخرج عن مدرسة النص، بما هو وحي من الله جل علاه، وبيان نبوي لمفضياته وجكبه، ولا بد من التنبيه في هذا السياق إلى أن القرآن لم يترك المجال الدعوي هماً بلا بيان، بل ذلك كان من أكبر المجالات التي اعنى ببيانها وتذقيها، وبكفينا في ذلك آية وظائف النبوة الدعوية التي تكررت في القرآن أربع مرات من أوائله في سورة البقرة وآل عمران إلى أواخره في سورة الجمعة من المفصل، جاءت بالفاظ ثابتة لا تكاد تتغير إلا نقيضاً ونقضاً، على حسب مقام السياق ومقاصده، ليس إلا حيث حصر الله ﷻ وطلبه الرسول ﷺ الدعوية في ثلاث وظائف، واحدة منها يمكن أن تنقسم إلى اثنين؛ فيكون الجميع أربعة؛ وهي: التلاوة للآيات، والتركية للفلوب، والتعليم للكتاب والحكمة. وواضح أن هذه الأخيرة يمكن أن تنقسم إلى تعليم للكتاب، وتعليم للحكمة، وذلك هي دعوة إبراهيم لهذه الأمة المسلمة، ولا يجوز أن

(١) لك أن تنظر تفاصيل لهذا من جانب آخر على المستوى التطبيقي خاصة. وذلك في الفصل الثالث من هذا البحث. علال المبحث الأول في (المفهوم الواجب التنظيم النظري).

يكون تكرار هذه الحقائق بالقائمتين في القرآن عبثاً بل هو نفي شرعي لمنهج الإسلام الدعوي، الابتدائي والتجديدي معاً، على سبيل الحصر والبيان والاستقرار، وكل وظائفه تلك تنطلق بالإنسان من النص وتنتهي به إلى النص، فافراً الآيات نثرياً ونذرياً، ثم عُدَّ حقائقها إن شئت عُدّاً.

الأولى: قوله تعالى في دعوة إبراهيم لهذه الأمة: ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَرِزْقَهُمْ وَلِيُكَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

والثانية: قوله تعالى لهذه الأمة: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَرِزْقَهُمْ وَلِيُكَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلِيُعَلِّمَهُم مَّا لَمْ يَكُونُوا يَتْلُونَ﴾ قَدْ ذُكِّرُوا أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

الثالثة: قوله سبحانه في سياق المن بعمدة الرسالة المحمدية على المؤمنين: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرِزْقَهُمْ وَلِيُكَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الرابعة: قوله تعالى في بيان سر النقلة العجيبة للمسلمين من حال إلى حال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرِزْقَهُمْ وَلِيُكَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الحج: ٢].

فأنت ترى أنه لا شيء من ذلك يخرج عن دائرة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرِزْقَهُمْ وَلِيُكَلِّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الحج: ٢] وكلها اشتغال بالنص وفي النص. فهي وظائف ثلاث: تلاوة وتركيب وتعليم، ولكن فطناً لكل وظيفة دلالة أعمق مما قد يبادر إلى الذهن من معنى سطحي، بل هي - على ما فصلناه في غير هذا الكتاب - تلاوة بمنهج التلفي، وتركيب بمنهج التدبر، وتعليم بمنهج المدارس^(١). وكل ذلك مبثوث في الكتاب والسنة صراحة وضمناً، يرد كلما نغلق الأمر ببيان منهج تجديد الدين أو الدعوة إليه، ولا شيء من ذلك كله يخرج عن

مجال تداول النص الشرعي والاستغال به قرأنا وسننا؛ ولذلك قال تعالى على سبيل الاستدراك على الذين بدلوا في المنهج وغيروا: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَبِيًّا كَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أَلَيْسَ بِكُمْ نَبِيٌّ مِمَّنْ لَمَّ كُفْرُكُمْ فَتُوبَ عَلَيْهِمْ وَأَنبَأَ أَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وفد قرئت: (نَقْلُكُمْ الْكِتَابَ) كما هو معلوم؛ نبيها إلى ضرورة الاعتصام بالوحي ديناً ودعوة.

وأما السنة فأمرها في هذا الشأن أعظم من أن يحاط به، ومشهور جداً حديث النبي ﷺ، المضروب مثلاً لمراتب العمل الدعوي في استثماره للوحي. قال عليه الصلاة والسلام: « مَثَلُ مَا يُعْتَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْفَيْضِ الْكَبِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَبِيَّةٌ قَلْبَ الْمَاءِ، فَأَتَيْتِبَ الْكَلَاءَ وَالْعُسْبَ الْكَبِيرَ. وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَفْسَكِبَ الْمَاءَ فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا. وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِثْمًا هِيَ قَيْحَانٌ لَا تُصْبِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَتَفَقَّهَ مَا يُعْتَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَزِفْ بِذَلِكَ زَأْسًا، وَلَمْ يُفَيْلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » (١). وقال: « بَلَّغُوا عَنِّي زَلْزَلَةً » (٢). وقال أيضاً: « عَزَّيْكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (٣). فماذا بقي بعد ذلك من مدارات الدعوة غير النص؟

إن الجوهر الحقيقي والمبرر الأساس لوجود العمل الإسلامي إنما هو تجديد التلقي للقرآن الكريم رسالة الله رب العالمين، القرآن من حيث حقائقه الإيمانية ومفاهيمه الشرعية، مع استصحاب البيانات النبوية في ذلك؛ لتنزيله مندرجاً على المنهاج الدعوي السليم، وتحقيق مناطاته في واقع الإنسان بما هو حركة عمرانية في الزمان والمكان. القرآن هو رسالة الرحمن إلى العالمين، هذه حقيقة أضاعها اليوم كثير من المسلمين؛ ولعل عدداً غير قليل من أبناء الحركة الإسلامية سيحتاج إلى وقت ليس باليسير؛ من أجل أن نستبصر روحه على هذه الحقيقة العظمى، ومن أجل أن يدرك كم كان يضرب - في حركته - بعيداً عن المقاصد الأصلية للدين والدعوة الدين. نعم كثير منا سيحتاج إلى وقت ليس باليسير، بل إلى مخاض فكري وروحي عسير، من أجل التخلص من الاعتقادات الباطلة، والفهم الزائفة، التي تراكمت على عقولنا وأهوائنا، في تصور مفهوم العمل الإسلامي، وفي تصور معنى الدين، وذلك بما طال

علينا من الأمد - في حركاتنا وتنظيماتنا - ونحن نضرب خارج مدار القرآن العظيم؛ ديناً ودعوة؛ وبما ضربنا على أنفسنا بأنفسنا من حصار فكري، وجدار نصوري، أغلب حجارته ومادته من الأباطيل، جدار شكل حولنا برزخاً سميكاً معضداً، وكان حجاباً بيننا وبين فطرية الدين، يمتنع عنا أشعة الشمس، ويحجب عنا الرؤية السليمة لدعوة الدين، وإنها لحقيقة كبرى نحن عنها غافلون، فانظر إليها - إن شئت - من خلال هذه الآية البصيرة وتدبر. ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦]. ثم افرا منهاج الإصلاح القرآني مفزراً من لدن الله في كلمات ﴿ وَالَّذِينَ بُعِثُوا بِالْكِتَابِ وَأَنذَرُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَقْصِرُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. فإلما الإصلاح: تمهيك بالكتاب وإلما للصلاة.





المقدمة الرابعة

الإنسان هو القضية!

والقضية ليست متعلقة بمصطلح « الحركة » فحسب؛ بل هي متعلقة « بجهاز مفاهيمي » كامل، وبنظام نصوري شامل، في إطار عمل منهجي يرمي إلى الإسهام في تأصيل العمل الإسلامي في الكتاب والسنة، بين يدي بعثة تجديد الدين المغبلة. ذلك أن العودة بالعمل الإسلامي إلى فطرته نفعني العودة به إلى مجال عمله، والاشتغال به في صلب وظيفته، وفي جوهر موضوعه ومحل خطابه؛ بما هو عمل ديني أساساً يُعْبَدُ الله به أولاً وآخراً، ولا خلاف بين علماء الشريعة أن ذلك جميعاً إنما هو دائر - من حيث موضوعه الإجمالي - على قضية واحدة، وهدف واحد، ومحل للخطاب واحد، هو الإنسان في علاقته مع ربه، وكل ما عدا ذلك فهو راجع إلى هذا المعنى بما في ذلك التشريعات المتعلقة بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. فالعلاقات التشريعية والتربوية الأقبية في الكتاب والسنة كلها آتية إلى العلاقة العمودية، التي هي ربط العباد بالله، تلك حكمة الخلق، وغاية الوجود البشري في الإسلام، وآيات القرآن وبيانات السنة لا تخرج عن هذا المعنى البنية. كما سنفصل في من هذه الدراسة بحول الله.

الإنسان إذن هو القضية، وهو مجال الاستثمار الرئيس للدين، وفضيحه الكبرى دائرة بين أمرين اثنين: إما أن يكون عبداً لله، وإما أن يكون منمرداً عليه، جل علاه، سواء في ذلك إيمانه وعقيدته، أو عبادته وكسبه، أو شريعته وفوائده، أو علاقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... إلخ، فالاستثمار الدعوي في الإنسان كقبيل - إذا استفادت الوسائل طبيعة وفقها - بضمان ذلك كله، ذلك هو المنهاج القطري

الذي جاء به القرآن، واشتغل به الرسل والأنبياء، ومن سار على نهجهم من العلماء العاملين والحكماء الربانيين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تشخيص أمراض العصر في المجال الديني العام مؤد - عند التتبع والملاحظة الاستفراثة - إلى حفيضة ظاهرة: وهي أن طبيعة الانحراف الحاصل اليوم في المجال الإنساني والاجتماعي إنما هو انحراف في الفطرة، واختلال في أخص خصائصها، كما سنبين بحول الله، وهذا لا يعالج إلا بمنهاج فطري رباني أصيل، فحاجة العصر وطبيعة الدين، كلاهما يقضي بضرورة العودة إلى « الفطرية » في العمل الإسلامي؛ لإعادة تشكيل الإنسان على موازين القرآن، وذلك هو جوهر بعثات التجديد الإسلامي عبر التاريخ، ونلك هي طبيعتها في دورنها المقبلة إن شاء الله.

لقد آن الأوان لتتوقف عن إعادة إنتاج النمط المنحرف لبعض التنظيمات الإسلامية، التي خالفت المنهاج الفطري السليم، بالتفرع في مصطلحاتها، والتنطع في مفاهيمها، والإغراب في وسائلها، والاختلال في أولوياتها، والخلط في مرجعياتها، فَعَفَّدَتْ وَنَعَفَّدَتْ، وَشَقَّتْ وَنَشَقَّتْ، فَلَا ظَهْرَ أَثْبَتَ وَلَا أَرْضًا فَطَعَتْ! بينما هذا القرآن ينادي في كل وقت وحين: ﴿ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾ [الفر: ١٧]

وعليه؛ فإن الاشتغال - في الوقت الراهن - بالتظهير لبرامج سياسية، أو حلول اجتماعية على المستوى السياسي؛ بدعوى الشمولية في العمل الإسلامي ما هو في الحقيقة إلا تجزئة له وتزويق! بل الشمولية كل الشمولية إنما هي في إنتاج الإنسان القرآني أساساً، وهذا كفيل بإنتاج كل شيء من تلك الفروع بصورة تلقائية، لكن عند وفته وإبائه. زرحم الله ابن عطاء الله السكندري لما سطره في حكمته الخالدة؛ حيث قال: « ما نزلك من الجهلي شيئا من أزاذا أن يُخْبِرَ في الزُئْب غَيْرَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِيهِ! »^(١).

المشروع الإسلامي الشمولي هو المشروع القائم على شمولية القرآن في بناء الدين.

والشمولية - بمفهوما الإسلامي - إنما هي قائمة على بناء الأصول والكلبات، من الحقائق والمفاهيم، على جميع المستويات العقدية والإيمانية والعمارنة. لكن بما هي أصول وكلبات، لا بما هي تفاصيل وبرامج في السياسة والإدارة وفضايا العمل والعمال والبطالة فحسب، فهذه إنما هي وظيفة «الفقه التشريعي»، ومحاولة علاجها في بنية مُنَيَّجَةٍ، غير مؤصلة في تلك الأصول والكلبات، ضربت من العبث وتجرب للمحال.

إن العالم اليوم دولة واحدة، نحكمه كتلة واحدة في القوة وفي السياسة وفي الاقتصاد والإعلام ومحاولة تغيير جزء منه على المستوى المحلي هنا أو هناك. مؤد بالضرورة إلى زعزعة أصله على مستوى مركزته العالمية الاستعمارية، ودون ذلك ما دونه من مدافعة وصراع، لا بد من تقدير حجمه واستنصار مآلاته. فأَيَ عملة فطرية في العالم اليوم ليست محكومة بالدولار؟ وأي سياسة في الوطن العربي والإسلامي لا تدور في فلكه ومداره؟ والملا من أهله إنما يقاتلون في العالم هنا وهناك، ويرجسون سياسة هذا البلد أو ذاك، بالترغيب والترهيب خدمة لسلطانه، هذه حقيقة العولمة اليوم، التي تقصد إلى صهر كل الشعوب والثقافات والمذاهب، وسائر الخصوصيات في خدمة الدولار، ولا نسمح بوجود أي شيء بتفرض أطروحتها الطاغية المتوحشة! ومن هنا فكل مشروع إصلاحي لم يراع ذلك ضلّ وهلك! والإسلام في عهد الرسالة - وهو يتزل من رب العالمين الفاهر فوق عباده - راعي نوازن القوى الداخلية من فريش وأحلافها من العرب، والقوى الخارجية من فارس والروم؛ فبنى دولته بين ذلك جميعاً ببناء أصولها الأولى، دعوة على المستوى البشري أولاً، عقدياً وإيمانياً واجتماعياً، ثم زفَى بها - على المستوى البشري عالمنا - شيئاً فشيئاً، حتى تخضعت الدعوة عن دولتها في إبانها، والداوس للسيرة النبوية ومرآحتها بدرك سنة التدرج الرباني بالدعوة الإسلامية، كيف انطلقت من القرآن إلى العمران، عبر بناء الإنسان والإنسان أساساً، فكان من أمر الله ما كان.

ومن ثَمَّ فإن قضية الأمة اليوم في هذه المرحلة التاريخية ليست في البرامج التفصيلية بالدرجة الأولى، هذه قضية الأجيال اللاحقة، وهي فقه مرحلة التمكين للإسلام والمسلمين، المبشّر به في القرآن وفي سنة سيد المرسلين، وهي من حيث

طبيعتها العلمية ليست ذات خطر عظيم. الفضبة اليوم هي أن يكون الناس مسلمين حقاً مسلمين لله رب العالمين، كيف وهذه الأيديولوجيات اللادينية ما تزال تنازع الدين وأهله مشروعية التوجه والوجود في كثير من بلاد العرب والمسلمين؟!

وعليه؛ فالإنسان المقصود بالدعوة الفطرية؟ على المستوى الفبادي - نوعان:

إنسان فاعل، وإنسان متفاعل.

فـ « الإنسان الفاعل » : هو العالم الرباني الحامل لرسالة القرآن، الفقيه المجدد، الداعية الحكيم - كما سيأتي بيانه خلال فصول هذا الكتاب - فخطابه هو على وزان خطاب القرآن عام شامل، يحمل إلى المجتمع - بكل شرائحه وطبقاته - كليات الدين، وأصوله الإيمانية والعملية، وفيه الأخلاقية، تلاوة وتركبة ونعلبشا؛ ولذلك كان هو الإنسان المركزي في دعوة الفطرية.

وأما « الإنسان المتفاعل » : فهو الإنسان المتلقي لخطاب الدعوة عن الإنسان الفاعل، ليحملها باعتباره فاعلاً أيضاً، لكن في مجال منخصص محدد، كالمجال التعليمي، أو المجال الإعلامي، أو المجال الاقتصادي، أو السياسي... إلخ. فالإنسان المتفاعل إذن هو: إنسان التعليم، أو إنسان الإعلام، أو إنسان المال، أو إنسان الاقتصاد، أو إنسان السياسة... إلخ.

والناظر في فؤاد العمران البشري، المنحكمة في نسجه الاجتماعي العام، يجد أنها ترجع إلى أربعة أسس هي: التعليم، والإعلام، والاقتصاد، والسياسة. إلا أنها ليست جميعها على نساوٍ فيما بينها، بل تتميز الأُسُس الثلاثة الأولى (التعليم، والإعلام، والاقتصاد) بكونها عملاً بنوياً شغنياً على المستوى الفاعدي، بينما يتميز الأساس السياسي بكونه عملاً فوقياً، وبين الثلاثة المذكورة علاقة جدلية قوية جداً، أخذاً وعطاءً. ومن هنا كانت الأولوية الدعوية في المنهاج الفطري - باعتباره دعوة إسلامية تحنكم إلى سنة التدرج - إنما هي للعمل النبوي النحني، لكن طبعا دون إغفال أهمية العمل الفرقي في علاقته الجدلية بالآخر.

ولذلك وجب أن نكون الأُسُس الثلاثة الأولى هي المبادئ الرئيسة للعمل الدعوي في علاقته بالإنسان المتفاعل؛ إذ من سيطر عليها صنع السياسة، ومن سيطرت عليه صنته السياسة!

وأما محاولة صناعة السياسة بغير السيطرة عليها كلياً أو جزئياً، أو على الأقل الحضور الميداني فيها؛ فهو ضرب من العبث، خاصة في الظروف العالمية والحالية المعاصرة، والعمل فيها اليوم إنما يجب أن يكون من خلال البرامج الدعوية أساساً. فالعمل الدعوي هنا هو العمل النبوي التحني، العمل الذي يشتغل في الميدان العملي في ظروف سيطرة الآخر عليه، وقد يختلف ذلك نسبياً على حسب طبيعة الميدان وإنسانيته.

فندخل الدعوة معركة التعليم بما هو وظيفة نبوية رئيسة، وذلك من خلال الاشتغال بإنسان التعليم أساساً، من التلميذ إلى المُدرِّس، إلى أولياء التلاميذ وجمعياتهم، إلى المؤسسة التعليمية برمتها، المكلفة بهذا القطاع الحيوِّي الخطير، جهويًا ومركزيًا، ندخل ذلك كله داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، ونشتغل فيه وبه، ممارسةً ومُنتجةً لكن على المستوى الفاعدي دائماً، وفي ذلك ما فيه من المكاسب الكبرى للإسلام ما لا يدانيه شيء آخر على الإطلاق.

كما ندخل الدعوة معركة الإعلام بما هو ميدان للبلاغ الدعوي ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيَسْخَبُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْثِمَ ﴾ [إبراهيم: ٥٦]. والإعلام هو ربيب التعليم؛ إذ هو عمل في الإنسان أيضاً، وصناعة لعقله ووجدانه، إصلاحاً أو إفساداً! ومن هنا أهميته وخطورته على المستوى الدعوي؛ ولذلك فهو مجال وجب أن ندخله الدعوة على الوزان الأول أيضاً، أعني: داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، ونشتغل فيه وبه، ممارسةً ومُنتجةً.

فوسائل الإعلام اليوم رغم سيطرة التوجهات اللادينية على كثير من موانعها الإستراتيجية، فإنه من الواجب على أصحاب العمل الإسلامي التدافع حول اعتلاء منابرها، لرفع كلمة الله، والصدع بدعوة الحق، ولا ننسى أن الوسائل المتاحة من شبكات الإنترنت والأشرطة السمعية والبصرية قد يبارك الله فيها، فتحرز بها الدعوة من المكاسب ما لا يحرقه المنقلب بفضائياته العظمى، فالمعركة الدعوية إذا تحقن أصحابها بإخلاصهم لله، تولاها الله جلَّ علاه، وبارك فيها، وجعل قلبها كثيراً. ثم ندخل الدعوة معركة الاقتصاد أيضاً، داعيةً ومُدافعةً ومُنافسةً، ونشتغل فيه وبه، ممارسةً ومُنتجةً.

ونخوض معركة نزية للمستهلك أولاً، ثم دعوةً ونكوناً للمستثمر والمنجج ثانياً؛

لإشاعة قيم الإسلام الاستهلاكية والإنجابية على السواء، في اتجاه أفق السيطرة الدعوية الجزئية أو الكلية على الإنتاج الرئيس وعلى السوق، لكن دائماً على مستوى العمل الربوي القاعدي، المشتغل بصناعة رجل الاقتصاد المؤمن، ورجل المال المؤمن، ورجل الأعمال المؤمن، أكثر من الاشتغال بسياسة الاقتصاد العامة، فلماذا هذه نكون بذلك ولا عكس. الرهان اليوم على إصلاح «إنسان المال»، الأخذ والمعطي سواء، استهلاكاً، وإنتاجاً؛ فصد الإسهام في توجبه دفع التدافع المالي شيئاً فسيقاً، على المستوى المحلي ثم العالمي عندما يأذن الله.

وأما العمل السياسي فيكتفى فيه بمخاطبة إنسانه بكلمات الله، بعنفها الغيبي وامتدادها الأخروي، دعوة ونوحيها، دون عمل ولا فصد إلى منافسته في مغائره ومناصبه، ولا حتى العمل بنا يشعره بذلك من الدخول في منافسات انتخابية ضيقة أو تحالفات حزبية خاسرة، تؤدي في النهاية إلى محاصرة الدعوة ورجالها؛ إذ المقصود في الدعوة الفطرية - في هذا المجال - إنما هو «الإنسان السياسي» شتى أطرافه، من «اليمين» إلى «اليسار»، ومن «المعارضة» إلى «الأغلبية»، ومن الميداني إلى الإداري. كل أولئك جميعاً موضوع للعمل الدعوي؛ عسى أن يستعيد فطرته.

نعم، نعمل الفطرية في دعوتها للإنسان السياسي على تغليب فضله على نقصه، ونصرة خبره على شره، وحقه على باطله، ثم دفع كبده بإخلاصه، لكن دون أن نكون هي طرفاً في صراع الحفائ والمناصب، بل الرهان على أن يستجيب كل من موقعه لكلمات الله أو ليس كلهم حقيقاً بني آدم؟ ألبسوا معنيين بخطاب القرآن وبدعوة الإسلام؟ ألبسوا مسلمين؟ مهما كانت أحوالهم بين الصلاح والفساد؟ نؤرفهم حفيفة الموت، لو أوفقهم الخطاب الدعوي على مفهومها الإسلامي، وما يترتب عليه من الحقائق الإيمانية والمآلات الأخروية؟

إنني على بغبن بأن الدعوة الإسلامية بصيغتها الفطرية سنجد مكانها بين أولئك جميعاً، ونصنع نبارها من كل الأطراف؛ لأن السياسة الحزبية بصورتها الحالية إنما هي صنعة بشرية «براجماتية» آتية ما نكون بالطائفية؛ خلجوها في الغالب من المصالح العامة الحفيفة؛ اللهم إلا ما كان شعاراً وكفى، فمصالحها إنما هي لبعض الناس لا

لكل الناس، بينما الدين هو كله لله، وما كان كله لله عاد فضله على كل الناس ﴿فَظَرَأَنَّهُ إِنِّي فَطَرْتُ النَّاسَ عَلَيْنَا لَا بَدِيلَ لِحُكْمِ اللَّهِ ذَلِكَ أَلْبِسْتُ الْعَوَمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢٠] .

المقدمة الخامسة

في ولاية الله وتدير الشأن الدعوي

واجب الوفاء اليوم هو صناعة المسلم العبد لله الواحد الفهار، كل المشاريع الدعوية يجب أن تدور حول هذا المدار، وكل البرامج الإسلامية يجب أن نخدمه. وقد نغفر في الكتاب أن الله تعالى إذا أخلص له عباده نولاهم ونصرهم، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وإلا فلا، مهما خاضوا في عجيج السباسات وانخرطوا في ضجيج التفاهات! ولاية الله باب الخروج الأوحى بالعمل الإسلامي من أزمنة، وباب الوصول به إلى غايته، وما زاده العذرل عن هذه الوجهة إلا خيالاً.

إن العمل الإسلامي الذي لا بنولاه الله لا يصل الغاية أبداً؛ فإذا نولى الله عبداً أو فوما؛ بما حفوا من نغرد لله وإخلاص له وحده دون سواه، كفاهم كل شيء، ﴿الْبَسَ اللَّهُ يَكْفِي عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُبِلٍ﴾ [البس: ٣٦، ٣٧].

ذلك فاعده كلية استفرابة فخرى مجرى الفوائن الراسخة في الكتاب والسنة، ويكفك منها نوله تعالى: ﴿إِنْ وَلِيَّ اللَّهُ أَلْحَى نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ بَنُو الْأَصْلِيَّةِ﴾ [الذين ندعون من دونه]. لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم بصركم ﴿[الأعراف: ١٩٦، ١٩٧]﴾. ومن هنا قرر سبحانه أن مبر ورائة الأرض فدر ثابت لا يتغير، فجعله في «عباده الصالحين» خاصة؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنُهَا جِبَادِي الصَّالِحِينَ﴾ [إِنْ فِي هَذَا لَبَلَاغٌ لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [قل: ١٠٨ - ١٠٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَتَّخَذَ الْأَوَّلَ مِن قَبْلِهِمْ لِيَرْبِّهُنَّ لِيَكُونَنَّ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥].
وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَدَّعْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الصَّلَاةَ وَيُدُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ يَقْبَلُونَ﴾
وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ [المائدة: ٥٦، ٥٥]. ذلك فذكر الله السابق
في علم الله، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْغَرَضَيْنِ﴾ [إبراهيم: ١٢٢] ثم
التصويران ﴿ذِينَ جَعَلْنَا لَهُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

ومعنى الولاية هنا: إنما هو راجع إلى تولي الله لمن تولاها؛ أي أن الله - جل
علاه - يتخذ هذا الإنسان، أو تلك الدعوة، أو أولئك القوم، من جنده ومخاصمته، بما
رضي عنهم ورضوا عنه، وبما أخلصوا له العبادة والعمل، فعلاً وفصلاً، فنجردوا من
كل الأهواء، ونخلصوا من كل الأدواء، ظاهراً وباطناً؛ فجعلوا كل شيء لله، ولم
يجعلوا من أمر الدين والدعوة شيئاً لأنفسهم البتة، فلم يكونوا في ذلك كله إلا لله
وبه، لا شبهة ولا شائبة، فإذا صَفَّوْا على ذلك أُلْفِيَتْ عليهم محبة الله، وهو مقام
الولاية الحقا ودون ذلك ما دوره من مسائل المجاهدات، ولكنه يسير على من يسره
الله له. والبسر فيه يكون على قدر ما أضمر العبد من الصدق لله في طلبه، والتجرد
له - جل علاه - في القيام بحقه ومراده. وإنما الموفق من رفعه الله.

وسبيل الولاية بهذا المعنى واضح جداً من الآيات الآتية الذكر. ولنا أن نزيدنا
بياناً بحديث الولاية المشهور، وهو المروي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ» وَمَا
تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ بِمَا اقْتَرَضْتُ غُلْبَتَهُ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ
بِالتَّوَّابِ حَتَّى أُجِيبَهُ، فَإِذَا أُخْبِرْتُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَيَنْصُرُهُ الَّذِي يُنصُرُ بِهِ،
وَيَنْذَرُهُ الَّذِي يَنْذَرُ بِهِ، وَرَجُلُهُ الَّذِي تَجَلِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظَمَتِهِ، وَلَيْسَ اسْتَعَاذَنِي
لِأَعْظَمَتِهِ» (١). ومنه أيضاً قول النبي ﷺ: «كَمْ مِنْ أَشْغَتْ أَعْيُنَ، ذِي طَلْمُزَيْنِ، لَا يُؤْمِنُ
لَهُ، لَوْ أَهْنَمْتُ عَلَى اللَّهِ لِأَيَّزُهُ» (٢) وهذا المعنى العظيم في الكتاب والسنة كثير.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي والضياء عن أنس مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير حديث
رقم: (٤٥٧٣).

ومن هنا ينبغي أن نجاح العمل الإسلامي رهين - أولاً - بمرافة فصد الله في التفكير والتدبير، ومشروط بتحرير مراده تعالى من عباده في علاقتهم به تعالى وبدينه، ثم مراعاة أولويات الشريعة كما عرضتها نصوص القرآن والسنة، قبل أولويات السياسة، وجعل هذه محكمة بذلك في الدعوة والعمل، إلا ما استثناه الدليل، وانقضاء الفقه السليم للدين.

فإذا حصل للصف الإسلامي ذلك على الإجمال، نبين له فاعدة مهمة جداً في فقه الدعوة. هي من القواعد الكبرى في الإسلام وهي: أن تدبير شأن الدعوة في الأرض إنما هو من شؤون الربوبية، لا فبادة للإنسان فيه - على الحفظة - ولا ريادة وإنما المؤمن فيه جندي من جنود الله وعبد من عباده هكذا وصف الله عباده في هذا السياق خاصة، كما مر في الآيات السابقة ثم إن آية الدافع الإصلاحي في القرآن نفذي بهذا الأمر فضاء. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. ويفصلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. ويفصلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. ويفصلها قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فالفاعل - على المستوى النحوي - في الآيتين معنا واحد، هو: الله ﷻ فالمصدر (دفاع) - أو (دفع) كما في رواية حفص - أضيف إلى فاعله، أي إلى لفظ الجلال: (الله)؛ فيعمل غنل فاعله؛ فانخذ مفعولاً به، هو: (الناس). فالناس مضافون، ومضافونهم، كلهم جميعاً في هذا السياق، مفعول به بفعل الله وتدبيره سبحانه، فهو الفاعل للإصلاح والمُؤدِّرُ لأمره، وما الناس في ذلك إلا عبيد، وإنما غاية أمرهم أنهم مبتلون في هذا الشأن بكسبهم: ما بين عبد جندي لله، وما بين عبد منعد على الله.

هكذا قرر القرآن أمر الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وهكذا شاهده الأنبياء والصديقون، وهكذا عاشوا

ولنا أن ننأمل ذلك بوضوح في فصوص القرآن الكريم. ومن أبلغ نماذجه في الكتاب

تقدمت وموافق من قصة موسى عليه السلام التي تتضمن من القواعد الدعوية حوكماً بالغة.
وذلك يليان:

إن أول أمر يستوفى الفلاس في قصة موسى عليه السلام هو: تصويره ثمانية العيب
والشهادة في تدمير أمر الدعوة إلى الله! ذلك أن الله حلّ علاء بقرر حقائقها بصيغة
الماضي البال - في القرآن - على عصي الأمر العظيم، والكتوب القضاة، مما قضاه
الله ولم يدره من الأول - سبحانه حلّ علاء كما يسي لجلال وجهه وعظيم سلطانه =
لأن ذلك من حوامس وجهته تعالى، فخص عليها سبحانه الترتيب الإلهي الحكيم،
والشهر الرباني العظيم، لشأن الدعوة وإصلاح الأوس، من بعد ما ملأها مروعاً
وملاء حساقاً معاً، الترتيب لذلك من قبل ملاء موسى نفسه حيث عيا الحق
سبحانه حريصة الإصلاح كاملة، ثم بحث وسدّه في بني إسرائيل عدا صفلاً لقضاء
الله وقدره على سبيل الانتلاء ثم يتبرمه، ويخرج به وملائه بهذا الأمر العظيم
فتزلزل الأحداث بعد ذلك ترى على الأرض، حفتاً حدثاً على مقتضى تدمير الله
وحكمته، فحريصة القصة العجيبة كلها مرسومة في السماء، محسومة في عالم
العيب، والمؤمن الناظر بعين الله يرى هذه الحقيقة، وإن لم ير تفاصيلها، ويشاهد أن
قواعد الشأن الدعوي، والقواعد الإصلاحية هي في السماء وأن عالم العيب هو
المتحكم في عالم الشهادة والعكس هو صحيح! ولذلك فهنا يمكن للواقع من
إكراهات - لا يحور بصحتها - وتصادف مع ذلك يحاول مما أتاه الله من إيمان وعلم
بأنه وشريعته! أن يطر في مراد السماء بما ينصبه من إكراهات الأرض، فكما أن
الأوس صرورتها للسماء أيضاً فصارتها بضره، يسر له براع هذه القصة الإلهية
في تدمير الشأن الدعوي تحفظ كتباً في السيرة، وحصل به باب الخروج من الضلال،
إلا ما شاء الله.

والهيك الآن طرأ من قصة موسى عليه السلام، عيا يبي كيف أن الله حلّ علاء قد عيا
كل شيء من أمر قصته ودعوته قبل بحثه حتى إذا جاء القرآن برؤى تعالى وولاتها
شنيعة، ومثيرة على مكتبة، تماننا كما نرؤى أيات القرآن معرفة على شكنب ترتيب
رباني متسلسل عميقاً، وذلك في خبر، سبحانه كسبه موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ

[illegible]

ومن ثم فرى بالي الفضة على من شجع الخصم في ما حزن نصره بما وبسحلا
ليس به ولا غيره بالبناء العربية انشأه لأمر حموي وأمر اندر في وقتك
بفس ١٠ أفت انت يا لوتو يا لوتو لا فية به دكه ١٠ نعمتا بل يرضى بل طلق ١٠
فكلا لم ولا ليا لوتو يندكرو بفس ١٠ كالا رتا بفا دكلا بمر حنا لول بكن ١٠
قال لا دلا بل سحفا لنت وارب ١٠ ١٠ ١٠ ١٠

وعليه ان موسى افلا من بعد ما شاهد من معة الله تعالى ما شاهده وتحقق من
انه تعالى هو وحده الباقى في كل شيء بما افلا موسى هذا عقرب صراطه كانه له من
الشهد النبوي ما قطع فيه اعراف في حسمه واخره صرح القرد من فسمه وبظهر ذلك
جدا في اشد المواقف وانصرجه من حسمه هي لانهر الأحداث من مقادة حسم
ومود موسى بقوله بالى تعالى: ﴿فَمَا تَزِدُّهُمْ عَلَيْكَ﴾ قال لست مؤمن به
فما تزدده \odot قال لا من زده سبيبه \odot مؤمنه ان مؤمنه لو انشبه بصفاته
التر فاعلى فكان كل مؤمنه انشبه انشبه \odot ولكن لا انشبه \odot انما مؤمن
من شمه انشبه \odot لا اعراف انشبه \odot لا في زده كذا \odot كذا اكثره كذا \odot فلا

رَبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ الشُّعْرَاءُ: ٦١ - ٦٨ ﴾. هكذا فررها موسى ﷺ: ﴿ كَلَّا إِنَّ مِنِّي رَفِي سَبِّينِ ﴾ مبينا ضرورة استحضر ثابثة الغيب والشهادة في تدبير الشأن الدعوي بما فصلنا وبيننا.

وهو عين ما سلكه محمد رسول الله ﷺ في قصته وفي تربيته لأصحابه؛ وذلك على أكمل ما يكون المثال، لمن تدبر قصته في القرآن، ودرس مراحلها وترتيب وفائدها في سيرته، عليه أطيب الصلاة والسلام. ويكفيك من تقرير هذه القاعدة في سيرته ﷺ وهو في أشد مراحل محنته، وقد اشتد البلاء بأصحابه المستضعفين آنذ في مكة - الحديث الصحيح الذي يرويه الصحابي الجليل خباب بن الأرت ؓ، قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بؤدة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا نستنصر لنا؟ ألا ندعو لنا؟ فقال: « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيخفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين؛ ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه؛ فما يصده ذلك عن دينه؛ والله لينين هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه؛ ولكنكم تستعجلون! » ^(١).

وغير ما مرة كشف النبي ﷺ لأصحابه مآل دعونه كما هو ثابت في سيرته الصحيحة وما سوف يحققونه من نصر، وما سوف تمتد إليه خيولهم من فتوح، فقد وعد أصحابه امتداد سلطان الإسلام؛ ليستوعب ما بين مشارف الأرض ومغاريها، حتى يشمل كنوز الفرس والروم، قال لهم ذلك وهم يعانون آنذ من الخوف والجوع، في ضيق الحصار الشديد على المدينة من غزوة الخندق.

ومثل هذا في السيرة النبوية الصحيحة كثير... والعجيب أنه ﷺ لا يذكر لهم غالباً إلا وهم في أشد مضايق الابتلاء والاستضعاف؛ وذلك ربطاً لهم ولدعوتهم بثابثة الغيب والشهادة في تدبير الشأن الدعوي، واستناداً إلى الله - جل وعلا - ونوكلاً حقيقياً عليه، ونجراً من كل حول وفوة؛ مما قد يوقع الداعية في العجب والغرور؛ فيحبط عمله، وترفع عنه ولاية الله ثم يكون من الخاسرين ديناً، ومن المهزومين دنياً والعباد بالله!

وما أفسد العمل الإسلامي شيء، ولا أخرجه عن مقاصده التعبدية، لدى كثير من الجماعات والتنظيمات؛ بما رفع ولاية الله عنه - تسديداً وتأييداً ونصرة - مثلاً لإفساد أصحابه له؛ بالحرص على تحقيق الذوات واستعراض العضلات.

المقدمة السادسة

في السياسة والقصاص الإسلامي المعاصر

والذي بظن - بعد ذلك - أننا بهذا المنهج سنقاطع السياسة، فهو يعاني من مشكلة في مفهوم « الدين » إن الدين - بما هو خضوع لله رب العالمين - يتضمن تصورات ومواقف سياسية في كل شيء؛ من أصوله إلى أدق فروعها! فإن « نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » سياسة، وأن نسجد لله، ولله وحده، سياسة، وأن نستجيب لنداء المؤذن كل فجر سياسة، إن السياسة مارية في الدين (سريان السمن في الحليب) على حد تعبير المغاربة. لكن نريد فضايها في العمل الدعوي وعرضها على أنها هي الدين، أو على أنها عمود الدين، انحراف عن منهج الدين وهو ما سمناه من قبل بالتضخم السياسي^(١).

إننا نسمى بهذا المنهاج الفطري إلى إنتاج سياسة نسوس السياسة ولا نشغل بالسياسة أو بتعبير المناطقة: سياسة حاضرة « بالقوة » في كل شيء، وإن لم نحضر « بالفعل » في كل شيء، وبذلك نكون - بإذن الله - موجهة لكل شيء ومعناه أن علينا أن نصنع السياسة بصناعة الدين؛ لا أن نصنع الدين بصناعة السياسة، كما نفعله كثير من الحركات الإسلامية اليوم! وبين المعنيين فرق كبير، بل هي معادلة ذات طرفين، مفتضاها: أن الدين في الطرف الأول أصل والسياسة فرع، وهو في الطرف الثاني فرع والسياسة أصل! كما أنه في الطرف الأول مصدر إنتاج حاكم؛ فبكون له الأثر البالغ في مفتوجه على موازينه الشرعية ومقاصده التعبدية، بينما هو في الطرف الثاني مجرد منتج محكوم، خاضع لضرورات الفعل السياسي وأهوائه.

(١) البيان الدعوي والتضخم السياسي للمؤلف.

ولذلك ما له من آثار على المستوى التصوري والتربوي لأبناء العمل الإسلامي ودعائه على السواء؛ سلباً أو إيجاباً على حسب موقعهم من المعادلة المذكورة.

وهذا التصور للمسألة السياسية في العمل الإسلامي ليس ضرباً من النظر الطوباوي أو النهم الخيالي، بل هو عين الفعل النبوي في بناء دعوة الإسلام، ثم هو تجربة وفعت بالفعل في التاريخ المعاصر للعمل الإسلامي. حيث كانت لها نتائج دعوية متميزة في مشروع تجديد الدين في المجتمع، وآثار واضحة في إرساء التوازن السياسي بأوطانها لصالح الدين وأهله، في سياق مشروع دعوي مندرج على موازين الأولويات الشرعية، ولم يكن هذا المنهج حكماً على جماعة بعينها في العالم الإسلامي، ولا على نبار إسلامي معين بمفرده، بل قد اشترك فيه أكثر من مدرسة ونبار، وإن كان ذلك على اختلاف بينها في مراتب التحقق من منهجه وفواعله. وليس معنى هذا أننا سننقل تجربة هذا الاتجاه أو ذلك، أو أننا سنستورد هذا (السيناريو) أو ذلك، كلا قطعاً؛ لأنه ييسأط (لا يمكنك أن نسبح في النهر مرتين) كما قال الحكماء. وإنما نورد التجارب مورد القصص للاستنباط والاعتبار، واكتشاف سنن الله في أسرار التحولات الإنسانية والاجتماعية، على ما دلنا عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وللقصص في القرآن أثر عظيم في الدلالة على سنن التاريخ وفوائده العمران البشري.

ذلك هو منهج القرآن، وتلك هي طبيعة الدعوة النبوية، كما نواترت سننها في كتب الحديث والتفسير، ثم تلك هي طبيعة الدين في كلياته وأصوله. وما ينبغي أن نكون أصول الدعوة إليه إلا على موازينه، لا على موازين غيره من الأدبيات الدخيلة، والمفاهيم الأرضية المستوردة!

ومن هنا؛ فإنه لا ينبغي أن نضرب بكل مكتسبات العمل الإسلامي المعاصر عرض الحائط، كلا، فهذا إما هو جهل أو غرور! بل لا بد من الاستفادة من كل مكتسباته الإيجابية في بعث التجديد المثقلة عند العودة به إلى فطرته وأصالته. ولا ينبغي أن نستثنى من ذلك تجربة أو جماعة أو نبار. بل كل طائفة إسلامية عندها من الحق كما عندها من الباطل على قدر بعدها أو قربها من موازين الشريعة وأولويات الدين وفواعله. وصحيح أن الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة فيه الغلبة

والكفاية، لكن القرآن علمنا أن التجربة الراقية مهمة جدًا في تمحيص الدعوة؛ لما تنبئه للمرافب الحصبف من النظر في طبيعة الذجاف والإخفاف، عند تخفبق مناط المفاهيم والأحكام، في مجال الدين عمومًا ومجال الدعوة إليه خصوصًا؛ ولهذا فص الله الفصص في القرآن: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَاءَ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ وَتُقْصِلَ كُلُّ مَنٍّ وَهَذَى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سيف: ١١١]. ولا شك أن تجارب الحركات الإسلامية المعاصرة هي من «فصص» هذا العصر، فلا بضرب عن كسبها إلا جاهل بسنن الله في التاريخ. والناظر في كسب العمل الإسلامي المعاصر يستطيع نصنيفه - باعتبار آخر - إلى ثلاثة أصناف على الإجمال، كل صنف منها اختص بجانب إيجابي في الدين والدعوة، وبرز فيه حتى كانت له فيه الرهادة والإمامة، بينما ضعف في جوانب أخرى، ضعفًا أدى به في بعض الأحيان إلى الاختلال.

والأصناف الثلاثة للعمل الإسلامي المعاصر هي: المدرسة السلفية العلمية، والمدرسة الحركية التنظيمية الإصلاحية، ثم المدرسة الدعوية ذات الطابع التربوي الصرف. والاستفادة من ذلك كله في سباق تجديد الدين على موازين الفطرة، مما فوره الكتاب والسنة، راجع - في نظرنا - إلى الإمكانيات التالية:

أولاً: الاستفادة من الإيجابيات التي حففتها المدرسة السلفية العلمية في مجال نصحيح المفاهيم العقديّة، ونصنيفها من الشراكبات والخرافات، وما أنجزه من مجهود مشكور في مجال التحقيقات الحديثة، مما كان له أكبر الأثر في نصفيه التراث الإسلامي على العموم.

ثانياً: الاستفادة من إيجابيات المجهود الفكري في مجال الدراسات الواقعية والسياسية، مما أنجزه مفكرو الحركة الإسلامية الحديثة في العالم الإسلامي، وما أسهموا به من تحليل لمعطيات الواقع العالمي والإقليمي، ولما يتهده من أخطار وأضرار؛ بما أنتج منهجًا متميزًا لفقه الواقع، مما لا مناص عنه للداعية في سباق تخفبق مناط الأحكام الدعوية، وما يعتبر الإعراض عنه ضررًا من الجهل بطبيعة الدين، من حيث نزل؛ لينحفي في إطار الزمان والمكان، وليجري على موازين العادات في سنن التاريخ، وما تفتضيه ضرورات الواقع البشري.

ثالثاً: الاستفادة من التجارب التربوية الناجحة، التي حَفَفَها النِّبَارُ التربويُّ الروحيُّ، في كُلِّ من جماعة الدعوة والنبيلِ، ذات الطابع الفطريِّ البسيط، وجماعة النور المركبة ذات الطابع الفرآني العميق، التي أسسها مجدد الدين بيلاد الأناضول الأستاذ بدیع الزمان سعيد النورسي رحمته الله، وطورها خَلَقُهُ الداعية الحكيم الأستاذ فتح الله كولن.

وكما نعلم أنَّ لكل مذهب عَقْلَاءَهُ وَحُكَمَاءَهُ، فإننا نعلم أيضاً أنَّ لكل مذهب شُفَّهَاءَهُ وَدُهْمَاءَهُ، وكما نعلم أيضاً أنَّ لكل مذهب إيجابياته وإشراقاته، فإننا نعلم أيضاً أنَّ لكل مذهب سلبياته وَسَطَلَحَاتِهِ! وإِذَا الْحُكْمُ في ذلك جمعه كتابُ الله وسنةُ رسوله صلى الله عليه وآله ومفترضات أصول العلم وفواعله المستنبطة منهما.

ولذلك فإننا نكرر ونفر - مرة أخرى - أن استفادة الدعاة من التجارب الدعوية المختلفة، لا ينبغي أن تكون على سبيل النقل الحرفي لصيغها، وإنما هي من الناحية التاريخية « قَصَصٌ » للاعتبار. وإلا فلِلكل بلد خصائصه التي يكون إهمالها ضرراً من الجهل بطبيعة الدين نفسه وقد رأينا في « قَصَصِهِمْ » عِزّاً من الفشل والنجاح في أمر الدين والدعوة، وجِئنا بالغه، بما نشد إلى مثله الرجال.

وبعد هذا وذاك؛ فنحن نرى بناءً على استفراء واقع الحركات الإسلامية، وطبيعة الأزمة الإسلامية الحالية، في محتنتها وفتنها معاً - أن العالم الإسلامي مُقْبِلٌ - بحول الله - على « بِعْثَةِ نَجْدِيدٍ لِلدِّينِ » جديدة كما سنوضحه مفصلاً بحول الله بهذه الورقات. بعثة تجديد تستوعب التراث الحركي والدعوي الإسلامي المعاصر، ثم تتجاوزهُ إلى استيعاب أفاق المستقبل بحول الله، على ما نفترضه التغيرات العالمية الجديدة، مسترسدةً بهدي القرآن، وبياناته النبوية في الشأن الدعوي. « بعثة تجديد » نرى أن معالمها بدأت تظهر بالفعل على أرض الواقع، في عدة أماكن من العالم الإسلامي، لكنها لم تكتمل صورونها بعد. وهذا الكتاب إنما هو إسهام من جانبنا - على ما بصره الله - في البناء النظري والتطبيقي لبعض معالمها. والله الموفق للخير والهادي إليه.

المقدمة السابعة

في أقسام مشروع الفطرة

ومن هنا فإن مشروعنا هذا قائم على ثلاث مجموعات من النصابيف، جعلنا أغلبها ضمن سلسلتنا الدعوية: (من القرآن إلى العمران).

المجموعة الأولى: في منهج تجديد العلم ومفهوم العالم، وقد أصدرنا في ذلك كتاب (أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأسيس المنهجي) ؛ ورسالة (مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية) ؛ وذلك لأن المشروع الدعوي وهن بوجود العلماء المجددين أولاً؛ إذ هم مناط بعثة التجديد، كما ننص عليه نصوص القرآن والأحاديث النبوية المستفيضة. مما يبناه في هذا الكتاب وغيره. ثم هو وهن بتأسيس مدرسة علمية شرعية، تجمع ما بين (التأسيس والتأهيل) . التأسيس الذي يعيد إنتاج « الفقه في الدين » بمعناه الشمولي الأصل، ويجدد مناهج البحث في التراث الإسلامي؛ بما يجدد حركة الاجتهاد، ويجدد حركة تداول النص الشرعي بمنهج فقهي راشد، لا حرفانية فيه ولا نسب، والتأهيل الذي يُخَوِّج الطاقات العلمية الواعدة، ويَكُونُ المَلَكَات الاستنباطية الراشدة، ويدفع بها إلى آفاق الاجتهاد والتجديد؛ لبناء صرح الأمة العلمي في منهج فقه الدين وتنزيله.

المجموعة الثانية: في التأسيس النظري للعمل الدعوي، وهي راجعة إلى بيان طبيعة المتهاج الفطري، القائم أساساً على منهج التلفي التربوي للقرآن الكريم، وعلى التداول الاجتماعي لآياته ومفاهيمه. وبمثلها هذا الكتاب الذي بين بديك أساساً. أعني كتاب (الفطرة)، إضافة لما سبق أن أصدرناه في نفس الاتجاه من الكتب الممهدة له، مثل كتاب (التوحيد والوساطة في التربية الدعوية)، و (بلاغ الرسالة القرآنية).

المجموعة الثالثة: في مجالس القرآن وتلفي رسالته، وهو العمود الفقري لمشروعنا الدعوي على المستوى التطبيقي خاصة. وقد أصدرنا فيه رسالة (مجالس القرآن)، التي نرمي إلى محاولة بيان المنهج العملي لندارس القرآن الكريم وتديره، وطريقة بناء مجالسه، ومنهج تداوله على المستوى الاجتماعي. والعزم بحول الله معفود على جعل ذلك الكتيب مقدمة لدراسات تطبيقية في كتاب الله، ذات طابع تربوي، نفوم على مدارسة السور والآيات على «وحدات» أو حلقات، كل وحدة أو حلقة تشكل «نجلنا قوتنا» متكاملًا، وذلك على حسب ما يستوعبه المجلس الواحد من فضائه، في ظرف زمني قريب، لا إفراط فيه ولا تفريط، مما نطيقه طبائع النفوس، مع نسير طريقة التدبر للآيات، بصورة تربوية تعليمية، واستخراج ما نسير استخراجه مما ننضمه من هذى قرآني، ثم بيان مسلك التركيبة والتخلق بالصفات الإيمانية المتلغاة من الآيات المدروسة عند نهاية كل «مجلس».

ونحسب أن هذا المشروع بهذه الصورة المدرسية التعليمية، هو مما لم تتناوله كتب التفسير، وما تزال المكتبة القرآنية تعاني من فراغ في هذا الشأن خاصة. أما العمل فهو من الناحية المنهجية عين مجالس القرآن النبوية، وهو عين ما نواتر الخبر به عن مجالس أصحاب رسول الله مع أتباعهم، بعد تفرقهم في الأمصار للدعوة والجهاد. كما بيناه في محله. ^(١) وإنما نحن في هذا مفتدون متبعون. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَفْئِدَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولا شك أن كثيرًا من كتب التفسير تتضمن من بيانات الهدى القرآني الشيء الكثير، لكنها تحتاج إلى أهل العلم والاختصاص الشرعي لاستخراجها والكشف عن وجهها. نبدأ أن الغاية من هذا المشروع إنما هو عرض ذلك واضحا مفصلاً، بصورة مدرسية تربوية بنائية، ومرتبًا عبر رسائل بينة، سهلة التلقي للمتلفين، من غير المختصين بالشريعة أساسًا؛ فصد نعمم الاستفادة من كتاب الله جلّ علاه، على مستوى إصلاح النفس والجنس؛ تحفيًا لمناط آية وظائف النبوة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَسَّ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ صَلَواتُ رَبِّكَ وَبَرَكاتُهُمْ وَأَنْتُمْ كَذِبُكُمْ وَالْجَنَّةُ وَلَئِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

(١) ن. ذلك مفصلاً في كتيب مجالس القرآن: (٢٩)، وفي بلاغ الرسالة القرآنية: (١٦٦).

والفكر الرئيسة من كل ذلك هي قضية (الظلي) لرسالات القرآن؛ من حيث
نفسها لهدى الله حال جلالة لأنا حسب أن أكبر طلبة وتحت العالم الإسلامي
في هذا المصير هي لجان العدو في صلب الأمة من كتاب وبها القرآن العظيم
عشأت أحوال بعد ذلك من السنين - مع الأسف الشديد - لا تعرف القرآن
إلا ترهشا وتحرشا على شأ منها من ملأه وبها

والعقوة إليه لا تكون بحره تشجيع حفظه واستنهاه فحسبه وهو حل عظيم
وحليل بلا شك، وبسبب هذا نحن به وبخدمته ولكن - قبل ذلك وهذه - نكون
بمعيد شيء أساس في الأمة هو ما عرفنا به في الظلي ١ لهذا بعض الظلي
خلفه الإمامية، وسامية القروية، وصداية حنيفة، وأحكام الشريعة، وذلك
استنادا من هذا أليات قرآنية وأحدث حجة مصيعة من مثل قوله تعالى: ﴿رَأَيْتُكَ
تَكْفُرُ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَبِهَ ١ ص ١٦﴾، وقوله سبحانه: ﴿يَا مُتَّبِلْ عَلَيْكَ
فِرَاقٌ قَلِيلٌ ٢ ص ٥٠﴾، ثم استغراه شمع السي في التماس مع القرآن هو
وصفه الكراء. كما يراه مغلطاً ومغلطاً بأدله من قبله وكما سنبه هذه
البركات بحول الله ١٢١.

وهذا لا يكون إلا بالرجوع إلى مرجع القرآن حبه في عرض فصلها القرآن
وبمعنى الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه من الله، وصيحه أصدقه - رسول الله فهم - في
لقبهم من رسول الله، وهو معج واحد ثابت، لكن له غليات على حسب مقام
المتلقي وهو أمر مسطور في الكتاب لا يحتاج إلا إلى استعراضه وهو ما يحاوله هذا
المشروع بحول الله

وبالإضافة لآياته التي ملوحتها السي صلى الله عليه وسلم كانت معج الظلي ١ ولذلك كانت
أحد طائف النبوة الكبرى حجة في سببه، وحدثت مقصودة لذاتها وتعبها في سبيل بيان
وبسبب الإصلاح الديني، وقد صمد في الإسلام، كما هو واضح نشأ في أية الوظائف
الروية التذكيرة من قبل - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
فَلَا خِيفَةٌ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ١ ص ٥٠﴾، ودعا فكثر التلامذة في الجدل الديني
معدة بصلاتها على أنها أساس الدعوة في الإسلام، وعمر أنه الوظيفة الأم لنبلاء

(١) هو في الرسالة، الصلاة، معلى القرآن، وبلاغ الرسالة الترقية، وسيد محمد

النبي، وهو ما ورد في كتاب الله في أكثر من موطن، وبكفك من خاتمة سورة النمل، من قوله تعالى على لسان رسوله ﷺ مفرًا منهجه الدعوي بأسلوب الحصر المانع: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٩١-٩٣]. وَأَنْ أَتَقُولَ الْقَوْلَ الَّذِي آمَنَتُ بِهِ فَلَمَّا يَبْتَدِئُ نَفْسِي وَمِنْ سَلِّ فَقُلْ إِنَّمَا آتَانِي مِنَ السُّنَنِ ﴾ [٩٤]. وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَكَ رَأَيْتُمْ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبِّيَ يَعْمَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩١-٩٣] . ولكنها تلاوة ليست كأني تلاوة المتلفين للقرآن العظيم، الذين هم وحدهم لهم القدرة على إلقاء حقائقه الإيمانية في قلوب المسلمين وفي قلوب من شاء الله من غير المسلمين وتلك هي فكرة مجالس القرآن الكريم.

والآيات لمن نديرها جامعة مائة لما نحن فيه.

ونحن نؤمن يقيناً أن هذا المتهاج الفرآني القطري في التعامل مع القرآن المجيد، إذا تم تعميمه (بلاؤة وتزكية وتعليماً) على مفتضى الوظائف الثلاث للتبوة، وما يتفرع عنها من وسائل وبرامج، كان كقبلاً بإعادة تجديد دين الأمة بصورة ساملة، سواء في ذلك ما يصلحها في ذاتها لذاتها، وما يجعلها تنسرجع دورها الحضاري العالمي، وموقعها الريادي القيادي، شهادةً على الناس أجمعين؛ ديناً وشوكةً، واجتماعاً وسياسةً، وانصافاً وعمراناً ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيقِ أَمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

ذَلِكَ، وَمَا التَّوْفِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ.

• • •

الْفِطْرَةُ

بعثة التجديد المقبلة

من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

الفصل الأول

الْفِطْرَةُ مدخل إلى تأسيس القضية

• وفيه مبحثان:

المبحث الأول : « بعثة التجديد » دراسة في المفهوم.

المبحث الثاني : الفطرية نقلة نوعية ، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام.

الْمَجِّدُ الْأَوَّلُ

« بعثة الجديدي » دراسة في المفهوم

يرد مفهوم (البعث) في القرآن والسنة بمعنيين اثنين:

الأول: هو بمعنى إحياء الموات، كما في قوله ﷻ: ﴿ فَأَمَّا أَفْئِدَةٌ مِّمَّنْ عَمِيَ ﴾ [النور: ٢٥٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنصَبُوا يَافَاةً جَهْدَ آبَائِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَذَابٌ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَئِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [السل: ٣٨]. وقوله أيضًا: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ كَانَتْ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]... إلخ، فالبعث هنا فعل فدري نكويني يرجع إلى إرادة الله - جل وعلا - بإحياء الميت، وتعيد الحياة فيه؛ ليخرج من عالم الغناء إلى عالم البقاء، أو من دائرة العدم إلى دائرة الوجود.

ولا يكون البعث - بهذا المعنى - إلا بعد حياة سابقة بعضها موت؛ لما للمعنى (البعث) من دلالة على إعادة الحياة إلى من فقدها، وليس بمعنى نفخ الحياة ابتداءً، فهذا إنما هو (خلق) .

وأما البعث فهو: (إعادة خلق) ، كما هو مفهوم من النصوص السابقة، وفي قول الله أَيْضًا، في حق يحيى عليه السلام: ﴿ وَوَسَّلْنَا عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مر: ١٥] .

وأما المعنى الثاني لمفهوم (البعث) فيرجع إلى معنى (الإرسال) . وهو: تكليف الرسل بوظيفة البلاغ. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رِزْقُ الْمُهِلِكِ الْفَرَسِ حَتَّى يَبْعَثَ فِي أَهْلِهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا ﴾ [النصر: ٥٩]. وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعْزِّبِينَ

حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿ [الأنبياء: ١٥]. وقوله جل وعلا: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِطَارِيقِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [الأعراف: ١٠٣]. ونحو هذا وذلك في القرآن كثير.

فالبعض: هنا يرجع إلى معنى نكلفي، وأمر تشريعي تعديدي، بينما هو في الأول راجع إلى أمر قُدْرِي تكويني، إلا أن هذا المعنى الثاني يستصحب المعنى الأول من الناحية السببية، فلا يمكن تجريد اللفظ من إحياءاته الإحيائية، فكأنما ورود المبعوث على الأمة الضالة نوع من الغيث يحيي منها الموات، ويبعث فيها الحياة! ومن هنا كان قول النبي ﷺ: « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »^(١)؛ تعبيرا جامعا لكل تلك المعاني، فهو دالٌّ بالأصالة على تجديد البعة بالمعنى الإرسالي، أعني إرسال العلماء لا الأنبياء، وليس هو ابتداء وحشي، وإنما هو تعليم وحشي إعادة وتجديد، وهو دال بالتنوع على معنى الإحياء، فيبث المجددين إنما هو إحياء للأمة، ونفخ لروح القرآن فيها من جديد، حتى تعود إليها الحياة، وتتخطى من جديد في صناعة التاريخ. ومن هنا كان « العلماء ورثة الأنبياء »^(٢) كما صح في الحديث. هذا المعنى العظيم تؤكد به بصائر القرآن العظيم، وبشائر السنة النبوية، وحركة التاريخ.

ولا نكون البعة - بناء على ذلك - إلا عملية جذرية شاملة وعامة، سواء رجعت في البدء إلى شخص واحد، أو إلى عدة أشخاص، على الخلاف في تأويل معنى لفظ (من) الوارد في الحديث: (من يجدد لها دينها)، أهو دال على المفرد أم على الجمع؟ قلت: هو في جميع الأحوال آتٍ إلى الجمع، حتى ولو حملناه على المفرد. أعني حتى ولو كان المنطلق التجديدي فردا. ألا نرى أن أصل البعة النبوية في هذه الأمة إنما هو رسول الله ﷺ نبي واحد خاتم، ولكن مظاهر بعثته ﷺ تجذرت في جبل كامل من الصحابة رضي الله عنهم، تلك هي الموجة الأولى من البعة الأولى، حملت دفعة الوحي قوية، غشي الموات في الأرض.

ثم كانت بعد ذلك موجات متفرعة عنها، هي منها وإليها، وهي بعثات التجديد

(١) رواه أبو دارق، والحاكم، والبيهقي في المعرفة، عن أبي هريرة مرفوعا. وصححه الألباني؛ رقم: (١٨٧٤) في صحيح الجامع.

(٢) جزء حديث أخرجه أحمد، والأربعة، وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٢٩٧).

التي حصلت في التاريخ؛ إذ شهد جيل التابعين الكبار والصغار، ومن عاصرهم من أتباعهم أول عملية للتجديد، في أواخر المائة الأولى وبداية الثانية، من أمثال سعيد بن جبير (ت: ٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت: ١٠٤هـ)، وعامر الشعبي (ت: ١٠٧هـ)، والحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وفنادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧هـ) ... إلخ. وغيرهم كثير، ممن كانوا جيل التجديد الأول بعد جيل الصحابة؛ حيث نشروا العلم، وربوا الأمة، وبنوا أصول مدارس العلم وانجهاهاته، قبل تبلورها على أيدي جيل فقهاء الأمصار الكبار، الذين مثلوا بعثة التجديد للمرحلة الثانية، ولدورة جديدة من دورات التاريخ، من أمثال أبي حنيفة النعمان (ت: ١٥٠هـ)، وعبد الرحمن الأوزاعي (ت: ١٥٧هـ)، والليث بن سعد (ت: ١٧٥هـ)، ومالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت: ١٨١هـ) ومحمد بن إدريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، وغيرهم.

وهكذا عرف جيل القرن، عند النصف الثاني من كل قرن حتى نهايته، أو عند النصف الأول من القرن حتى أواسطه، بعثة تجديد الدعوة، من جوانب متعددة؛ منها ما يتعلق بالدين أصالة، ومنها ما يتعلق به نفعاً. فقد شهدت بداية القرن الثامن مثلاً؛ دعوة شيخ الإسلام نفي الدين بن نعيم (ت: ٧٢٨هـ)، ومدرسته التجديدية، من تلامذته المشهورين كابن القيم وغيره، كما شهدت نهاية القرن بعثة أبي إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) بالأندلس من الغرب الإسلامي، ومعه جيل من المجددين المعاصرين له، في مبادي شتى؛ كعبد الرحمن بن خلدون الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ) في تجديد علم التاريخ وفقه العمران البشري مثلاً ... إلخ.

إن القول بفردية المجدد، وحصر بعثة التجديد فيه؛ إنما هو نوع من التحكم، أو التعصب المذهبي ليس إلا! وكذلك التفسير الحرفي لـ (رأس المائة) من كل قرن بسنة محددة عينا هو أيضاً سوء فهم؛ لأن حركة التاريخ لا تكون وليدة سنة أو سنتين، بل هي نتاج عمر كامل، وإنما قد تبرز ثمارها بشكل واضح مع مطلع هذه السنة بالتجديد، أو تلك. ذلك أن نضج الإنسان ونشاطه التجديدي إنما يكون على امتداد جيل، أي على نحو ثلاثين أو أربعين سنة، وليس مختزلاً في سنة واحدة، وإنما يفهم حدث رسول الله ﷺ على هذا الوزن، فبعثة التجديد من قوله ﷺ: «على

وأُس كل مائة سنة؟ قد نتطلى قبل تمام القرن بسنة، أو سنتين، أو ثلاث، وقد نتأخر عن ذلك بنفس المقدار، مع مراعاة سائر الاحتمالات الممكنة في تحديد بداية العد، مما استدكره بعد قليل، ما دام المقصود أن الجبل المجدد للقرن - الذي قد بولد في أواخر القرن الماضي أو نهايته، أو في بداية القرن الجديد - هو حامل رسالة التجديد، وهو موضوع البعثة الحامل لرسالتها.

ثم بعد هذا وذاك، كيف بدء العد لتمام المائة سنة عدداً؟ ما هو رأس القرن الذي عليه مدار ظهور بعثة التجديد؟ هل هو بدء انطلاق دعوة المجدد السابق؟ أم هو نهايته ووفاته؟ أم هو مضي مائة سنة على لحظة الانكاس والانهباء الذي يتطلب التجديد؟ تلك أسئلة كلها واردة ومحتملة، وأغلب العلماء إنما عدوا فديماً (مائة التجديد) بالعد الهجري، وليس من تاريخ بدء البعثة النبوية، أي من يوم نزول (أفرأ)، وهو إمكان محتمل أيضاً، ولا من سنة وفاة النبي ﷺ وهو أيضاً ممكن محتمل أيضاً؛ حيث يبدأ النسبج الاجتماعي الديني في البلى شيئاً فشيئاً، حتى يبعث جبل التجديد عند نهاية القرن من ذلك التاريخ، وإنما كان العد - كما ذكرت - من عام هجرة النبي ﷺ وهو راجح أيضاً؛ لأنه صُلِبَ عهد البعثة النبوية، ومنعطف التاريخ لبدء التمكين للدعوة الإسلامية الأولى؛ ديناً ودولة في الأرض.

والعبرة في ذلك كله إنما هو بما يفرينا من تحفيق مناط الحديث - في زماننا هذا - على أقرب مقاد، بمكن الاستناد إليه في نبين ملامح بعثة التجديد المقبلة. فنقول بحول الله:

إذا نظرنا إلى بعثة التجديد السابقة في جبل القرن الماضي، أي القرن الرابع عشر الهجري وجدنا أنه قد شهدت بدايته إلى أواسطه حركة شاملة، ونهضة عامة، مع ظهور جبل الشيخ رشيد رضا، والإمام حسن البنا، وسيد قطب في مصر، والشيخ محمد إلياس في الهند، والأستاذ أبي الأعلى المودودي في الباكستان، وبديع الزمان النورسي في تركيا، والشيخ الطاهر ابن عاشور في تونس، والإمام عبد الحميد بن باديس في الجزائر، والشيخ أبي شعيب الدكالي في المغرب... إلخ، مع تلازمهم جميعاً، كلهم شكل بعثة التجديد لجبل كامل من العلماء المنتصبين للدعوة.

وبالعد الميلادي كان ذلك خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهي فترة

شهدت أحداثاً مهمة جداً بالنسبة للعالم الإسلامي، فقد كان عهد اكتساح الاستعمار الأوروبي، وإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية، ونزوح نركة الرجل المريض، ثم إنشاء الكيان الصهيوني بفلسطين كل ذلك كان مرحلة من سنة الله في التاريخ؛ لإنضاج بعثة التجديد، التي قاومت ظلمات الاحتلال الأوروبي، ثم امتدت بعده لتصفية آثاره، على المستويات الفكرية والعقدية والاقتصادية والسياسية... إلخ .

ولقد الآن لم يتكرر جيل من حجم جيل حسن الناء، وسيد قطب، وعبد القادر عودذ، وسعيد النورسي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد إلياس، ومحمد إقبال، وابن عاشور، وأمثالهم بهذا الاجتماع، وبهذا النابع والتكامل! ظهر أفراد هنا وهناك ولكن لم يصنعوا بعثة من جيلهم، بغدر ما كانوا امتداداً فكرياً أو تنظيمياً - وفي بعض الأحيان حرفياً - لحيل البعثة السابق، ليس إلا!

وأحسب أن الزمان قد دار دورة أخرى، وأن بعثة جيل الاستعمار الأول قد استنفدت أغراضها، من حيث تأثيرها التجديدي، كما أن التحديات قد اختلفت وتغيرت، ونعقدت، كما أن طبيعة المعركة صارت لها أبعاد أخرى!

ويمكن أن تعتبر تاريخ إسقاط الخلافة الإسلامية: (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) وانطلاق دعوة الإمام حسن البنا رحمته الله بعد أربع سنوات فقط من ذلك التاريخ أي حوالي سنة: (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م)، وكتابة النورسي لأول رسائله التجديدية في السنة نفسها، دون معرفة أحدهما بالآخر! وما صاحب ذلك من حركات واجتهادات مشابهة في العالم الإسلامي، عجمية وعربية، مما ظهر في نفس الفترة تقريباً من السوابق واللواحق، كل ذلك كان مؤشراً على أن البعثة التجديدية، كانت في عتوان موجتها الغوية آنذ، من مصر إلى المغرب ومن تركيا إلى الهند، وكل ذلك أيضاً كان عبارة عن دورة تجديدية واحدة، ذات طابع واحد في أسبابها وأغلب مظاهرها.

ومن هنا؛ فإنه يستقيم إلى حد بعيد أن تبني عليه في عهد المائة التجديدية؛ بلأ نحن مقبلون عليه بحول الله - كأمة - خلال القرن الخامس عشر الهجري.

والقراءة لظروف العالم الإسلامي اليوم، كما هي بادية من أحداث مرحلتنا التاريخية هذه، بآلامها وآمالها - ونحن نمضي نحو أواسط القرن الخامس عشر الهجري، في اغناهم إتمام المائة سنة على بدء دورة التجديد السابقة - تثبت أننا على

أبواب تحولات جديدة، هي في تاريخ العالم قد بدأت بالفعل؛ إذ يمكن اعتبار سقوط الاتحاد السوفياتي، وقرود الهيمنة الأمريكية الصهيونية على العالم أحد مؤثراتها، كما لا يمكن - في هذا الصدد - إغفال الانحياز الوجودي الأوربي، والتفاريات الوثنية الصهيونية، وكذا الانهيار العربي الفلطي ومقولاته السياسية والفومية، والإبادات الجماعية لشعوب العالم الإسلامي في كل مكان؛ ثم عجز الحركات الإسلامية في العالم - غالباً - عن مواكبة التحولات العالمية الجديدة، وإصرارها على المنهج السياسي التقليدي في النقد والاحتجاج، هذا المنهج الذي ورثت أغلب تفتياته التنظيمية والحركية؛ عن الأحزاب السياسية العلمانية البائدة، التي تشأت في ظل الاستعمار وتغيته، ولم يبق لها اليوم في واقع الناس إلا ظلال باهنة، هي أشبه ما نكون بأطلال الماضي لم نستطع الحركات الإسلامية في الغالب أن تخرج من جية الحزب السياسي، وتمودجه النضالي الدخيل؛ وإن ادعت أنها نفارقه ونرفضه، فإنما هي صورة تقليدية له، إما بصورة اجتماعية، أو - في بعض الأحيان - بصورة حركية؛ نعلقت الحركات الإسلامية التقليدية بعفدة الأنظمة الحاكمة، ومشكلة الديمقراطية في العالم الإسلامي، وضخمتها إلى درجة التدهس القلبي فانحصرت أفانها في دائرة الفعل السياسي الجزئي، وناهت في جزئيات الحدث اليومي الذي لا يعرف فرازا ولا استقرازا.

وأحسب أن التاريخ الجديد بمعطياته الحاضرة، وبملاحمه المستقبلية؛ قد تجاوز هذه المشكلات جميعاً، فلم نعد الأنظمة الحاكمة تملك شيئاً على الحقيقة، وباشر الاستعمار العالمي اليوم، في الصورة الأمريكية الصهيونية قمع الشعوب بنفسه، وبدون أي وكالة من هذا النظام أو ذاك!

ثم امتدت الآلة الإعلامية والثقافية والاقتصادية؛ لتستعمر الإنسان المسلم، في أحص خصائصه الوجدانية والعقدية والاستهلاكية؛ ليعيش على النمط الأمريكي، أو يسمى إلى ذلك، حتى صار على استعداد - في بعض الأحيان وفي بعض الأوطان - للتضحية بكل مقدساته من أجل ذلك؛ والآلة الاستعمارية الشمولية الجديدة، متمثلة في الكتلة الأمريكية/الصهيونية متهمكة في حرب شاملة؛ لندوب الباقي والشارد من الشعوب الإسلامية؛ في هالوك (العولة)، أو (حركة نهويد العالم)؛ هذه أشياء

نشاهدها على مرأى ومسمع من العالم، وحي البوم أظهر من أن نحتاج إلى دليل! (١)
لقد تمكن الاستعمار القديم من الأوطان، فقامت عليه بعثة تجديد مجاهدة، منامية
لفجوره وبجوره! فحاربت وجوده العسكري والأبديولوجي بعد ذلك بشنى
الوسائل. بيد أن الاستعمار الجديد تمكن من الإنسان قبل أن يتمكن من الأوطان!
فافتحم جسور البلاد بالشهوات قبل أن يفنحها بالمدركات والدبابات! وفقدت
الشعوب الإسلامية فونها على الصمود أمام الإغراء العولمي، وفقدت نمط عيشها
وطرائق استهلاكها، واحتوتها الفلسفة الأمريكية الشهوانية احتواءً كلياً إلا قليلاً!

نعم، إنهم معارضون لأمريكا، لكن بمعنى أنهم يكرهون ظلمها فقط، لا بمعنى
الكفر برؤيتها ونألهها الليبرالي، ورفض منهج حياتها، وطبيعة عيشها، ومن هنا كان
نفذهم لها عملية نفوسية جزئية، من داخل بنيتها، ومن خلال نمطها، لا من خلال
منظومة القرآن العظيم، ولا من خلال مفومات الشخصية الإسلامية المستقلة الأصيلة!
ومن هنا فإن بعثة التجديد المقبلة مدعوة إلى تحرير الإنسان قبل تحرير السلطان، وإلى
تحرير الوجدان قبل تحرير الأوطان! ولقد رأينا كيف أن أحزاب المقاومة للاستعمار القديم
في كثير من البلاد العربية والإسلامية، لما تخلصت من هيمنته العسكرية والإدارية
المباشرة؛ خلفته في شعوبها بكل ألوان الفسوق والعصيان، وإعلان التمرد على شريعة
الرحمن! وليس معنى هذا أنه يجب علينا أن نهادن الاستعمار الجديد، كلا بل نجيب
مقاومته، ولكن على أن يؤسس ذلك كله على البناء العفدي والجهاد التربوي. إننا في
حاجة إلى تنزيل جديد للقرآن؛ لكن هذه المرة ليس وحياً من السماء، فمحمد بن
عبد الله - عليه الصلاة والسلام - قد ختم بعثة الرسل. وإنما التنزيل الجديد: هو فتح
لحركة التداول الاجتماعي للقرآن، وذلك بأن يتطلق أهل البعثة التجديدية بآياته وحفائفه
في المجتمع؛ نصراً ونصيراً، وندبوا وندبوا، في دعوة ربوية بنائية شاملة (٢).

لقد كان الرسول الخاتم ﷺ في اللحظات الأولى من نزول القرآن عليه؛ في حاجة
إلى الإيمان بنفسه أولاً، وهذه قضية مهمة مستحاجة إليها فريثاً، ألم نر أنه خوطب -

(١) وذلك ما حدثنا به في كتيبنا (الفجر السياسي)؛ فرد علينا بعضهم بنوع من السخرية، ورد
آخرون بتقليل أهمية الخطر. وقلة من الدعاة هم الذين رأوا ما رأينا.

(٢) سأتى بيان ذلك مفصلاً في الفصول اللاحقة بحول الله.

كما في الحديث المنفق عليه - بقوله تعالى: «اقرأ» فكان جوابه مكرراً بنكرار الأمر: «ما أنا بقارئ!» حتى قال - في سياق قصة هذا الحديث نفسه - لزوجته أم المؤمنين خديجة عليها السلام: «أي خديجة! ما لي؟ لقد خشيت على نفسي!» فجعلت نواصيه ونظمته حتى ذهب عنه الروع، ثم ذهبت به إلى ورقة بن نوفل وكان عليهما بالإنجيل، يستفسرانه عن حاله عليه السلام وطبيعة ما يراه عليه الصلاة والسلام؟^(١) وقد ورد في الصحاحين أيضاً أنه عليه السلام قال: «بئنا أنا أمسي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرفعت منه» [وفي رواية أخرى للشيخين أيضاً: فنبئت منه حتى هويت إلى الأرض] فرجعت فقلت: زملوني زملوني! فأنزل الله تعالى: ﴿بِئْسَ الْأُتْدُرُ﴾ ① ﴿فُؤَ قَالَتْ﴾ ② ﴿وَرَيْكَ كَكَبْ﴾ ③ ﴿وَبِئْسَ الْفَقْرُ﴾ ④ وَالرَّزَقُ أَهْدَرُ﴾ ⑤ [المدر: ١ - ٥]، فحمي الوحي ونابح.^(٢)

(١) عن عائشة أم المؤمنين عليها السلام قالت: «كان أول ما مدني به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبَّ إليه الحلا، فكان يلحق بقار حراء، فيبحث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود بها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فحار، الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا بقارئ». قال: «وأعذني فاعطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأعذني فاعطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ① ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ② ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْبَرُ﴾ ③ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ④ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ⑤ [المن: ١ - ٥]، فرجع بها رسول الله ﷺ فرجع بإدرو، حتى دخل على خديجة، فقال: «زملوني زملوني». فملوه حتى ذهب عنه الروع. قال لخديجة: «أي خديجة، ما لي؟ لقد خشيت على نفسي!» فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر، والله لا يخذلك الله أبداً! فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتعمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نواب الحق.

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة، وكان امرأً ناصراً في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء، الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك! قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، لينبي فيها جذعاً، لينبي أكون حجاً! إذ يخرجك قومك! قال رسول الله ﷺ: «أؤمخرخي هم؟». قال ورقة: نعم، لم يأت رجل بما حدث به إلا أودى، وإن يدركني يومك حيّاً أتصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فتره، حتى حزن رسول الله ﷺ، منفق عليه.

(٢) منفق عليه.

ومن ثم استنصر الإيمان في قلب رسول الله ﷺ الإيمان بنفسه نبيا ورسولا من رب العالمين، حتى استيقن أنه أحد المرسلين، بل هو خاتم المرسلين والنبئين.

ولذلك كان ﷺ هو أول مؤمن في الإسلام. قال الله ﷻ في محكم القرآن: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ. وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [الفرقة: ٢٨٥]. فهو أول مؤمن قبل أن يدعو إليه أحدًا من العالمين حتى أقرب الناس إليه، أمن هو أولا وهذا أمر بذهي، لكنه فضية منهجية، نخل أهمية كبرى في فقه الدعوة الإسلامية.

فهل آمنت الحركات الإسلامية بنفسها على أنها دعوة إلى الله أساسا؟ هل آمنت بأنها دعوة للتجديد الدين، من حيث هو «دين» قبل أي شيء آخر؟ أم أنها - في ذلك - على شك من أمرها؟ وعلى اضطراب في تحديد غايتها؟ إلى أي حد هي راعية، بل مؤمنة بوظيفتها الربانية؟ أم أنها تشغل بمجرد وعي المشاركة في تطوير بنية مجتمع حديث؟ مجتمع هيكلة الاستعمار الجديد وفق نظام حياة دخيل، ونمط عبث مستورد، فكان بذلك يخضع في خصائصه التنظيمية لنمط غير أصيل! وما المجتمع إن لم يكن نسجًا من العلاقات، ونسجًا من المؤسسات؟ ماذا يمكن أن نعطي قراءة للحدائق من خلال بنيتها غير الحدائق نفسها؟

فالإي أي حد نجد الحركة الإسلامية نفسها مشغلة في صلب الدين؟ ومجددة لحقائقه الإيمانية في النفس وفي المجتمع؟ ثم إلى أي مدى هي مؤمنة اليوم أن وظيفتها هي وظيفة الأنبياء، في إعادة الصلة حية جديدة بين المسلمين وبين ربهم؟

ما أحوال الداعية المسلم - فردًا وجماعة - اليوم إلى وقفة وجدانية تفكيرية عميقة وقفة يستطيع أن يربط مصيره الأخرى بنائجه وهو مطمئن، وقفة يسأل فيها نفسه خاتبا، ليس بينه وبين ربه شيء، ونكون المسألة فيها دائرة على أربعة فضايا منهجية: من هو؟ وماذا يريد؟ ثم هذا الدين ما هو؟ وماذا يريد؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَالِهِمْ وَتَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَالِهِمْ وَتَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَالِهِمْ﴾ [سورة: ٤١].

فإذن؛ البعثة بمعناها التجديدي إنما هي (دعوة إسلامية)، أكثر مما هي (حركة إسلامية)، إنها ليست حركة نرهن نفسها بمشروع (أسلمة) لواقع سياسي هجين.

مشروع لا بعدء أن يكون مجرد تبنٍ لمجموع مفاهيمه من خلال شواهد قرآنية ونصوص حديثية، مبنورة من مباحثها، مجردة عن مقاصدها الشرعية، مفرغة من آثارها التربوية في النفس وفي المجتمع! إن (بعثة التجديد) هي دعوة كلية نريد صياغة الإنسان من خلال استعادة إنتاج النزيل القرآني بمنهجية التربية الربانية الشاملة، بوعي علمي راشد، قوامه (الفقه في الدين) بمعناه الكلي، يؤمه جيل من العلماء الحكماء، يتظفون مرة أخرى بالمعلوم من الدين بالضرورة، فيجددون الأصول العقيدة والعملية، بمعنى تجديد الفرس والتربة والتكوين.

إنها إذن؛ تجديد المشاهدة للحقائق الإيمانية، وتجديد التمسك بالاحتكامي بالكتاب وإقام الصلاة. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

الحاجة إذن ندعو - كما ذكرنا - إلى تجديد «الدعوة الإسلامية» ؛ بدل «الحركات الإسلامية» ! إن «الدعوة الإسلامية» هي مصدر بعثة التجديد، بما تحدثنا عنه من اصطلاح، وهي المنحكمة أساساً في حركة تحول المجتمع، ونوجبه النار، وبناء النسيج الديني.

إن دعوة الإسلام هي عمل في صلب الدين، واندماج في فضاءه الإيمانية، وأحكامه الشرعية، واستغال بنصوصه تربية ودعوة؛ سبباً نحو مفهوم تجديد الدين في الأمد، بما هو دين، أنزل أساساً ليقتد به الله في الأرض. بينما آل أمر «الحركة الإسلامية» - كما سبق بيانه - إلى «حركة سياسية» ذات توجه إسلامي؛ فهي عمل باسم الدين، ورفع لشعاره، ندور حوله لا داخله، ولو أن الأصل فيها أنها نشغل من أجله.

وبيان ذلك هو كما يلي:

الْمَجْلَدُ الثَّانِي

الفطرية نقلة فوعة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

أول سؤال نضعه في هذا السبيل إذن هو: هل استنفدت « الحركة الإسلامية » أغراضها؟

لا خلاف في أن « الحركة الإسلامية » تعمل من أجل الدين على الإجمال؛ ولذلك قلنا قبل: إنها (بيان دعوي) ^(١) . لكن هذا إما هو من حيث الطبيعة العامة المتصفة بها، والرغبة الوجدانية الكامنة فيها، والمسببة لنشأتها. وأما من حيث الصيغة المنهجية فهي مظهر (حزبي)، بالمعنى السياسي الغربي الحديث للمصطلح، يمكن أن ينجلي - على مستوى الشكل - في عدة صور اصطلاحية، من مثل مصطلح « جماعة »، أو « حركة »، أو « تنظيم »، أو « منظمة »، لكنه يرجع في النهاية إلى جوهر واحد؛ هو مفهوم « الحزب » بمعناه السياسي. وذلك بغض النظر عن مشاركته الفعلية في الانتخابات أو ما يسمى « باللعبية السياسية » على الإجمال، أو عدم مشاركته، فذلك فضاء أخرى لا تغير من واقع الأمر شيئاً وإنما العبرة بالبنية المنهجية والنسورية التي ننحكم في مسار الحركة؛ حيث إن الحزب السياسي قد يكون له وجود حركي « مشارك »، وقد يكون له وجود حركي « رافض »؛ ونكون مشاركته منحقة بالفعل من خلال الدعوة إلى « الرفض السياسي »؛ فيستوي بذلك مع الأول من حيث المآل المنهجي؛ ولذلك قلنا غير ما مرة: إنهما وجهان لعملة واحدة!

ومن هنا يمكن أن نميز في الحركة الإسلامية بين شئين: المظهر والمنهج.

(١) البيان الدعوي: (٢٤ - ٤١) .

فالمنهج الإسلامي، هذا على الإجمال، وقد فصلناه بأدلته في كتابنا «البيان الدعوي» .
وأما المنهج فمن الصعوبة أن ننفي عنه التأثير بالطروحة السياسية بمعناها العلماني الحديث، وبرود الأفعال المنهجية في مواجهة الأحزاب السياسية المعاصرة! هذا على الإجمال أيضًا، مع عدم نفي الخصوص الديني للحركة الإسلامية، فالتأثير العلماني راجع في جوهره إلى نبي النموذج الغربي في «التغيير»، ونبي الأطروحة التاريخية الأوربية للثورات الدموية، أو للتحويلات الديمقراطية، وفي كلتا صورتين نَبَأٌ وَاَعٌ، أو غير وَاَعٍ؛ لمنهج التغيير العلماني، وهو في نهاية المطاف لا ينتج مجتمعًا مجددًا؛ بقدر ما ينتج صورة ظلية لذلك المجتمع نفسه! مهما حدث من تحولات ديمقراطية وسياسية، فلا نخول في الجوهر؛ إذ الجوهر إنما هو وجدان الإنسان.

الوجدان - أو «القلب» بمفهومه الفرأني لا العاطفي - هو مناط الإصلاح الديني في الإسلام. وهو الذي منه تنبع - على الخفيفة - المواقف والتصورات والتصرفات، والذي عنه تنشأ العلاقات الأفقية والعمودية، التي هي أساس بناء النسيج الاجتماعي، في صلة الإنسان بربه، وفي صلته بأخيه الإنسان، على سائر المستويات العقدية، والتعبدية، والاقتصادية، والسياسية، والعمرانية عموماً. وهذا أمر لا تصل إليه الحركات الإسلامية بمنهجها الشكلائية هذه، فالوجدان لا يُصَنِّعُ إلا في مختبرات الدين، بما هو «دعوة إسلامية» بالدرجة الأولى.

ومن هنا نكون «الحركة الإسلامية» عملاً محدوداً بحدود اجتهادية، وتنظيمية، وبشرية. إنها تصور بشري وضعي ذو أصول علمانية، لمنهج العمل في ترجمة قيم الدين ومفائده، وهما أمران لا يجتمعان، ومن هنا لا يست الإسلام وفارفته في آن واحد؛ فقد لا يسته في (الانتساب) على مستوى الفصد العام وتجلياته، وعلى مستوى الشعارات والبرامج العامة، وفارفته في (النسبة) على مستوى المنهاج، في أساليب العمل والإصلاح.

وربما كان لهذه الظاهرة مبرر وجود في مرحلة سابقة، مرحلة الدعاية الإسلامية وإغلاء الشعار، مما أُنْجِنَتْ بعثة التجديد السابقة، بيد أن المعركة الحضارية الجديدة قد تجاوزته بتحديثاتها العميقة وأسلحتها الفناكة الجديدة، التي تمس مفهوم الإنسان

وقطرته، وتدمر تسيجه الاجتماعي وخصائصه الحضارية، مما تفرضه اليوم العولمة في صورتها الشمولية الجديدة.

وإذا كان ذلك كذلك، فإن الحركة الإسلامية - بصورتها التقليدية هذه - محكومة بسنن الاجتماع البشري، تمامًا كالحضارات والدول بالمعنى الخلدوني، أي أن لها مرحلة نشأة، ومرحلة تضج واكمال، ثم مرحلة هزم وانتهيار.

ولا يعني ذلك طبعًا أن الإسلام يتأثر ضرورة بما يصيبها، فقد ينشئ الله ﷻ لدينه موجة تاريخية أخرى، تحمله وتوصل دعوته. قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتًا لَّكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. وقال سبحانه: ﴿أَوَلَيْكُمُ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ إِذَا غَلَبُوا عَلَيْكُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ كُنَّا بِهَا قَوْمًا نُبُوءًا بِهَا بَكْفِيرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فهذه قضية أخرى، والإسلام قائم حتى قيام الساعة.

ولما حديثنا عن الحركة الإسلامية هنا إنما هو باعتبارها تجربة بشرية، أي بما هي حركة متولدة في التاريخ، محكومة بالسنن الربانية، التي تحكم سائر التجارب والمكاسب البشرية في المجتمع، فهي سنن ثابتة، لا تخابي أحدًا، ولا تتحامل على أحد. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يَحْدَ لِسَنَةٍ أَلَّهَ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]. وعليه فلنأخذ بحسب أن الحركة الإسلامية في صيغتها التقليدية هذه، قد استنفدت أغراضها، أو - بالتعبير الأدق - هي على وشك ذلك. وتقصد بالصيغة التقليدية: الصورة الحزبية التي اكتسبتها الحركة الإسلامية الحديثة في نشأتها؛ تأثروا بالنظام الحزبي الغربي، وقد بيتا أن معظم الحركات الإسلامية اليوم في العالم الإسلامي؛ هي على تلك الشاكلة، سواء منها التي تسمت باسم (الحزب)، أو التي تسمت باسم (الجماعة)، أو (الحركة)، فجورها جميعًا واحد، ومعنى هذا أن الإسلام بما هو دين الله القدري، سيتطلق سبعة تجديدية أخرى، تتجاوز الحركة الإسلامية الحزبية في صورتها الحالية.

نعم، إن التحولات العالمية الحديثة، في صورتها (العولمية) التهويدية، سائرة في اتجاه تغيير بقية المجتمعات الإسلامية؛ وذلك بمخاطبة إرادة الشعوب مباشرة، وتجاوز الوسيط السياسي الرسمي، الذي لم تعد لديه أي مقومات لإقناع الشعوب، خاصة والقوى العالمية الاستعمارية، تدرك جيدًا أنه اليوم - أكثر من أي وقت مضى - لا يملك إرادة الشعوب، وإن كان يملك السلطان السياسي بصورة نسبية.

إن العولمة الجديدة - في صيغتها الأمريكية الاستهلاكية - لا تسعى إلى إخضاع العالم الإسلامي، عسكريًا واقتصاديًا فحسب؛ على طريقة استعمار القرن التاسع عشر والعشرين؛ ولكنها تسعى إلى إخضاع الإرادات، أو بعبارة أدق: احتلال الإنسان من حيث هو اتماء وولاء ووجدان! ثمانًا كما وقع للشعوب الأمريكية الأصلية، أو ما بقي منها، وما يقع للشعوب الآسيوية القصوى؛ مثل اليابان خاصة. هذا البلد الذي كان مضرب مثل لكثير من الدارسين العرب - ومنهم حتى بعض الإسلاميين - الذين ينظرون إلى سير الحضارة، وإلى حركة التاريخ؛ بعين واحدة فقط، فرأوا في التجربة اليابانية نموذجًا للنهوض لكنهم نسوا حقيقة أخرى خطيرة، وهي أن نهوض الشعب الياباني ماديًا كان على حساب فقدان الإنسان الياباني، لقد حل الوجدان الأمريكي في إرادة المجتمع الياباني، ولم يبق له من خصوصيته الثقافية والأنطروبولوجية غير مظاهر محدودة من الفلكلور السياحي لبس إلا، ولا بغرنك منهم هذا الاحتجاج، أو تلك للمظاهرة ضد السياسة الأمريكية في العالم، فقد انخرط ذلك كله في نقد أمريكا بوجدان أمريكا وانتهى وجود اليابان الإنسان.

ثم إن مقارنة إنسان اليابان - بخلفيته الحضارية والدينية المنافضة للإسلام تمام المنافضة - مع إنسان الإسلام، هي في الأصل أغلوطة فاسدة؛ إذ لا قياس - في خصوص هذا الشأن - مع وجود الفارق، كيف وهذا الفارق عميق جدًا؟!

نعم لقد استعصى العالم الإسلامي وحده حقًا على الابتلاع، وأبى أن يدور في ماكبنة التغريب رغم كل ما حدث، ورغم ما تعرض له من تشوهات في طبقته (المثقف) والأرستقراطية، وسائر شرائحه الاجتماعية، بغدر من التفاوت في التأثير والنشوء؛ بين هذه الشريحة أو تلك، حسب ما تعرض له من مناهج تعليمية وإعلامية. لكن جوهر الإنسان فيه بقي قريبًا من فطرته على الإجمال، مصيرًا على تجديده ذاكرته، ولم يفقد الرغبة ولا الأمل قط في توظيفها من حين لآخر، وليس وجود الحركات الإسلامية نفسها - رغم فقدانها - إلا نوعًا من التعبير عن هذه الرغبة، ومقدمة من مقدمات توظيف تلك الإرادة.

إن الاستعمار قد أدرك ذلك جيدًا؛ ولذلك فقد أنتج (العولمة)، باعتبارها أحدث

تَعْلَمُ لَمْ يَرَكَ اللَّهُ سَيِّئًا أَوْ كَيْفَ لَكَ الْبَيِّنَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُظْفِرَ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿[الأنعام: ٤١]﴾. أفرا وتدبر ثم أبصر ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوْبِدْتُ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ نُؤْتَهُ فَأَحْذَرُوا﴾ ﴿[الأنعام: ٤١]﴾ ! أليس كذلك؟ بلى والله! إنه اليوم أظهر مما كان من قبل! كل ذلك إنما هو صور من (طُغْم) للصيد؛ من أجل الدخول في فقص (العولمة) أو (الديمقراطية الأمريكية)، فبالنسبة لي لا فرق بين هذه ونلك في نهاية المطاف، إنها في الجوهر فلسفة واحدة.

واستجابت فعلاً كثير من الحركات الإسلامية لذلك فهي الآن تتخلى عن كثير من منطلقاتها ومصطلحاتها، وتنسج (ففتها) جديداً، يناسب حداثة العولمة، وبدور في ماكينتها، شيئاً فشيئاً! إنها صارت ننسج جزءاً من خطاب المفولات العولمية الجديدة، التي تشكل نوعاً من الترويض، أو التدجين للإسلاميين، على مستوى المفاهيم وإنتاج الخطاب، وكلاهما أمر جوهرى خطير في عملية فقه الدين. إنها حركة تحريف مفهومي شامل! إنها - بلغة (الأعر) - عملية (أنسة) الإسلام، أي إفراغه من مضمونه الرباني التعبدي؛ حيث يحل الإنسان - عندهم - محل الرب، في مركزية التفسير الوجودي والتشريع الاجتماعي.

إن استجابة الحركة الإسلامية اليوم هي نوع من الاعتذار اللاشعوري للغرب، ونوع من البرهنة على صلاحيتها للدخول في النظام العولمي، والتحدي الديمقراطي، وإظهار لنوع من (حسن السيرة)، و (صلاح المواطن) على موازين المقياس الأمريكي.

من بجرؤ اليوم على اتهام الديمقراطية الليبرالية؟ هذا الصنم العولمي الجديد! بالأمس كانت الأصنام الشيعية تمارس نوعاً من (ديكتاتورية البروليتاريا) على المستوى الثقافي والسياسي، فلا نسمح لأحد بانتقاد الصنم الماركسي أو اللاتيني، واليوم أصبح تمثال الحرية في أمريكا - الذي لبس له من مدلول الحرية غير الثمر على حقوف الله - صنماً بعيد من دون الله الواحد القهار! صنماً منصّباً لحماية مفاهيم (الليبرالية) بأبعادها الفلسفية والسياسية، وفرضها على العالم الإسلامي؛ لبس بما بضمن حقوفه السياسية، كلا! فمن يصدق هذه الأكذوبة إلا ساذج أو بليد، ولكن بما يذيب مفهوم (الإنسان) فيه، ويصهره في آلة الاستهلاك المدمرة، حتى يكون

عبدًا نحسبها للوحشية العولمية الجديدة، وحركة تدمير القيم والأخلاق، بما لم يعرف العالم الإسلامي له مثيلًا في التاريخ.

إن الحركة الإسلامية باستجابتها لشيء من ذلك؛ يعني أنها قد أخذت بـ (مقدمة أولى) - بالمعنى المتطفي للكلمة - من شأنها أن تنتج على سبيل اللزوم (نتيجة) حتمية: هي الدوران في فلك العولمة. نعم ربما دارت فيه على سبيل النقد والمعارضة، ولكن تمامًا كما هي أحزاب أوروبا المعارضة للعولمة، والتلوث البيئي، وحماية الحيوان البري، بمعنى أن ذلك لا يخرج من دائرة (الأنا) العولمية نفسها، ومركزية الإنسان الغربي، وما عسانا أن نكون في هذا الاتجاه إلا نبيها.

إن الصيغة التنظيمية للحركات الإسلامية، وآليات اشتغالها اليوم، وكذا جوهر خطابها الحركي، مما تنتجه في أدبياتها ونجماتها، وخصوص خلاياها؛ كل ذلك كفيل بإدخالها نادي (النظام العالمي الجديد) على حد تعبير الأمريكيان.

إن دخولها (النظام العالمي) ليس يعني أنها نصير له بوقًا، بالمعنى التفلبيدي للكلمة، كلا، فليس هذا مقصودنا، وهو تصور تبسّطي لطبيعة العولمة، وإنما المقصود بدخولها هو الخروج من عالم (اللامفهوم) أو (اللامدرك) - بالنسبة للحسابات الأمريكية ودراساتها الإستراتيجية - إلى عالم (المفهوم) أو (المدرك) ! وانتقالها من عالم (الخوارق والمفاجآت) إلى عالم (العوائد والطبيعيات) القابلة للحسابات، وذلك هو عين المقصود، حيث تصبح الحركة الإسلامية بالنسبة للإستراتيجية الأمريكية رقمًا قابلاً للإدراك، وعددًا قابلاً للحساب. وإذن؛ نوضع في موضعها من خريطة التخطيط الأمريكي الصهيوني بسهولة، ونصبح في سباق معارضتها ونفدها؛ قابلة للإعمال والاستعمال، وللتجديد والإعمال، أو على الأقل قابلة للمعالجة الميكانيكية! ونناججها قابلة للتوقع، وللإدراج في معادلة الإمكانيات والاحتمالات الرياضية المدروسة بعناية. وليس لذلك من معنى عندي إلا أن الحركة الإسلامية قد فقدت كثيرًا من خصائصها الربانية، ومفوماتها الإيمانية، فأشبهت آلة ميكانيكية ليس إلا.

أما أحزاب الماضي الرسمية، القومية منها والوطنية، والماركسية، والعلمانية، والعنصرية، وكذا الكرونية؛ فمألها - بناءً على تحولات الحاضر الجارية - إلى

التحول أيضًا أو إلى الانفراض. فتلك أحزاب ما بقي من حقيقتها اليوم غير أشكال باهتة، سواء في ذلك ما تجلى في قبادانها الشائخة الهرمة، ليس من حيث هي أجساد بشرية، ولكن من حيث هي أجساد تنظيمية وأيدولوجية، أما رصيدها على المستوى الوجداني الشعبي فعلى دركات تحت الصفر؛ ولذلك فإما أن نتحول إلى (الإسلامية)، ولو بصورة انتهازية؛ وإما أن تنقرض إلى الأبد، ونصبح جزءًا من التاريخ الذي كان.

ولم (الإسلامية)؟ ببساطة لأنها المرجعية المستقبلية لأحزاب العصر العولمي الجديد؛ حيث بدأ الإسلام يصنف عالميًا - عند العدو والصدیق - بأنه هو المحرك الأساس للشعوب في العالم الإسلامي، وهو المرشح في الإدارة الأمريكية الصهيونية للمخاصمة الجديدة، ولنسويغ النسلح العالمي المجنون في حرب باردة أو حارة، وقد بدأ ذلك يتضح، ونتجلى ملامحه منذ انهيار المنظومة الماركسية، بسقوط صرح الاتحاد السوفياتي البائد.

الدور الحزبي المغيل إذن؛ هو دور (الحركات الإسلامية)، فهي المؤهلة لذلك، وهي المفضودة للعب هذا الدور، وقد بدأت بالفعل في ممارسته بإعلان رسمي أو غير إعلان، في أغلب دول العالم الإسلامي، فالهيئات التنظيمية الإسلامية، المشاركة صراحة في اللعبة السياسية، قد دشنت هذا الاتجاه بإرادتها، وأما الهيئات التنظيمية الإسلامية الراضة، أو المعارضة؛ فقد دشنته أيضًا بمعارضتها، وبهذا فهي تمارس نوعًا آخر من المشاركة السياسية بطريقة أخرى، وإن أعلنت في خطابها (رفضها) لكل أشكال المشاركة، ولكن رفضها يصدر بالمتنهج نفسه الذي نعلمه حركات المشاركة، أي منطلق الحزبية. إنه مجرد رفض موقفي، إنه محكوم بالموقف من عقلية الحاكم، أو من طريقة تنصيه، لا من فقه الدين وميزان أولوياته، ولا من مفهوم المجتمع الإسلامي وطبيعة مؤسساته. ومن هنا وقع تأصيلها لفعليها السياسي في لؤة التضخم! فهي إذن تتكلم من داخل الجبة العلمانية من حيث لا تدري؛ ولذلك فهي أقرب إلى التحول الكامل إلى الصورة الحزبية العتيقة، لكن في صورة إسلامية.

و «الرفض» و «المشاركة» بمعناها السياسي - في خصوص العمل الإسلامي التنظيمي - تخطان منجاوران إلى ما يقارب الترادف، وهما ممددان على طول العالم

الإسلامي نغريتا، وكلاهما يؤل أمره - بصورة أو بأخرى - إلى وضع لعب دور الأحزاب السياسية الشائخة، مشاركة ورفضاً، لا سيما وأنهما يمتلكان كل مفومات الحزبية: « التنظيم الميكانيكي »، و « التعبئة الاستعراضية »، و « الخطاب السياسي المنقّط ». ووصفنا خطاب الحركات الإسلامية بأنه (منقّط) مقابل لما هو موجود عند الأحزاب التقليدية العنيفة، من خطاب سياسي (مؤدّج) ؛ حيث نتخذ تلك الحركات (رؤية) معينة للعمل السياسي، نرجع إليها تفكيراً ونأطيراً. فلا نكاد نجد من بين أفرادها من يفكر خارج تلك الدائرة، ولو بشيء بسيط من الاختلاف، مع أن المجال اجتهادي صرفاً ومع أن رؤيتها المرجعية تلك ليست هي « الإسلام » كما ندعي بعض فصائلها، وإنما هي (فهم معين) للسياسة في الإسلام، إنها اجتهاد قابل للخطأ كما هو قابل للصواب، لكن أخطر مشكلة تعاني منها في هذا الصدد هي أنها نفوم بنوع من (الاستصلاح) للفكر السياسي الغربي، فلا تنجو - لذلك - كثير من مقلولها السياسية من التلوث بأصولها العلمانية، نعم لا نشك أدنى شك في أن هدفها الكلي، ومقصدها الغائي فعلاً هو الإسلام، ولكن فرق بين (الفصد) أو (الهدف) وبين (خطاب الفصد) أو (خطاب الهدف) إذ ليس بالضرورة كل خطاب مؤدّ إلى فصده لزوماً، فربما زاغ عن هدفه؛ لعلّه في منهج الخطاب والعمل، وهذا فرق ما بين نقدنا ونقد (الآخر) الذي نمارسه الاتجاهات العلمانية للحركات الإسلامية.

إننا لا نقول بأننا (نستغل) الدين بالمعنى (البراجماتي) ؛ لتحرير خطابها السياسي كما يقول بعض سفهاء العلمانيين كلا! فهذا مجرد نقد (أيديولوجي) ليس إلا! إننا على يقين بأن الحركات الإسلامية إنما تنعبد - على الإجمال - بفعلها الحركي السياسي، سواء أصابت في ذلك أم أخطأت. لكننا على يقين أيضاً في أنها تنعبد من خلال فهمها الخاص للدين، ولا يمكنها إلا أن تكون كذلك؛ إذ المجال السياسي نفوف نسبة الرأي والاجتهاد فيه - من مجمل التشريع الإسلامي - درجة التسعين بالمائة، كما فصلناه بأدلته في كتاب (البيان الدعوي) . وهذا معنى قولنا: إنها نملك الخطاب السياسي المنقّط، بما هو عنصر أساس من مكونات الحزبية.

ويتوفر العناصر الثلاثة المذكورة (التنظيم الميكانيكي، والتعبئة الاستعراضية، والخطاب السياسي المنقّط) تكون الحركة الإسلامية مؤهلة فعلاً - كما ذكرنا -

لما لها التاريخي: التحول والاندماج الحزبي الهيكلي. ذلك أن ما وصفنا من طبيعتها مؤشر قوي لغابليتها لذلك، على حد تعبير مالك بن نبي رحمته في نظرية (الغابلية للاستعمار). وجزء مهم من هذا المتوقع غذا هو - على كل حال - واقع اليوم! فما بقي من الصورة في الخلفية إلا التكميل والتنميم، إذ لا يكاد يخلو فطر من أقطار العالم الإسلامي اليوم من شيء من ذلك؛ صراحة أو ضمناً.

وفد يقول قائل: إن الحركات الإسلامية هي غير الأحزاب التقليدية، من حيث القدرة على احتوائها، وتوجيهها من لدن الغرب ومؤسساته العالمية؛ فنقول: نعم، هي غير ذلك من وجه، ولكن لها نوع من الغابلية لذلك من وجه آخر: وهو الاستجابة لمفولات الخصم الحضاري الثقافية والسياسية والاقتصادية، كما أشرنا إليه من قبل؛ ولذلك وجدت العولمة والنظام العالمي الجديد، ومن هنا كان التوجه الاستعماري الجديد ليس إلى محاصرة الحركات الإسلامية فحسب؛ ولكن أيضاً إلى (منافستها)، وهذا ما لم تنتبه إليه بعض الحركات الإسلامية بصورة جيدة لحد الآن، وهذا هو الاتجاه الراجح الآن في الصراع الحضاري العالمي: المنافسة على الإنسان في العالم الإسلامي. إن العولمة عملت جهدها على فتح الحدود الاقتصادية والثقافية والإعلامية؛ من أجل التمكن من الاشتغال المباشر؛ لاحتلال الشعور الفردي ثم الاجتماعي.

العولمة إذن تقوم بوظفتين: الأولى: فتح الحدود الأنطروبولوجية، والثانية: المنافسة على الإنسان في العالم، أو بعبارة أخرى احتلال الإنسان المسلم، ومن هنا فإن الحركة الإسلامية لن تواجه أمريكا، أو الصهيونية، أو الغرب فقط؛ بل ستواجه (الصور الآخر) في مجتمعاتها أيضاً، بل ربما في صفوفها وقضاياها أيضاً، وهذا أسوأ ما يتوقع من هزيمتها! وقد شاهدنا بعض نجاحاته - مع الأسف - على مستوى الفكر وعلى مستوى الممارسة، حتى لكأنك أمام (علمانية إسلامية!) لكن ليس بالمعنى التقليدي.

إن المواجهة لن تكون كما كانت من قبل ضد طابور العملاء السياسيين، أو الموالين ثقافياً للغرب، من اللافكيين واليساريين، كلا؛ فذلك حرب - في منطق الرؤية المستقبلية - انتهت ووضعت أوزارها، إن المواجهة الجديدة ستكون ضد (نمط

الحياة (الأمريكية، الذي لن يفصر على النخبة المغتربة فكرًا، أو على الطبقة الأرستقراطية، بل هو يصبح الآن بالندرج نمط الشعوب الإسلامية؛ بمن في ذلك الإسلاميون أنفسهم، من باب مقولات (الأسلمة)، و (الثائف)، والانفتاح على (المجتمع المدني)، إن معنى ذلك أن الحركة الإسلامية ستواجه خصمها في ذاتها، ومعنى ذلك أيضًا خطر خسائر المعركة حضاريًا؛ لأن الجسم لم يخلق لمحارب نفسه بل لمحبه، ومن هنا مستحاج الأمة إلى (مضادات حيوية) جديدة وإلى (بعثة) أخرى، كما سيأتي بيانه يحول الله.

إن قدرات الحركات الإسلامية ذات الطبيعة الحزبية، لن تعدو حدود مقاومة الظلم السياسي، والاختلال الاجتماعي، والإسهام إلى حد ما في التوجيه الاقتصادي والإعلامي... إلخ. وكل ذلك شيء مهم جدًا، ولكن الأهم منه هو العمل الاستراتيجي المنعقد ببناء الرصيد الروحي المنتج للأجيال، وتوسعة (الاحتياطي) في مجال بناء الإنسان الفرآني، وتأثيرها في هذا الآن محدود جدًا ضمن دوائر ضيقة، ولن نزداد - مع نابورها الحزبي - إلا ضيقًا لما للمنهجية الحزبية من ارتباطات ميكانيكية، نغرقها في الجزئي واليومي.

وقدرة الحركة الإسلامية وإمكاناتها - بما وصفنا - هو عبثه دور الأحزاب التقليدية في الماضي، وهو ما سيأخذ، بل قد أنيط فعلاً ببعض الحركات الإسلامية، التي هي في طور التهيؤ للقيام بذلك، وهو بالنسبة إلى التحديات الشمولية للعلمة عمل محدود جدًا، لن يبلغ حد التغيير الكلي للإنسان، ما دامت آلة الاستغفال الحزبي هي الوسيلة الوحيدة المتوفرة لديها للعمل. وهذه الوسيلة هي تتاج أوربي. ومنهج غربي لا يعدو في طبيعة ناطيره مجرد صناعة (الرأي العام) المؤقت والمنقلب! والدبوقراطية الليبرالية التي هي قضاء وجود الحزبية لن تؤدي أبدًا إلى نفوذ أصولها، ما دامت فلسفتها قائمة في منهجها، ولا يمكن للمنهج أن ينفذ مذهبه، أو ينفذ على فلسفته، وما وجوده إلا بها، وقد نقرر عند أرباب « المنهجيات » أن المناهج وقبة لمذاهبها، ومن ظن إمكان تجريد المنهج عن مذهبه فهو واهم! ^(١) نعم سيؤدي نضالنا إلى توجيهها من الداخل،

(١) أجدديات البحث في العلوم الشرعية للمؤلف: (٩) .

بمعنى أن الحزبية الإسلامية ستعطي للديموقراطية مسحة إسلامية؛ لكن دائشا في حدود الإمكانات المحسوبة، والبالغة للنفض في كل وقت وحين؛ إذ (الرأي العام) الذي يحسمه (العوام) هو الممثل الشرعي والوحيد لمصادفة اللعبة، وما الرأي العام الذي يصنع في أسابيع إلا ربح الأهواء، وأصوات النوغاء.

ثم قد يقول فائل: إذن، إذا وعت الحركة الإسلامية ذلك ؛ فإنها تحسب كل تلك الإمكانات فتخرج عن حد أهداف العولمة. فنقول: لا يمكنها ذلك إلا إذا خرجت عن طبيعتها (الحزبية) التي نشأت عليها، بما وصفنا؛ إلى شيء جديد، وهو ما نرجو أن نلده الأيام بحول الله. أو نبقي على طبيعتها تلك فنكون إذن محكومة بإمكانات (اللعبة الحزبية)، وهي جميعها آتلة بطبيعتها إلى محيط العولمة، ولا منزلة بين المتزلتين، فنوجه العولمة بشتغل الآن ولبس غداء، ونوقع نتائجها مبني على مشاهدة مفدماتها، فإنما نتطلق إلى المجهول من المعلوم، بناذ على المتطقن الرباضي.

أليس معظم الحركات الإسلامية حزبي التنظيم؟ أليست ترجع في بنائها التسلسلي إلى نموذج الحزب السياسي؟ ثم أليست ذات أطروحات مختلفة، واجتهادات متباينة؟ ثم أليست تنفرق بشكل تناسلي إلى جماعات وجمعيات، كما تتناسل الأحزاب القومية والعلمانية، ويتشكّل بعضها عن بعض؛ لأسباب سياسية وشخصانية؟ فإنها بهذا وبما ذكر قبله تنساق تحت تأثير تجشّص الصبياد الأمريكي شيفا فشيفا إلى فقص (اللعبة الديموقراطية) ؛ لتنفذ أمام المشاهد الغربي، كما تنفذ الحيوانات الآبدة في أقفاص حديقة الحيوان.

إن الابتلاء العولمي المشتغل الآن، هو أعظم وأشمل من أن نواجهه حركات إسلامية محدودة الغايات والوسائل، حركات بغيت حبسة آليات تنظيمية، ووسائل تنفيذية، هي من تراث مرحلة الاستعمار القديم، وظروف سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، وتناج ردود فعل؛ لصباحات الماركسية والقومية، التي تالشى صداها في الماضي.

إن بصائر القرآن، وسنن التاريخ، وطبيعة التحولات الكبرى في العالم الإسلامي، وخروج الدجال العولمي؛ كل ذلك يحدّثنا عن ميلاد شيء جديد في أفق العمل الإسلامي.

الفطرية
بعثة التجديد المقبلة
من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام

الفصل الثاني

في الفطرية
(القضية والمفهوم)

● وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الفطرية وقضية الدين.

المبحث الثاني : الفطرية دراسة في الأركان والمسالك.



الْمَجْعَةُ الْأُولَى

الْفِطْرِيَّةُ وَقَضِيَّةُ الدِّينِ

عندما نضطرب المفاهيم وتختلف التصورات بين المشتغلين في المجال الواحد، أو ربما تتنافض، نكون مضطرين إلى العودة إلى المنطلقات الأولى للمجال الذي نشغل فيه؛ لإعادة تجديد السؤال حول ما نعتبره عادة من اليقينيّات. ولذلك وجب أن نبدأ التفكير والترتيب من الخطوة الأولى لبناء مفاهيم الإسلام في نفوسنا.

فلا خلاف أولاً في أن الإسلام - قبل أن يكون أي شيء - إنما هو: «دين». ذلك هو معناه الجوهرية الأساس، وهو معنى كلي قطعي، ثابت بالنصوص المتواترة كتاباً وسنة، وبالإجماع الكامل. وبكفيل من ذلك قوله تعالى الوارد على سبيل التعريف والتفريق: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [ال عمران: ١٩]. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [ال عمران: ٨٥]. ومنه بيان غاية إيراد الكتاب على رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ كُلُّهُ﴾ [الزمر: ٢٠]. ثم خطابه العام للأمم جمعاء في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [التورى: ١٣]. تلك حفيضة الإسلام كله، وتلك فصّة الدين كله! ﴿رَمَّا أُرْسِلُوا إِلَى رَبِّهِمْ أَنَا بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ عَاكِفِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاقًا يُؤْتِمِرُوا لَاسْلَوتِهِ وَيُؤْتُوا الزَّكَاوتَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [الحقبة: ٢٥].

هنا، ربّما أوردنا هذه النصوص هاهنا - على سبيل التذكير - لأننا نعلم أن هذه

الحفيفة - رغم بدهيتها - بدأت تهتز وتضطرب، بصورة رابعة أو غير رابعة، لدى كثير من العاملين في الصف الإسلامي من الحركة الإسلامية الحديثة، ونحن الآن بإزاء إعادة تفسير بدهيات، وجدنا أنها في حاجة إلى مراجعة وإعادة تقرير، لبناء منهج الاستدلال، حول ما يحتمد حوله الآن كثير من الخلاف والاختلاف، في مناهج العمل الإصلاحية المعاصر ومفاهيمه.

وأقول - كشاهد على المرحلة: لقد أتى علينا حين من الدهر في الحركة الإسلامية نسبنا فيه، أو كدنا ننسى، أن الإسلام دين!

هذه خطوة أولى، أو « مقدمة أولى » على حد تعبير المناطقة.

فوجب الآن أن نتساءل: ما معنى كلمة « دين »؟ وما دلالتها المفهومية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية؟ ولتكن هذه خطوة ثانية، أو « مقدمة ثانية ».

الدين في اللغة راجع إلى معنى: الانقياد والذلة والخضوع، وهو معنى مجمع عليه بين أهل اللغة، قال ابن فارس في مادة « دين » : (« الدال، والباء، والتون » : أصل واحد، إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل. فالدين: الطاعة، يقال ذان لله يدين ديناً، إذا أصحيت وانفاذ وطاع. وقوم دين، أي: مطيعون متفادون، قال الشاعر:

« وَكَانَ النَّاسُ إِلَّا نَحْنُ دِينًا » ^(١).

ومنه قيل للدين - بمعنى السلف - ديناً؛ لما فيه من ذلة المدين وخضوعه للذائب. ولنا أن نورد - بعد ذلك - كلام الراغب الأصفهاني صاحب مفردات القرآن، في بيان علاقة اللغوي بالاصطلاحي، فهو من أجمعها وأبينها، قال رحمه الله: « الدين: يقال للطاعة والخضوع، واستعير للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]. أي: طاعة. ﴿ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦] (...) وفوله: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. قيل: يعني الطاعة، فإن ذلك لا يكون في الحفيفة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه » ^(٢).

(٢) المفردات: مادة « دين ».

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة « دين ».

ومن هنا كانت حقيقة الإسلام - بما هو دين - راجعة إلى معنى خضوع القلب والجوارح لله رب العالمين، وهو معنى العبادة. ومآلها إلى المعنى القلبي الخالص؛ إذ لا خضوع للجوارح على الحقيقة إلا باخضوع النام للقلب، وهو معنى: الإخلاص. وعلى ذلك قام عنوان الإسلام، ومدخله الذي لا مدخل له سواه، أعني: «شهادة أن لا إله إلا الله». ولا وجود لشيء في الدين خارج هذا المعنى، مذ أسسه - بأمر الله - أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، على ما بينه القرآن: ﴿وَمَنْ رَزَعَبْ عَنْ فَلْبِهِ إِذْ رُزِعَهُمْ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾ [إذ قال لكم ربهم أَسْلِمُوا قال أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْكَافِرِينَ] [البقرة: ١٣٠-١٣١]. أي: خضعت وأطاعت. وسبق الآية - بسوابقه ولواحقه - دال على هذا المعنى القلبي الخالص، وعلى أنه أساس التسمية الغلبيّة لهذا الدين بمصطلح «الإسلام»! كما أنه دال على أن ذلك هو أساس الدين الذي كان عليه الأنبياء عبر التاريخ، ولك أن تستعيد قراءتها بلواحقها - منديرا - قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّي الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١].

فكان معنى «الدين» - المصطلقى للمؤمنين بالله - هو توحيد الله بإخلاص العبادة له، والخضوع له في ذلك وحده خوفاً وطمعا، وهو معنى «الإسلام». فلا نشغل القلوب والجوارح في شيء من مُتَعَيِّ الدين إلا لله؛ سيرا إليه تعالى حتى يوم لقائه، ذلك اليوم الذي هو غاية الدين وتهاية حكمته، ومناط تنزيله ونشريعه. ومن هنا قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْكَلِمَاتِ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

فكل أركان الإسلام، وأركان الإيمان، لا نخرج عن هذا المعنى البنية، ودونك تصورها في الكتاب والسنة، فتدبر!

وقد أوردنا لذلك من نصوص القرآن ما يكفي، وأما نصوص السنة النبوية

الصحيحة فأكثر من أن نحصى، وبكفينا فيها الحديث المشهور في النبات، الذي صار قاعدة كلية في بيان صحة الأعمال أو بطلانها في الإسلام، من قوله عليه الصلاة والسلام: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَزَى، فَهُنَّ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَكَيَّفُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » ^(١).

وأما حديث جبريل المشهور، الذي بيّن فيه النبي ﷺ كل مسمى (الدين) ؛ وذلك ببيان أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وحقيقة الإحسان، ثم منهجية السؤال والجواب تعلمًا وتعليلًا، في سياق بناء منهج « فقه الدين » ؛ فقد ختمه النبي ﷺ بكلمة جامعة مانعة، وهي قوله لعمر بن الخطاب في الخطاب عليه السلام: « يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي فِي السَّائِلِ ؟ قُلْتُ : « اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمُ ». قَالَ : « فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ، أَنَا كُمْ بِغَلْمِكُمْ دِينَكُمْ ! » ^(١)، هكذا: « دينكم »، بما لهذا التركيب اللفظي من عموم واستغراق لكل معاني الدين، فرجع ذلك إلى أن ما ذُكر فيه من كليات، هي أصول الدين، وأن ما سواها فرع، ولا صحة لهذه إلا بالانبناء على تلك. وواضح جدًا في أن ما ذُكر في الحديث من أركان وحقائق إنما هي معانٍ بعيدة محضة، راجعة إلى معنى خضوع القلب والجوارح لله رب العالمين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال مبيتا الجهر الروحي للدين: « إن الدين نيمٌ ولن يُشادَ الدينُ أحدٌ إلا غلبه! فسددوا وقاربوا، وأقربوا... واستمعوا بالغفوة والروحة وشيء من الدلجة! » ^(٣) قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: قوله:

(١) متفق عليه.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَنَصَحَهُ : (عَنْ عَمْرِو بْنِ الْمُطَّاعِ عَنْهُ) قَالَ : تَبَيَّنَا نَحْنُ خَلْدُوسُ بْنُ زَيْدٍ رَسُلُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ نَهْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا وَجِلٌ مُنْدَبٌ لِنَاحِيَةِ الثَّيَابِ ، مُنْدَبٌ مَنَادُ الشَّعْرِ ، لَا يُزِي عُلْفِيهِ أَثَرُ الشَّعْرِ ، وَلَا يَهْرُقُهُ مِمَّا أَحْدَهُ عَشَى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَشَدُّ رُكْبَتِهِ إِلَى رُكْبَتِهِ ، وَاجْتَمَعَ كُفْيُهُ عَلَى فُجْدَتِهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَهْرَمَنِي عَنِ الْإِسْلَامِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ ، أَنْ تَفْهَمَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُعْبِدَ الْعِلَادَةَ وَتُؤْتِيَ الرِّكَازَ وَتَصُومَ وَتُزَكَّاهُ ، وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ امْتَنَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : ضَدَقْتُ . فَجَعَلْنَا لَهُ نَسَاءً وَبُضْعَةً .
قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَبِأَنْبِيَائِهِ ، وَبِكُتُبِهِ ، وَبِزَمَانِهِ ، وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْتِيَ مَالَهُمْ خَيْرٌ مِنْهُ » . قَالَ : ضَدَقْتُ . فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ . قَالَ : « أَنْ تُعْبِدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ الشَّاعَةِ . قَالَ : « مَا الْمَشَاوِلُ عَلَيْهَا بِأَعْلَى مِنَ السَّابِلِ » . قَالَ : فَأَخْبَرَنِي عَنِ امْتِرَائِهَا . قَالَ : « أَنْ تَلْبَسَ الْأَمَةُ زِيَّهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَمَامَةَ الْغَرَاءَ تَرْغَا الشَّامَ يَطْلُو الْوَلَوُ فِي الثَّيَابِ » . ثُمَّ اسْتَلْقَى فَنَبَّهْتُ مِيَاهَ . قُمَ قَالَ . « يَا سَعْدُ ، أَنْتَ بِي مِنَ الْمَتَابِلِ » . قُلْتُ . اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَكْفَمُ . قَالَ . « فَإِنَّهُ يَجِيرُكَ أَنْتَ كَيْفَ يَكْفِيكَ مِنْكُمْ » .
(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

« واستعينوا بالغدوة »، أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيفاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة بالفتح: منير أول النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. والروضة بالفتح: السير بعد الزوال. والدلجة - بضم أوله وفنجه، وإسكان اللام - منير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله، ولهذا عثر فيه بالنعيم، ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار. وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرين. وكأنه عليه السلام خاطب مسافرا إلى مقصد، فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعا عجز وانقطع، وإذا غوى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنه المداومة من غير مشقة، وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروع ما يكون فيها اليد للعبادة! ^(١).

فهذه معانٍ فليبة، وحقائق أخروية، وغفائذ إيمانية، وأعمال عبودية، كلها تتضافر - في سبافات مثنى - لتحديد المعنى الجوهري « للدين »، ولذلك صرح في الحديث أن « تخبز دينكم ألوزج! » ^(٢). وهو معنى قلبي صرف!

فمدار « الدين » - كل الدين - إذن، إنما هو على قضية الإنسان مع ربه الذي خلفه، لتحديد مصيره الأخروي الذي هو خاتمة المطاف في قصة الوجود البشري كله! وكل التشريع الإسلامي إنما هو دائر حول هذا المدار، سواء في ذلك ما نعلق بالمصالح الدنيوية أو المصالح الأخروية، وهو ما فرره - منذ القدم - شيخ المقاصد العالم الرباني الحكيم أبو إسحاق الشاطبي رحمته الله، في قاعدته المقاصدية المشهورة، قال: « المصالح المجنبية شرعا والمفاسد المستدفةة، إنما نعتبر من حيث نغام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية، والدليل على ذلك (...) أن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبادا لله » ^(٣).

ولدي هاهنا نص ثمين، بنظم حكمة بالغة - في سباف منهج تجديد الدين وبيان مراتب أولوياته - لأحد المجتهدين المعاصرين، هو الأستاذ يدبع الزمان سميد

(١) ضع الياري: (٩٥/١).

(٢) رواه البزار والطبراني في الأوسط، والحاكم، عن حذيفة، كما رواه الحاكم عن سعد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) المقاصد: ١/ ٣٧، ٣٨.

التورسي يتلذذ، يقول: « إن نسبة الأخلاق والعبادة وأمور الآخرة والفضيلة في الشريعة هي تسع وتسعون بالمائة، بينما نسبة السياسة لا تتجاوز الواحد بالمائة » (١). ومن ثم قال في بيان نربوي حكيم: « إن أسعد إنسان في هذه الحياة الدنيا هو ذلك الذي يتلغى الدنيا مصيِّفٌ مجتذِبٌ، ويدعن إلى أنها هكذا، ويعمل وفق ذلك، فهو بهذا التلغى يتمكن من أن ينال أعظم مزية، ويحظى بها بسرعة، تلك هي مزية رضا الله سبحانه، إذ لا يجفُّ قِمةُ الألباس الثمينة الباقية لقطع زجاجية نافهة (...) نعم إن الأمور التي تعود إلى الدنيا هي بمثابة قطع زجاجية قابضة للكسر، بينما الأمور الباقية التي نخس الآخرة هي بقيمة الألباس المنيعة الثمين » (٢). ذلك مثل الحفائى الإجمانية المتخروبة، وما تعلق بها من قول أو عمل.

ومن هنا كان جوهر الرسالة القرآنية إنما هو إنذار البشرية بحق الله العظيم عليها، وما ينبغي على ذلك من معاني العبودية، في طريق السير إليه تعالى؛ رغبتاً وذهناً ثم ما يترب عن الإخلال به أو الوفاء من مصير وجزاء، وفي ذلك جاءت الآيات والصور تترى لبيان حقيفة الحياة الدنيا، وأقرأ القرآن من أوله إلى آخره - من خلال هذه الحقيفة - نجد إنما هو « كتاب أخروي » بامتياز، وما « الحياة الدنيا » في هذا السبيل إلا وسيلة تابعة، وآلة خادمة للآخرى، وأي حقيفة في القرآن أشد وأهل من مثل ما نصَّح به هذه الآيات الصارخات: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِفَةٌ لِّلْكُوفِ وَإِنَّمَا يُؤَفِّقُكَ جُودُكُمْ يَوْمَ الْفَيْصَمَةِ فَمَن زُجِرَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَبُوءُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴾ [ال عمران: ١٨٥]. ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَبُوءُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّكَ أَلَدَارَ الْآخِرَةِ لَمَنِ الْحَبُوءُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [المكوت: ٦٤].

وأي خير أوقع على النفس وأشد، من هذا البيان الرباني الرهيب؟! ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَبُوءُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاقِ كَمَثَلِ غَيْبِ أَحْجَبِ الْكُفَّارِ نَكَالُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مَصْفُورٌ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ مُّذِبٌ وَتَجْعَلُ مِنْ اللَّهِ رِضْوَانًا وَمَا الْحَبُوءُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ ﴿ سَابِقًا إِلَى مَعْقَرٍ مِنْ رِزْقٍ وَجَنَّتْ عَنْهَا كَمَرِضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ

(١) كلمات ومائل التور: صيف الإسلام: (٤٤٦).

(٢) المكوتات: (٢٣).

اللَّهُ يُؤْنِسُ مَنِ بَشَاً وَاللَّهُ ذُرُّ الْقَضِي الْعَظِيمِ ﴿ [الحديد: ٢٠، ٢١] .

ماذا يعني إذن؟... فأني شيء في القرآن لا يدور بهذا المدار؟ وأي شيء منه لا ينجيه نحو هذا المسار؟ أو لم تكن الكلمات الأولى لرسول الإسلام، يوم أمره الله بالصدع بدعونه - إعلانا للعالمين - أن خطب الناس - أول ما خطبهم - بقوله ﷺ: « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد! » (١).

فما بالنا اليوم - في مجال العمل الإسلامي - نبشر الناس بجنة أرضية؟ وننسى فضية الإنسان الكبرى: الآخرة!

لقد انحرفت تصورات كثير منا فعلاً! وانخدعنا بمفولات ديجناها بأنفسنا فكنا نحن أول ضحاياها! لقد أتى علينا حين من الدهر وجدنا أنفسنا في مواجهة التيارات الماركسية والفلسفات الإلحادية، والنظريات المادية التي نبني مشروعاتها كله على عرض جنة وهمية على الأرض، فسقطنا في الفخ إلا قليلاً، ثم صرنا نحن أيضاً نبشر الناس - على سبيل المنافسة - بوعود مادية محض، ونقدمها على أنها مرنكرات مشروعة، أصالة لا نبع، متوسلين إلى ذلك بكثير من المصطلحات البرافة في عالم السياسة والإعلام.

لقد خدعت الحركة الإسلامية نفسها بنفسها، عندما وظفت مفاهيم « الشمولية » الإسلامية، كرد فعل على حركة تجزيء الإسلام التاريخية، التي فصرته على الأذكار والعبادات في النكاح والزوايا، فراهنت - في سباق رد الفعل - على الشمول، لكنها - مع الأسف - لم تريح الرهان! فغلّت العادات على العبادات، إلا قليلاً. والإسلام شامل لكل معاني الحياة، نعم، تلك حقيفة راسخة من حقائق الكلية، لا مراء فيها ولا إشكال. ولكن أين من يضبط الميزان؟ وأين من يربأ أولويات الدين كما عرضها الدين؟ لا كما نشهيهها رغائب الصحافة والإعلام، ثم أين من يبي الفروع على الأصول ولا يقلب الميزان؟

لقد جعل كثير من أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة حقائق القرآن الأخروية - التي هي مناط الدين، كل الدين - نابعة « لجنة الدنيا »! وذلك بسبب التوظيف السيئ

لمفهوم « شمولية الإسلام » في كثير من مقولاتهم وخطاباتهم! ولقد آل هذا المنهج المغلوب ببعض التيارات إلى نسيان الآخرة إلا قليلاً مما أدى إلى طردها من الغاموس النضالي للحركة « الإسلامية » .

وهكذا صرنا إلى نتيجة عجيبة: وهي التأليه اللاشعوري للإنسان! فكان أن احتلت « حقوق الإنسان » مرتبة « حقوق الله » رب الإنسان، دائماً في إطار مفهوم « شمولية الإسلام »، كذا.

فأين الخلل إذن؟

إن علينا أولاً أن نعيد قراءة القرآن، بما هو خطاب رب العالمين للإنسان، بضمين شقين كل مفاهيم الدين، ويوثقها نوثيقاً لا يدع مجالاً لباطل أو بهتان، وذلك ما نحاول صناعته بحول الله الآن.

خلل في الفطرة:

فإذا جمعت ذلك إلى ما أسلفنا من مقدمات منهجية، وجدت أن الخلل اليوم قد أصاب فِطْرَةَ الإنسان، إصابات متفاوتة على حسب موقع ذلك الإنسان - قريباً وبعداً، وقبولاً ورفضاً - من مشرب القرآن، إلا أن الإصابة في هذا العصر - رغم تفاوتها - عامة شاملة، قد مسّت أغلب تصورات الإنسان، وعمران الإنسان، بمن في ذلك إنسان هذا الصف الإسلامي الراكض في سباق الحركات والتنظيمات الإسلامية المعاصرة؛ فاختلال المفاهيم الفطرية واضطرابها، أنتج فتنة عامة أشبه ما نكون - في عمومها وشمولها - بالفتن التي ذكرها النبي ﷺ في بيانه الرهيب لما يقع بين يدي الساعة، فسعى من بين ما سعى: « فِتْنَةُ الدُّهْنَاءِ لَا تَذُحُّ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطْمَتُهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْفَضَّتْ نَمَازُتُ^(١) » . وهي أشبه أيضاً ما نكون - في عمومها وشمولها - بـ (فتنة الفطر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُسْرِفَ عَلَى أَطْعَمِ بَنِي أَطَامِ الْمَدِينَةِ^(٢) . ثُمَّ قَالَ: « هَلْ تَرَوْنَ مَا أُرَى؟ إِبْشِي

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

(٢) الأُطَم: بضمينين، هو: كل حصن مبني بحجارة على هيئة مربعة. جمعه: أطام. وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ أطام بضمواحي المدينة لحراستها.

لأزنى فوافع الفهري خلال ثبوتكم، كمواضع الفطرا » (١). ألا وإن حال الفطرة الإنسانية اليوم لكذلك! نعم، واليك البيان:

ولكن، لنشرع أولاً في مقارنة هذا المفهوم: (الفطرة)، بعد مفهوم « الإسلام » ومفهوم « الدين ». فهي سلسلة متعاضدة، بعضها من بعض.

ولنبدا الدعوى بالقول على سبيل التعريف: إذا نفرر أن الإسلام دين، فلك أن نقول: إن الدين فطرة بل لك أن نقول: إن الدين هو الفطرة.

وهنا نحسب أننا نفررب أكثر وأكثر من تشخيص الحلال، عسى أن تتمكن - بإذن الله - من وصف منهاج العمل.

ولنعد سؤال البهجة الثالثة: ما الفطرة؟

الفطرة - كما ستبين بأدلتها - هي: ذلك السر الكامن في قلب الروح، إنها الجوهر المكنون للخلق الإنساني، والسر المصون للوجود البشري، فهي أم اللطائف، ومرجع الأسرار في المعنى الوجودي لحقيقة « الإنسان »، يكملها بكمل مفهوم الإنسان، وينقصها بنقص معناه، وبانحرافها الكلي بخروج عن طبعه وحده إلى ذلك المعنى البهجي الجنس الحيوان.

فأي مس لها وأي خدش يؤدي حتماً إلى اضطراب - على قدر ذلك المس وذلك الخدش - في المعنى الوجودي للإنسان، وإلى تخبط نفسي واجتماعي؛ بما يقبض منها على وجوده الروحاني والجسماني من معاني الحياة؛ ذلك أن لجروح الفطرة درجات، فمما كما لجروح الجسد، فخدش الجلد لبس كشن اللحم، ولا هذا ككسر العظم، ولا هو كبفر البطن أو طعن الصدر، فعلى قدر التغير لطبيعتها يكون حجم الفساد في الأرض؛ إذ هي من أخص خصائص الصنع الإلهي، والنكوين الرباني للخلق البشري.

ولذلك كانت الفطرة - بما هي « اسم هيئة » كما يقول النحاة - هي الصورة النفسانية الأولى التي خلق الله عليها الإنسان، بما سواها عليه من نوازن وكمال، أي قبل تدخل البد البشرية العائنة فيها بالخرم والخذش.

ومن هنا كان تدخل الإنسان فيها بالتعبير والتبديل مغامرة خاسرة قطعاً؛ لأنه تدخل فيما لا علم له به من أمر خلفه ومأخذه وجوده؛ ولذلك كان ممنوعاً من مد يده الطائشة إلى صندوقها فصد محاولة العبث بسرّها؛ إذ فساد شيء من حقيقتها لا يمكن نلافه بأي إصلاح جهول من عنده، أو أي استدراك بلبد من علمه، بل لا بد فيه من تدخل ثانٍ لخالفها العظيم، الذي لا نعجزه الإعادة كما لم نعجزه البدء. ﴿فَلْيُحْيِيهَا أَذْيَىٰ أَفْتَسَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس: ٧٩). فهو وحده - سبحانه - العليم بأسرارها، الخبير بطبيعة تركيبها. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

ذلك هو مقتضى البيان النبوي العميق من قوله ﷺ: «مَا مِنْ فَوْلٍ إِلَّا يُؤَلَّدُ عَلَى الْفُطْرَةِ، فَأَبْرَأَهُ يَهُودًا يَهُدٍ أَوْ نَصْرَانِيَةً أَوْ مَجَسَّانِيَةً، كَمَا تُنْتِجُ النِّهْيَةُ يَهْمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» (١). وفي رواية مسلم زيادة مهمة، نصها: «كَمَا تُنْتِجُونَ الْإِبِلَ قَلِيلَ فَبَدُونَ فِيهَا جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تُجَدِّعُونَهَا». فندبر، ما أعجب هذا الكلام النبوي العميق!

فلا يكون التدخل في هذا المعنى اللطيف الممنوع إذن، إلا هذى وضلالاً؛ ولذلك جعل الله الدين أساس الصيانة لهذا السر العجيب في معنى الوجود الإنساني، وهو مقتضى هذا النص القرآني العظيم: ﴿بَلِ انْتَعَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مَا أَصْلَ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَلْوِينٍ ۝ قَائِفَةٌ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَائِمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُبْدِينَ إِلَيْهِ وَأَقْوَاهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ تَرَفُّوا بِهِمْ وَمَكَانًا يَشْعَبُونَ كُلٌّ حِزْبٍ يَمَّا لَدَيْهِمْ قِيَمُونَ﴾ (الروم: ٢٩ - ٣٢).

فقطرة الله التي فطر الناس عليها، هي صورة الروح المؤتمنة، المجبولة على صفاء الإخلاص لله، بما هو رب العالمين، الخالق وحده لكل شيء، المستحق وحده للعبادة من دون كل شيء. من هنا يبدأ تصور معنى الفطرة بفتح بعد ذلك إلى كل أعمال

(١) متفق عليه، من رواية أبي هريرة مرفوعاً.

الدين، سواء في ذلك ما كان من الروحانيات أو من الجسمانيات؛ لأن الدين هو المؤهل وحده على تحديد معنى الفطرة، وهو المؤهل وحده على صيانتها ورعايتها. خاصة وأن الله - جلّ علاه - جعل الروح بحكمته الابتلائية مغمورة بالجسد، أو الجسد مغمورًا بها، على سبيل التداخل والامتزاج الدنيوي، لتخفيف حكمة الابتلاء، فكانت فطرة النفس إذن بذلك مهددة بالضباع في غمرة نوازع الجسد الحيوانية، وفي زحلي رغائيه الطينية؛ إن هي لم تُضبط بالتهذيب والنشذيب، لتبقى على أصل خلقها، بما هي فطرة نفسانية أولى، وهبة روحانية سابقة، مجبولة على نسوية نامدة ونوازن حكيم.

وهذا يحيل على ذلك المفهوم الفرآني العجيب، المؤسس لأصل الإيمان في الخلق البشري ابتداءً، بما هو سر من أسرار الخلق والملكوت، لكنه مهدد بالضباع في مناهات الغفلة عن صيانة العهد الأول، وميثاقه المؤسس على الفطرة الأولى. وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ بَنَ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى سَهِدْنَا أَنْ نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٢٠﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢١﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّبُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَقَدْ كُنتُم مِّن قَبْلُ مَكْفُوتِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

فالصيانة لهذا المعنى، نهديًا ونشديًا، هو بالضبط ما نفوم به أحكام التكليف التي جاءت بها الشريعة، ولا شيء من الدين يخرج عن هذا المعنى؛ ولذلك فإنك ترى كيف تمند معنى الفطرة في الإسلام، من المطلق الأول للدين، في بيان هبة المؤمن النفسانية الباطنة، ابتداءً من حقيفة التوحيد بما هو إخلاص العبادة لله وحده، وانتهاءً ببيان هبة المؤمن الجسمانية، مما يتعلق بخصال الفطرة الظاهرة في تجلياتها الجمالية. فالمعنى الأول - الهبة الإيمانية - هو الأصل، وهو مرتبط بعالم الغيب؛ ولذلك فهو صندوق السر، حيث يكمن المعنى الوجودي للإنسان. والمعنى الثاني - الهبة الجسمانية - إنما هو الفروع المنجلية منه على عالم الشهادة.

فالخصوص الشرعي المؤسسه للمعنى الأول والمبني له، يتقدمها هذا النص الفرآني المذكور، بعبارانه الصريحة الواضحة في بناء المعنى الإيماني للفطرة، بما هي إخلاص

لله الواحد الفهار، ونفي لكل ضلالات الأهواء والأغواء، وعليه تجري كثير من البيانات النبوية الصحيحة من مثل حديث الفطرة المذكور في شمول كليتها على كل مولود يشرى. وقد صح عن النبي ﷺ غير ذلك من النصوص، التي تؤصل لهذا المعنى التوحيدي ونفصله منها قوله للمؤذن وقد سمعه يرفع الأذان بالتكبير في الصحراء: « على الفطرة » ^(١) ومنها قوله - عليه الصلاة والسلام - للبراء بن عازب رضي الله عنه: « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: « اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، اللهم أنت بكتابتك الذي أنزلت، ورببتك الذي أرسلت ». فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به » ^(٢). وغير ذلك من النصوص كثير... فكل هذه المعاني للفطرة ترجع إلى أصل واحد هو مدار التوحيد والإخلاص، الذي هو الصورة الجلية الأولى للنفس الإنسانية، وهبتها الروحانية التي كانت عليها يوم مولدها بارئها جل علاه.

وأما المعنى الثاني، وهو امتداد تجليات الفطرة إلى المظاهر الجمالية الجسمانية فمن أشهر النصوص الواردة في ذلك قوله ﷺ: « الفطرة خمس: الخبائ، والإسبخاذ، وثلف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظفار » ^(٣).

وهناك ارتباط وثيق بين المعنيين؛ لكون الثاني امتداداً للأول - من جهة - وتجلباً من تجلياته؛ ولأنه - من جهة ثانية - علامة سيمائية على سلامة الباطن، بما هو تهذيب وتذيب فهو دائرة على معاني الفص والتنف والتقليم، وما شابهها من معاني الصيانة التشريعية للفطرة الإنسانية، وذلك كلها تجليات لما يجب أن يقع في عالم النفس أولاً، من فص وشف وتقليم والتوازن الطيفي والغرائب الشهوانية التي تزيج بالموطن عن هيئة الصورة النفسانية الأولى: الفطرة الإيمانية، بما يجعلها تنحرف عن حقيقة التوحيد والإخلاص، إلى ضلالات الأهواء المعبودة من دون الله.

(١) رواه مسلم. ونصه: عن أنس بن مالك قال: « كان رسول الله ﷺ يبرز إذا فلق الفجر، وكان ينشع الأذان بأن شمع أذانك زلاً أغار، فسمع رجلاً يقول: « الله أكبر، الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: « على الفطرة ». ثم قال: « أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله » فقال رسول الله ﷺ: « غرحت بن النار، فتنظروا فإذا هو راجي معزى ».

(٢) متفق عليه. (٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

فالفطرة في الإسلام إذن معنى واحد منسجم، راجع إلى الإيمان الخالص، والدين الخالص، ثم إلى ما انبنى على ذلك من حفيظة الخلق الإنساني، نسوبةً وتقديرًا بدنيًا بالخفاياq الإيمانية وسائر التصورات المفهومية لمعاني الخير والشر، والحق والباطل، وانتهاءً بالمواقف السلوكية الاجتماعية، مما تتضمنه من سلامة الأذواق، وصلاح العادات، وسائر ضروب التصرفات البشرية في العمران والحياة.

لكن ذلك جميعًا قائم على المعنى الأول، أعني الصورة النفسانية والهيئة الروحانية للإنسان، بما وصفنا وأصلناه، فلا يسلم شيء من الفروع في مجال التجليات العمرانية والاجتماعية والجسمانية إلا به.

والناظر في مأساة الإنسان المعاصر اليوم يدرك أن الفساد الحاصل في الاجتماع البشري فساد عميق جدًا، بمعنى أنه مثل نوازن الفطرة، ونحرم صورتها الأولى، ونخدش أخص خصائصها الباطنة؛ فننتج عنه اضطراب كبير، وفوضى عارمة في كل مناحي العمران البشري فشاهت المفهوم والتصورات، وشاهت الأذواق والتصرفات وشاهت الحياة البشرية أجمعها إلا ما شاء الله.

فكل ضروب الانحراف البشري المعاصر، وكل صور التمرد على الله، سواء في مجال الإيمان والتوحيد، أو في مجال العبادات والمعاملات والأخلاق، وسائر ضروب التشريع وأنواع الثظم الإسلامية، وما شابهها من خرق سافر عريض، ونمرد على شؤون الربوبية، وانتهاك لحقوق الله، بما هو رب البشرية ورب العالمين، كل ذلك راجع على الإجمال إلى انحراف في المعنى الباطن للفطرة؛ بسبب ما حصل لها من نشوهات في المفاهيم الإيمانية، وانحرافات في فروعها السلوكية والأخلاقية.

وخذ لذلك إن شئت، مثال العربي السافر الرهيب، الذي آل إليه حال المرأة المسلمة اليوم، وما ينفع من الارتكاس المصنوع للشباب - ذكرًا وإناثًا - في الشهوات، ونردبهم في مستنفعات الموبقات، وما يحدث - في سباق ذلك - من الانتهاك الفاجر المحموم لحرمان الله، كل ذلك وما في معناه راجع إلى ما حدث لدى الجيل، من انحرافات ونشوهات في صندوق الأسرار الجليلي: الفطرة، لقد تم تطبيع التصورات والأذواق على تمجيد صور الباطل، وتزيين مفاهيم الضلال، فحصل استنفاد معاني الجمال والحياء، واستحلاء معاني الفحش والبيذاء! وطفى النمرد على كل معاني الفهم

الفطرية والأخلاق الفاضلة ففسدت حاسة الذوق الروحي لدى الإنسان، تمامًا كما يفسد الذوق الحسي لدى مدمن الخمر والتخدرات، عندما نراه يستحلي روائعها التنه الغدرة فهذا، وذلك، كلاهما فساد في أصل الفطرة مبین؛ ولذلك صرنا في حاجة إلى إعادة تأسيس جديد لمفاهيم الخير والشر، والجمال والضح، والحق والباطل، والصالح والفساد، إلى غير ذلك من المفولات والمفاهيم المؤسسة للحياة العمرانية على الأرض في شتى صورها الحضارية.

وهذا لن يفهم به فرد، ولا جماعة إسلامية محدودة، ولا حزب يصارع في دائرة ضيقة، بل هذا مشروع بعثة تجديدية شاملة، ينهض به جيل كامل من العلماء العاملين، والحكماء الربانيين؛ بقصد رد البناء إلى أصله، وإعادة صياغة الإنسان على أساس موازين الوحي وعلى عبته.

لقد انحرف المعنى الأصلي للفطرة الإنسانية في عالم الروح؛ فانحرف بانحراف السلوك البشري في الأرض؛ ولو لم يحصل الأول لما حصل الثاني؛ ففجر العري الجسماني - مثلاً - ليس سوى نخل لفجور العري الإيماني، ولت أن نندير عن الارتباط بين الأمرين في هذا النص القرآني العجيب، من قوله تعالى: ﴿يَبْقَىٰ ءَادَمَ فَذَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّورِي سَوْءَ بَرْتِكُمْ وَرِدْنَا أَلْبَاسَ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا﴾. ﴿يَبْقَىٰ ءَادَمَ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَرْتِكُمْ إِنَّهُمَا لَبِغْلٌ خَفِيٌّ لَا يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا قَالُوا فَتْنَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَأَنَّهُ أَمْرٌ يُبَآءُ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦ - ٢٩].

فالانحراف المبين في الآية مؤسس له من قبل بانحراف مفهومي في طبيعة الحقائق والقيم، بدءاً بوسوسة الشيطان لآدم في خطيئته الأولى، وانتهاء بما وصل إليه حال البشرية من غمر على مفاهيم الحق والجمال؛ حيث صارت تُسَوِّغُ كل ضلالاتها بأنها هي الحق، وأنها هي عين الفضيلة والجمال. ﴿وَإِذَا قَالُوا فَتْنَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا

انحرافات نمتد من العقائد والنصورات والمفاهيم، إلى الممارسات والتصرفات والأخلاق، وسائر ضروب الأدواف؛ لتنبئ عن عمق النشوة الذي أصابه في فطرته النبي فطره الله عليها، بما هو إنسان.

إن خطورة النشوهات المعاصرة أنها قد عمّت بها البلوى؛ بصورة نوهم الأجيال أنها هي الرضع الطبيعي للإنسان! وأن الشذوذ والانحراف إنما هو في عكسها.

لقد ندق سبل الفساد على خللا الروح المشككة للفطرة الباطنة؛ حتى صار من الصعوبة جدًا أن نجد من نجا من آثار هذا الخراب الروحي الرهيب؛ إذ امتدت النشوهات الروحية، والاختلالات التصورية، والانحرافات السلوكية، حتى إلى كثير من الشرائع العاملة في إطار الحركة الإسلامية نفسها إلا قليلًا، وكانت المأساة أن بعض من يعرض نفسه على أنه حامل الدواء - للنفس وللمجتمع - هو ذاته يعاني من الداء! الداء الذي يزعم أنه بملك علاجه، لقد تسرب المرض إلى كثير من البدهيات الدينية في نصورات (الحركة الإصلاحية) المعاصرة، بصورة حقة، قد لا نخاطر على بال؛ بما جعل محاولة إقناعها بمراجعة ذلك في أديانها ضربًا من العبث! وجعلها تعنف جهلاً بأن ما هي عليه من فهم ومقولات، هو عين الحق الفاضل لكل جدل عقيم.

إن صدمة الطبيب عندما يكتشف أنه هو نفسه مريض، نكون أشد عليه من أي صدمة أخرى بما يجعله - في بعض الأحيان - يرفض عرض نفسه على زميل له، ولو على سبيل الاستشارة فينمادى في طمس حقيقة مرضه، والدخول في علاجات فردية غير مجدية؛ إيهامًا لنفسه وخداعًا لها، مصرًا على عدم الاعتراف بالواقع حتى يكون من الهالكين.

إن طبيعة المرض اليوم في الحياة الإسلامية العامة والخاصة، أعمق من أن نعالجه بد بشرية فاصرة، لا خبرة لها ولا اختصاص، إن اختلال سر الفطرة في الإنسان اليوم في حاجة ماسة إلى تدخل الرحمة الإلهية، بما نملك من معاني الربوبية وشؤونها العظمى، المحبطة بأسرار الملك والمملوك، فلا يستطيع إصلاح الفطرة البشرية اليوم، وإعادة نسويها على أصل خلقها، إلا الذي فطرها أول مرة؛ الرب العليم بطبيعة نكويتها، وخصائص تركيبها؛ بما خلق فيها من لطائف وأسرار، فهو وحده الخالق، وهو وحده

من بملك حق الصبابة والرعاية. ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الرؤا: ٦٢].

ومن هنا كان خطاب الوحي - بما هو خطاب الفطرة حقاً - هو وحده المؤهل لإصلاح العطب الحاصل في محرركات العمل الإسلامي المعاصر، والقادر على ترشيد السير ونصوب الاتجاه، وضبط بوصلة المفاصل والغابات، وإعادة ترتيب سلم الأولويات، كما أنه هو وحده المؤهل لإعادة نسوية ملامح الصورة الفطرية في النفس الإنسانية على العموم.

إن اشتغال العمل الإصلاحى بإعادة بناء العمران الروحي للفطرة الإنسانية، مؤد بالضرورة إلى إعادة تجديد العمران الاجتماعى والمادى للحياة الإنسانية برمتها، سيامة وافصاذاً واجتماعاً؛ إذ ذلك هو المنهاج القرآنى الذى سلكه رسول الله ﷺ طيلة مدة بعثته الشاملة، بما استغرت عليه من كل وظائف النبوة، نلاوةً ونزكيةً ونعليةً.

فإذا صح للعمل الإسلامى هذا، وجب أن يضبط الوسيلة الأساس، ألا وهى اعتماد خطاب الوحي لا غير، القرآن الكريم وبياناته النبوية. فالقرآن بما هو كلام رب العالمين، المنزل لهذه الوظيفة أساساً، هو المؤهل وحده لإعادة بناء هذا النوع من الهدم والردم، الحاصل فى الحياة البشرية اليوم، كما وصفنا وسخصنا. ولك أن نندبر فوله تعالى فى بيان طبيعة القرآن: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ الْغَيْبُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ذَكِيًّا﴾ [الفرقان: ٦]. وقال فى خصوص وظيفته: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۖ وَلَا يَأْتِيَنَّكَ يَسْتَدِلُّ إِلَّا حِسَابُكَ بِالْحَقِّ وَاحْسَنَ تَقْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢، ٣٣].

فإذا صح الأمران معاً - الهدف والوسيلة نشخيصاً وعلاجاً - ثم شرع أبناء العمل الإسلامى فعلاً فى تطبيق « المنهاج القرآنى الفطرى »، كانوا هم أول من يخضع لعملياته الجراحية، من حيث بشعرون أولاً بشعرون؛ لأن الوحي لا يصل إلى الناس إلا بعد أن تشتعل بحرارته فلوب الدعاة إليه، وتلهب هى ذاتها بحفائفه، وتوهج بخطابه، فلا نور ولا اشتغال إلا باحتراف، ولك أن نندبر معاناة محمد بن عبد الله، ومكابدته للقرآن العظيم كيف كانت، وليس عباً أن يُرسِلَ ﷺ هذا

الشعور العميق نفساً لاهباً بين يدي أصحابه الكرام، قائلاً لهم: « سَيِّئِي هُوَ وَأَخْوَانُهَا » (١).

فشعور الداعية بأنه هو عبته قد صار موضوعاً للإصلاح، لا آلة له فحسب، وبأن نفسه ذاتها قد صارت حديفة لمفص القرآن، يشتغل فيها بالتهذيب والنشذيب، وثرية لمائه الصافي الرفراف تنلفاه بشغف وشوق، ومصباحاً لزينه الوهاج تحترف به مواجيدها نوهجاً واشتغالاً، كل ذلك علامة على أنه قد دخل في أول خطوات العمل الإسلامي السليم، وانخرط في مسلك السير الفعلي إلى الله، عبداً لله أولاً، ثم داعياً إليه بصديق، جلّ علاه. ذلك هو الحق إن شاء الله، والأمر فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الْمَقَلُّ ﴿ [يونس: ٣٢].

ففضية الفطرة إذن، هي فضية الدين في هذا العصر، وهي فضية الإنسان، ومن هنا كانت الفُطْرِيَّةُ مشروعاً دعوتياً قائماً على هذا المعنى، بحمل رسالته التربوية هدفاً ووسيلة.

هذا، وبعد استقراء مواردها في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ثم نشخص أدوائها ونشوهاتِها في عصرنا هذا، جعلنا لها - لتيسير الاستغفال بها - أدوات منهجية، نعرضها في مجموعة من المفاهيم القرآنية، تشكل جهازاً تربوياً متكاملًا، هو مسمى « الفطرية » أو « المنهاج الفطري » في القرآن.

(١) رواه الترمذي والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

الفطرية دراسة في الأركان والمسالك

الفطرية: مصدر صناعي أخذناه من الفطرة. وهو دالٌّ - بمصدرينه تلك - على معنى دعوي؛ أي على « فعلٍ » واقع في الفطرة ومن أجلها، سواء في النفس أو في المجتمع، ومن هنا سَكَنَاهُ مصطلحاً نعبر به عن مشروع دعوي عام، وعن تصور كلي للعمل الإسلامي، نرجو أن يوفقنا الله إليه، وهو ما ننوِّس إلى محاولة ضيقه - في هذه الورقات - بمسمى الفطرية.

ولذلك جعلنا لها حَدًّا، وسنة أركان، وثلاثة مسالك.

فَأَمَّا حَدُّهَا فَهُوَ:

إِفَاتَةُ الرَّجُلِ لِلدِّينِ حَبِيقًا، خَالِصًا لِلَّهِ؛ وَذَلِكَ بِمُكَابَذَةِ الْفُرَاقِ وَمُجَاهَذَةِ النَّفْسِ بِهَا نَافِئًا وَبِلَاغًا، فَضَدَّ إِخْوَانِهَا مِنْ نَشْوَآتِ الْهَوَىٰ إِلَىٰ هُدَىٰ الدِّينِ الْقَبِيحِ؛ وَمِنْ تَلَمَّاتِ الطَّلَالِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ.

فَبَاءَ عَلَىٰ هَذَا التَّعْرِيفِ؛ تَكُونُ « الْفُطْرِيَّةُ » بمثابة عملية إصلاحية وجدانية، تقوم أساسًا على تصحيح ما فسد من فطرة الإنسان، الجبول أصلًا على إخلاص التوحيد، وإصلاح ما أصابها من نشوهات تصورية وسلوكية، في سُنَى امْتِنَادَاتِهَا العِمَارَتِيَّة.

ذلك منتضى الآيات - بعبارة وإشارة وسبأنا - من قوله تعالى، الجامع المانع في هذا المعنى العظيم، وهو النص الفرآني القريب الذي أوردناه من قبل، من قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ أَنسَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَبَّحُوا مِن بَيْنِ يَدَيْهِ مَنَاضِلَ اللَّهِ وَمَا لَهُم مِّن دُصْرٍ ۚ ۝ فَأَوْدَعَ اللَّهُ لِدِينِهِ حَبِيقًا فَطَرَتِ اللَّهُ إِلَيْنَا فَطَرَ النَّاسَ عَنِهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

فأي دعوة نكون أم أي داعية، إذا كان فؤاده فارغاً من هذه الحقائق والمعاني؟ شارداً عنها في نيه سفسفات الكلام، ومهاترات الجدل والحصام؟ ولا هو كان ممن اتخذ لنفسه مسلكاً إلى الله عبر ربانية القرآن؟ وكيف لا؟ وما الرحمن - جل علاه - بين الطريق للعباد - بما لا بدع مجالاً للسك ولا للتردد - بقوله الواضح الصريح: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّاسِ أَنْ يُوَظَّيَهُ اللَّهُ أَلَّا يَكْتَسِبَ وَالْحُكْمَ بِالشُّبُهَةِ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُكَلِّمُونَ الْكَاتِبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]. ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ بَرِّبْ إِنَّ قَوِيَّ أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠]. ونحن سورة النمل يبين هذا المنهج الرباني الفريد، فقال على لسان رسوله ﷺ: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَكَذَا أَتْلُوهُ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَمْ أَكُنْ سَوَّيًّا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ السَّالِفِينَ ﴾. وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِىَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾. ﴿ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبُّكَ رَبِّدِهِ فَتَعَوَّذْهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٣].

والمصطلح المفتاح لمنهج التعامل مع القرآن، في مدرسة « الفطوية »، هو مصطلح: « التلغي »؛ لأن التربة القرآنية في مجالس القرآن لا تكون إلا بتلغي الرسائل الكامنة في الآيات، تلك الرسائل هي التي ننضمّن حقائق الإيمان المفصّلة بالخلق والنحنف، في طريق الدعوة والسير إلى الله صلاحاً وإصلاحاً.

فمن قرأ سورة الإخلاص ولم يخلق بالإخلاص، ولا هو تحف به، فمعناه أنه لم يتلقَ سورة الإخلاص، ولا هو ممن تلاها حقاً، ولو ظل يرددها آلاف المرات! ﴿ أَتَدْبِرُ مَا تَكْتَبُ بَتَلَوْنَهُ حَقٌّ تَلَاوِيهِ أُولَئِكَ يَفْتَنُونَ بِهِ وَمَنْ جَفَرَ بِهِ قَالُوا لَيْتَ كُنَّ الْحُشِيرَةُ ﴾ [البقرة: ١٢١]. وكذلك من قرأ المعوذتين ولم ينحرف بما فيهما من أمان، ولا نزلت عليه سكينتهما، فإنه لم يتلقَ شيئاً من السورتين، ومن قرأ سورة الفاتحة ولم يعجد نفسه قد خلق بالحمد، ثم اندرج بمدارج « إياك نعبد وإياك نستعين »؛ طلباً لهداية الرضى والتشبيب، فإنه لم يتلقَ الفاتحة بعد!

ولمّا يكون « التلغي للقرآن » - بما بيناه في كتيب « مجالس القرآن » - من حجب استقبال القلب للوحي على سبيل الذكر. وبيانه هو كما يلي:

(كثيرون هم أولئك الناس الذين يبلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجماع، على أشكال وأغراض مختلفة، ولكن قليل منهم من (يتلقى) القرآن ! وإنما يؤني القرآن ثمار الذكر حاضرة لمن تلقاه، وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ أَلْفُؤَةً مِّن لَّدُنِّكَ حَكِيمٌ عَمِيمٌ ﴾ [النمل: ١٦]. ولا يزال القرآن معروضاً لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه ظاهراً فقط.

وأما تلقي القرآن فهو استقبال القلب للوحي؛ إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ، على نحو ما سبق في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ أَلْفُؤَةً مِّن لَّدُنِّكَ حَكِيمٌ عَمِيمٌ ﴾ [النمل: ١٦]. ونحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ نَذِيرًا أَن بُلُغَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الصمر: ٨٦]. حيث ألقى الله عليه القرآن بهذا المعنى، كما فسره الراغب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سُلِّمْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا نَّبِيًّا ﴾ [الزلزل: ٥]. قال رحمه الله: « إشارة إلى ما لحمل من النبوة والوحي » (١).

وأما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي؛ فذلك المنهج هو الذي به تنبعث حياة القلوب؛ لأنها تتلقى آتخذ القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِنشِينَ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَفِي ظَهْرِ شَيْءٍ مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢]. و (تلقي القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر؛ إنما يكون بحيث يتعامل معه العبد بصورة شهودية؛ أي كأنما هو يشهد نزله الآن غصاً طرباً، فيندبره آية، أية، باعتبار أنها نزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبع قلبه حيناً في عصره وزمانه، ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلقى) له السمع بشهود القلب. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِّذِكْرِي لَئِنْ كَانَ لَمْ فَلَبَّ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢٧]. ذلك هو الذاكر بالقرآن حقاً، الذي يُخصل ثمرة الذكرى ولا يكون من الغافلين.

(١) المفردات، مادة: (لقي).

فَأَنْ تَلْفِي الْفَرَانَ: معناه إذن؛ أَنْ تصغي إلى الله يخاطبك، فنبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً، وبهذا نفع البفظة والتذكر، ثم يفع التخلُّق بالفران، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، لما سئلت عن خُلُقِهِ - عليه الصلاة والسلام - فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ الْفَرَانُ» (١).

وَأَنْ تَلْفِي الْفَرَانَ: معناه أيضاً أَنْ تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك، كما ينزل الدواء على موطن الداء، فأدَمُ (عليه السلام) لما أكل هو مزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت عليهما أمارَةُ الغواية؛ بسقوط لباس الجنة عن جسديهما، فظل آدم (عليه السلام) كيتاً حزينا. قال تعالى: ﴿فَأَسْكَلْنَا يَنْهَا بِقَدَتِ لَهَا سَوَاءُ نُهُمَا وَطَوَّعَا بِخُصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ لَخَلْفُ وَعَصَى مَا دُمُ رَيْبُ فَوَيَّ﴾ [طه: ١٢١]. ولم يزل كذلك حتى (تلفى) كلمات النبوة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له بذلك شفاء، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دُمُ مِنْ رَيْبِهِ كَلِمَتِ رَبِّهِ قَاتَبَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٢٧]. فهو (عليه السلام) كان في حاجة شديدة إلى شيء يفعله أو يفعله؛ لينوب إلى الله، لكنه لا بدري كيف؟ فأنزل الله عليه - يرحمته تعالى - كلمات النبوة؛ لينوب بها هو وزوجه إلى الله تعالى. وهي - كما يقول المفسرون - قوله تعالى: ﴿فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. فبمجرد ما أن نزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛ حتى نطقت بها الجوارح والأشواف؛ فكانت له النبوة شُلُفًا إلى يوم القيامة، وكان آدم (عليه السلام) بهذا أول التوابين، وذلك بأعذه كلمات النبوة من ربه على سبيل (التلفي): ﴿فَلَمَّا دُمُ مِنْ رَيْبِهِ كَلِمَتِ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧]!

فعندما نقرأ الفران إذن؛ استمع وأنصت! فإن الله ﷻ يخاطبك أنت! وادخل بوجدانك مشاهد الفران، فإنك في ضيافة الرحمن، هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (٢). وبذلك نخرج إلى الناس في هذا العصر العصيب - بكل تعقيداته وظلماته - نحمل رسالة الفران، كما حمل موسى (عليه السلام) من قبل عصاه، فتلفي أباها كلمة كلمة على سبيل الشهوات

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٢) مجالس الفران: (٢٧ - ٤٠)، بتصرف يسير.

والشبهات، وعلى سائر الأهواء والأدواء. ﴿يَا إِدَا هِيَ تَلْفُفُ مَا بِأَفْكَوْنَ﴾ قَوْعُ الْفُتْ
وَيَبْلُ مَا كَانُوا بِمَكُونٍ ﴿فُعَلِبُوا هَتَاكَ وَأَنْفَلُوا حَتِيرِينَ﴾ وَالْفِي السَّحَرَةُ سَوِيرِينَ ﴿قَالُوا
أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧ - ١٢١].

نعم، ذلك هو فعل القرآن في هذا الزمان، على النفس وعلى المجتمع، كما كان
في كل زمان، لكن لمن نلاه حتى نلانه.

بهذا المنهج إذن نلتفي عزيمتك رسالة الكلمات، فنشعر بمعاناتها، ونبلقى فليكن
هداية الآيات، فنبشر بمكابداتها، ونجد نفسك أنك نترفي حفيضة بمدارج الإيمان،
نشاهد ذلك ونبصره، فلا بمضي عليها إلا وقت وجيز حتى نراها - بإذن الله - قد
تحولت إلى منزلة أعلى من منازل الصلاح والإصلاح؛ فتتحول المعاناة إلى لذة،
ونصير المكابدة إلى حلوة، ويصير الخوف إلى أمان، وإنما الموفق من وفقه الله.
للك هي الفطرية، وذلك هو منهاجها لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً.

وأما أركانها فستة:

هي مصطلحاتها المفتاحية - وهي:

١ - الإخلاص مجاهدة.

٢ - الآخرة غاية.

٣ - القرآن مدرسة.

٤ - الربانية برنامجنا.

٥ - العلم طريقة.

٦ - الحكمة صيغة.

فأما الركن الأول، وهو: الإخلاص مجاهدة:

فهو فض الفطرية، ومخجها الذي تنطوي عليه، بما هي محاولة لإعادة بناء النفس
على ما بنيت عليه أول ما خلقت، وقد كان أول بنائها على الفطرة، وقد سبق أن
أصل الفطرة الإنسانية إنما هو إخلاص التوحيد لله رب العالمين، فكان مدار الفطرية -
دعوة وتربية - إنما هو على أفراد الله ﷻ بالعبودية وحده دون سواه، ونجد سائر

ضروب الشرك والشركاء، ظاهرًا وباطنًا. فسائر الأعمال والعبادات في الإسلام إنما هي خادمة لهذا الركن الركين، وفروع لهذا الأصل العظيم، هو غايتها، وهو مقياس صحتها وفسادها؛ ولذلك وجب أن يُجعل الإخلاص - كما جعله الله في كتابه، وبيَّنه الرسول في منهاجه - مدار الدين والدعوة جميعًا، وإلا صار العمل الإسلامي كله إلى انحراف وضلال! إلا أن إخلاص التوحيد ليس مجرد معلومات تُلقن، ولا منظومات تُستظهر، بل هو حقیقة إيمانية عظيمة، وتخلق فرأني عميق، لا يُبال إلا بمجاهدة ومكابدة؛ ولذلك فبدنا ركنه ببيان طريفة التحقن به؛ يقولنا: «الإخلاص مجاهدة»؛ إذ مقتضاه راجع إلى معنى السير إلى الله على طريق الفناء في طاعته؛ لنحقيق خالص العبودية له وحده جل علاه، حتى لا يبقی منك شيء لسواه، فنجعل كل رغائلك وكل أهوائك وكل ذرائك، الظاهرة والباطنة، فانية في فصده هو ﷻ، حتى ينحرف لك دوام الشهود لعبديتك الكاملة له، فلا تكون في شيء من عبادتك وعادتك إلا بالله وله. ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَذَكَرْتُ وَنَحَّيْتُ وَمَا لِيَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له ﴿وَذَلِكَ يُرْتَبُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النعام: ١٦١، ١٦٣].

هذا هو المقصد الأساس من المدرسة القرآنية، والغاية الكبرى لبرنامج الربانية، والجامع المانع لمفهوم الفطرية. فمن أراد الإخلاص حقیقة، وجب أن ينحرف بطريفة التخليق بمفاهمه، ومعراج الرقي إلى منزله، وإلا كان ممن يمتنى على الله الأمان، وليس لذلك دون مكابدة القرآن ومجاهدة النفس به من سبيل، وإنما الموفق من وفقه الله. وأما الركن الثاني، وهو: الآخرة غاية:

فهو ميزان الداعية المزمع لتفويج صفاء دينه، وبوصلته لضبط مسار دعونه، وما ارتبط شيء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما ارتبط ركن الإيمان بالله بركن الإيمان باليوم الآخر على نحو ما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وهو في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصى؛ إذ الإيمان بالآخرة هو حادي العبد إلى تخفيف منزلة الإخلاص في إيمانه بالله جل علاه؛ ولذلك كان هذا البهان النبوي العجيب في رسم طريق الآخرة للمؤمنين، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هُمَّةً جَعَلَ اللَّهُ غَنَاءً فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ

شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة! ومن كانت الدنيا همه جعل الله فجزه بين عينيه وفؤقه عليه شمله! ولم يأنه من الدنيا إلا ما فُتِرَ له» (١).

فالخضور الأخروي الدائم في وجدان المؤمن يجعله آمناً من فتن الشهوات، ومن يريق الإغراءات، التي نفسد الدعوات وتدمر الحركات، وعدم العض على هذا المعنى العظيم في الإسلام بالتواجد مُتًفٍ بالمرء - أنى كان موقعه الحركي في العلم والعمل - إلى مناهات الضلال؛ ذلك أن فضيلة الحياة الآخرة هي جوهر العفيدة الإسلامية، ومآل العالم الوجودي كله. ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤].

وأحسب أن هذه الحفيفة العظمى لجما ينبغي لكثير من الحركات الإسلامية، أن تراجع تصوراتها، وبرامجها، وأولوياتها، على ميزانها؛ وذلك لما شاهدناه لدى بعضها من انحراف عن وعد جنة الآخرة إلى وعد جنة الأرض في سباق التنافس المحموم مع الحركات اليسارية والأحزاب العلمانية، وإنما المؤمن الصادق بهذا الدين - بله الداعية إليه - زجل أخروي بالفصل الأول. ﴿أَرْسَبْشَرُ بِالْحَبْوَ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ نَمَّا مَنَعَ الْحَبْوَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

ونتميز الفطرية بأنها تجعل لكل حفيقة من حقائق الدين ما جعله الله لها من الحجم والفُذْر، في الصورة الكلية للإسلام ديناً ودعوة؛ لأن ذلك من خصائص الفطرة، ومن صفاتها الذاتية، بما هي الهيئة الأولى للدين، قبل أن يصيبها التغير والتخريف، ومن هنا كان الركن الثاني من أركان الدعوة الفطرية: «الآخرة غاية»، وفُتْرنا بالغاية؛ حتى لا ينفى هذا المعنى حبس التصورات النظرية في الجدل الكلامي، بل ليصبح هدفاً محدداً واضحاً، لكل عمل إسلامي يُرْجى به نيل رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم في جنات الخلد، والنجاة من عذاب الجحيم، ألا جعلني الله وإياك يا صاح من الفائزين بنعمته، الداخِلين في رحمته. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

(١) أخرجه الترمذي عن أنس مرفوعاً. وصححه الألباني، حديث رقم: (٦٥١٠) في صحيح الجامع.

وأما الركن الثالث، وهو: القرآن مدرسة:

فهو الصبغة العامة للقطرية، بما هي قائمة أساساً على تلقي رسائل القرآن، سواء عبر برامج الربانية أو عبر مجالس القرآن، وقد نبين ألا إمكان لإصلاح القطرة الإنسانية إلا بالقرآن؛ لأنه إنما أنزل أساساً لهذا الفصd الرباني العظيم، فالقرآن - بما هو كلام تحالو الإنسان، العلم بأسرار تكوينه - هو كتاب لإصلاح القطرة الإنسانية وصباننها، ومن هنا كانت القطرية مدرسة قرآنية بالدرجة الأولى^(١).

وأما الركن الرابع، وهو: الربانية برنامجاً:

فهو أحد مسالكها التربوية الرئيسة، الهادفة إلى تخريج طبقة الدعاة المربين، وهم طائفة الربانيين الحاملين لرسالة القرآن، المشتغلين بدعوته في الناس أجمعين، بما يقتضيه مفهوم الربانية من مقام إيماني عظيم، وفقه دعوي منين؛ ولذلك جعلنا لها برنامجاً قرآنياً خاصاً، استغنياء من مجموع الآيات الدالة على أخلاق الربانيين، وخصوص منازلهم الإيمانية، وما تقتضيه من العلم والحكمة، معزّراً بالبيانات النبوية، الرامية إلى تخريج أئمة الهدى في الدين.

وأما الركن الخامس، وهو: العلم طريقة:

فهو راجع إلى كون العلوم الشرعية أساساً، ومناهجها الاستدلالية والاجتهادية، وفواعدها التنفيذية والتأصيلية، هي المسلك الأساس لبناء علم الناس بالله وبدننه، عفيفة، وشريعة، وتربية وسلوكاً. فلا مكان في القطرية للخرافية، ولا للأهوائية الشخصية، ومن هنا وجب أن تحمل رسائل القطرية، لكل المسلمين، الحد الأدنى من العلم الشرعي، الذي لا يُعبد الله إلا به، عفيفة وشريعة، وذلك هو المسمى عند العلماء بـ «المعلوم من الدين بالضرورة»، أو «ما لا يتنع المسلم جهله»، ثم تحرض - في الوقت نفسه - نغاء الشباب على تحقين واجب الوقت، من التفريغ لطلب العلم الشرعي، بشروطه التخصصية؛ وذلك لمد الأمة بأجيال العلماء الربانيين، على ما بيناه في كتابنا «مفهوم الغائبية». فذلك هدف إستراتيجي، وجب أن يكون عموداً قفرياً، في كل مشروع دعوي، انتصب لتجديد الدين بصديق وبجدية. وما التوفيق إلا بالله.

(١) قد فصلنا ذلك ما يكفي، فيما سبق من بيان وكذا في مواطن تقديم برنامج الربانية ومفهوم محاسن القرآن، فلا داعي للإطالة.

وأما الركن السادس، وهو: الحكمة صبغة:

فهو صمام الأمان لسير العمل الدعوي، وقد كان غياب الحكمة سبباً رئيساً في هلاك كثير من الدعوات واندثارها، أو انحرافها، والحكمة في العمل الدعوي هي: « اتخاذ الإجراء المناسب، في الوقت المناسب، بالقدّر المناسب ». فهي إذن راجعة - في النهاية - إلى كلمة واحدة جامعة هي: تحسين التقدير والتدبير.

ويُتَحَقَّقُ منها بأمرين، أحدهما كسي والآخر وُهبي. فأما الكسي فهو: الفقه في الدين بمعناه المنهجي، وخاصة منه ما يسمى عند الأصوليين بفقه « تحفيظ المناط » غايته وخاصته^(١)، ويدخل فيه فقه الأولويات وفقه الموازنات، وما يندرج بهما من قواعد الندرج والتلطّف والنترس.

وأما الوهبي فهو: راجع إلى التخلّق بمقامات التقوى والورع، إذ هي سبب وضع المؤمنين في منزلة التعرّض لتفحات الله، التي تفتح البصائر وتير السرائر، وهو معنى الفرقان في قوله تعالى: ﴿ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ سَخَّرْنَا اللَّهُ لَكُمْ رُحْمًا وَأَكْفَرَكُمْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتَغَيَّرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ١٢٩]. وكذا قوله تعالى: ﴿ وَاسْكُفُوا اللَّهُ وَتَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يَكْفِي سَاءَ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وفي هذا السبب أسند الله تعالى فعل إتيان الحكمة لنفسه تعالى؛ لتفي مطلب كسبها عن الإنسان، وهو قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد كان شيخ المقاصد أبا إسحاق الشاطبي رحمه الله - بما فتح الله له من العلم والحكمة - من أمهر العلماء الربانيين ففها لهذه الحقائق ونعبراً عنها، بشفها الكسبي والوهبي، وقد وردت عنه في ذلك إشرافات عجيبة، في نصوص شتى من كتابه الرائد الموافقات، ولنا أن نخار منها هذا النص الفريد، قال رحمه الله في وصف العالم الرباني الحكيم أنه: « لا يذْكُرُ للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يرمي بصغار العلم قبل كبارها، وقد فرض العلماء مسائل، بما لا يجوز الفها بها، وإن كانت

(١) انظر تفصيل ذلك - إذا نشاء - في كتاب الموافقات لشاطبي: (٩٧/٤).

صحيحة في نظر القفه، (...) وضابطه أنك تعرض مسائلتك على الشرعة، فإن صحت في ميزانها؛ فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسده؛ فاعرضها في ذهنك على العفول، فإن قبلها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما قبلها العفول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائفة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية « (١) » .

وهذه منزلة من العلم الرباني، رجب على الداخل في مدرسة الفطرية أن يحرص على التحقق بأسبابها، والتخلق بشروطها؛ عسى أن يكون من أهلها، ولو على مستوى المنهج في المجال الدعوي، إن لم يكن من أهل الاختصاص الشرعي والاجتهاد الفقهي، ومدرسة القرآن بما هي مشرب رباني صاف، كقبلة بتحقيق ذلك للصادقين من طلابها، بما يجعل الحكمة - بإذن الله - صفة جوهرية في التصرفات الدعوية لأبنائها؛ ولذلك جعلنا الركن الأخير من أركانها: (الحكمة صيغة) . كذلك، والله الموفق للخير والمعين عليه .

نلك إذن هي أركان الفطرية الستة. ونحسب أن الدخول في برامجها القرآنية، من خلال مسالكها التربوية، كقبل بالتحقق التلقائي بها، ركنًا ركنًا، وإنما ذكرناها ههنا معزولة من باب ذكر المقاصد قبل الوسائل؛ حتى نكون نلك عونًا على حسن تطبيق هذه. والله المستعان .

وأما المسالك التربوية للفطرية فتلاثة، وهي:

١ - مجالس القرآن لتلقي حقائق الإيمان، والتخلق بمفوضياتها .

٢ - بلاغ رسالات الله بدعوة الناس إليه .

٣ - رباطات الفطرية، بما تنضمه من صلوات وأوراد معنوية؛ للتغذية الفردية (٢) .

(١) الموافقات: (٤/ ١٩٠، ١٩١) .

(٢) جعلنا ذلك فيما كتبنا من قبل - بكتابتنا بلاغ الرسالة القرآنية - في ثلاث خفقات، بصيغة: (اغتنام الجمالسات، بالتزام الرباطات، وتبليغ الرسالات) . وكان الكلام عن « الرباطات » مفصلاً على التزام المساحد، لكننا توسعنا ههنا بحملها بمجموعة بأعمال أخرى من أوراد الفطرة الضرورية للمؤمن فعلاً وركناً، على ما يفضيه قوله تعالى: ﴿ أَقْلَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْكِتَابَ وَأَقْبَرُ الْكِتَابُ ﴾ [المائدة: ١٥] . والله تعالى التوفيق .

وبيان ذلك هر كما يلي:

المسالك التربوية للفطرية:

المسالك التربوية لتجديد بناء الفطرية، هي: مجموعة من المسالك التعبدية التي نفوذ العبد إلى الله، فنقوم ما شأه من أخلاقه وطباعه، ونصلح ما فسد من مزاجه وأفكاره؛ ليستقيم على خالص فطرته، وصفاء سريرته، عبداً خالصاً لله، ثم نرتقي به عبر مدارج الربانية؛ إلى أن يتخلق بمقام الصديقين - إن شاء الله - وينتخفئ به.

وهي ثلاثة مسالك، نورد هنا كما يلي:

المسلك الأول: الدخول في مجالس القرآن:

وهي مجالس تربوية لثلاثي آيات القرآن، والتخلق بأخلاقها وبمحافظتها الإيمانية، والنهض بها، نعلماً وتعلماً، ونديراً ومدارساً، وهي تقوم على وظائف النبوة الثلاث، التي هي:

- ١ - التلاوة بمنهج التلفي.
- ٢ - التزكية بمنهج التدبر.
- ٣ - تعليم الكتاب والحكمة بمنهج المدارس^(١).

يستعان على إعداد القلب ونهيشته للتلفي بقيام الليل، ولك أن تختار لنفسك ليلة - على حسب ظروف عملك - تقوم فيها بنحو مائة آية من القرآن^(٢)، مرة كل أسبوع على الأقل، عسى أن يصير ذلك لك عادة يومية، تتغل خلالها عبر منازل القرآن، وإذا أمكن أن نتحدث - في بداية الطريق - عن «تحقيق المناط التربوي»؛ فإنه بحسن الإكثار من القيام بسورة الفرقان في الركعة الأولى، وبسورة الحديد في الركعة الثانية، أو بسورة الملك؛ وذلك لما لهذه السور وأمثالها من نريات عظيم لأمرض هذا العصر العصب.

كما يحسن أن تكون سورة الفرقان خاصة، مما يبدأ بتعلمه من القرآن الكريم، حفظاً

(١) قد بينا ذلك مفصلاً في كتاب «محال القرآن»: (٣٥ - ٤٤).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من النافذين ومن قام بألف آية كتب من المقطوعين» رواه أبو داود وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

ومداوسةً ونديرة؛ لأنها باب عظيم من أبواب القرآن، ومدخل فسبح من مداخله الكبرى، منْ نُخْلِقُ بحقائقها الإيمانية، ونُحْفَ بمنازلها الربانية؛ نال من كنوزه الوفرة فضلاً عظيمًا؛ إذ فيها من الأسرار الغُضْبِ المُعْجَبِ، عيونًا نندفح بالأنوار واللطائف والبركات، من بدايتها إلى نهايتها؛ بما يكفي السائل وتُكْنِثُ - بعد نخله بأخلافها ونُحْفَ بمنازلها - أن بلج إلى مسالك القرآن جميعها ويكون من (عباد الرحمن) حفيضة^(١).

ويلحق بهذا المسلك فرع أصيل، وهو مجالس قرآنية لتخريج الدعاة الفائمين على مجالس القرآن في الناس، والمُوطرين لها، يعتمدون فيه برنامجًا تربويًا خاصًا، منتهى من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو:
برنامج الربانية لتخريج الدعاة:

إذ الربانية: هي مربية الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن، على الالتزام بحقائقها الإيمانية، والتخلق بهجئيه الرحمانية؛ إخلاصًا لله أولاً؛ حتى تنفي في دعوتها عن كل حظوظها، فلا يفوم شيء منها إلا لله وبه، ثم شهادةً بذلك على الناس، تربيةً ودعوةً، ثم صبرًا واحسانًا.

والربانيون هم الأمناء على هذا المنهاج الدعوي، والفائمون به في المجتمع، والحاملون رسالته، تربيةً ودعوةً، على ما فرره القرآن الكريم في غير ما آية، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نَبِينَ يَمَّا كُنْتُمْ لَعَلَّكُمْ أَلِكُتِبَ رِيَمًا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَرْزَلْنَا أَلْزُورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ بِحُكْمِهَا أَلْزُبُوتُ أَلَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّنَبُونَ وَالْأَحْبَارُ يَمَّا أَسْتَحْفَظُوا مِنْ كُتُبِ

(١) مكلفك من ذلك إشارة أن اسمها هو أحد أهم أسماء القرآن؛ بلا سورة سميت بثل اسمها مع أن أسماء القرآن الواردة بنصه كثيرة، ثم إن موقعها متفتح على أواسط القرآن؛ ولذلك فهي تدخل بصاحبها إلى ساحاته برأحاته؛ وتنفي به إلى معارجه ومفاسده، ومن هنا كانت أباها كلها ندر على محاور القرآن الكبرى، بدءًا بأصول الإيمان وحقيقة التوحيد والإخلاص، فدلالت النبوة، وحقائق البعث ومشهد القيامة، والوعد والوعيد، وموازين العدل، وجزير القصص، ثم جُكَم التشريع وجماله؛ ولذلك كانت عاقلها نعمل من نمار الإيمان بمدارجها ما يرتقي بالعبد إلى منازل الأولياء والصديقين. رما التيقن إلا ماله.

اللَّهُ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَتَرَوْا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَبِيلًا ﴿١٥﴾ [المائدة: ٥٥].

وكذا قوله سبحانه: ﴿لَوْلَا يَتَّبِعُهُمُ الْزَيْنُوتُ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْيَوْمَ وَأَكْبَهُمُ الشُّعْبَةُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

وقد أورد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه قولاً نفسيرياً لابن عباس رضي الله عنهما قال: «كُونُوا زَيْنِينَ»: حُلَمَاءُ فُقَهَاءَ. وقال الإمام البخاري بعد ذلك شارحاً: «وَيُقَالُ: الزَّيْنِيُّ: الَّذِي يُرِي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ» (١).

ومن هنا فالأمة في حاجة ماسة إلى تخريج طائفة عريضة من هذه النماذج الدعوية، وبثهم في كل منطقة وقطاع؛ للقيام بدور تجديد الدين، على موازين العلم والحكمة (٢).

المسلكت الثاني: بلاغ الرسالات:

وهو راجع إلى واجب الالتزام الدعوي للإنسان المسلم، وذلك لما نعلق به من أهم صفات ما انتسب إليه من الإسلام: «الرسالية». قال صلى الله عليه وسلم في أمر مطلق لكل الأمة: «تَلَفُّوا عَمِي وَ لَوْ آبَةً» (٣). ومن هنا كان المجتمع الإسلامي كله جماعة دعوية بطبيعته، وحيافة إصلاحية ببطونه، إنه مذ أعلن أن محمداً رسول الله، نفلاً - بمقتضى عقيدة الأنبياء - مهمة الدعوة إلى الله، فليس عيباً أن يحض النبي صلى الله عليه وسلم بكل وسائل التحريض والتشجيع - على الدعوة إلى الخير والهدى، كما في قوله: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ وَجْهًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» (٤).

ومن هنا شهادة الله بالحرية لهذه الأمة، في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْسِرُونَ وَآمُرُونَ فِي ذُنُوبِهِمْ عَنِ الْمُتَكَبِّرِينَ وَلَوْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [ال عمران: ١١٠]. إنها صفة عامة في كل من أسلم لله الواحد الفهار، كل بنال منها على قدر طاقته ومسؤوليته. لكن لا بد من بيان أن البلاغ اليوم في المسلمين ليس بلاغ (خير) هذا الدين.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

(٢) قد أوردنا بعض المعالم المنهجية لتكوين شخصية الداعية الرباني في تعهد «مرواج الرابطة».

(٣) أخرجه البخاري. (٤) متفق عليه.

فذلك أمر قام به الأولون، وما بقي اليوم صفع في الأرض لم يبلغه فضة الرسالة الإسلامية، على الجسلة، وإنما المسلمون اليوم في حاجة إلى «إبصار». إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله سبحانه في قوله: ﴿وَكَرِهَتْهُمْ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا رَبُّكَ ۚ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَكَايَ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْأُمُورِ فِي السَّاعَاتِ وَالْأَرْضِ بَرُورٌ عَلَيْهَا ۚ وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [سجدة: ١٠٥]. فالبلّاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ التبصير، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته فما ذكرناه من أصول الرسالة القرآنية، وبلاغات القرآن^(١) : من اكتشاف القرآن العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف الحياة الآخرة، واكتشاف روح الصلوات وحفظ الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع السنة، تركبة وتعلما وتعلما، ومفاتيح ذلك كله في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. ونلك هي وظيفة مجالس القرآن.

ومعلوم أن من أهم الرسائل الدعوية ذات الأثر العميق، خاصة في هذا العصر، إنما هي تأسيس «مجالس القرآن» كما وصفنا وبيننا، ونكثير جليلها وسوادها في الأمة؛ حتى تصبح جزءاً أساسياً من حركة التنشيط الاجتماعي العام، ونلون كل شرائحه الاجتماعية، على اختلاف طبقاتها وفضاعاتها، فالدعوة المسلم يدعو إلى الله كل الناس، وفي كل مناسبة، ومن على كل منبر، لكن «مجلس القرآن» في النهاية، هو أساس التزكية والتعليم، ومحض التربية والتكوين، وضمان السير إلى الله، ومن هنا كان مسلك «بلاغ الرسالات» إنما يتم بالرجوع إلى مسلك «مجالس القرآن» تأسيساً ونوسباً.

المسلك الثالث: وباطن الفطرية:

(بما بنضمه من صلوات وأوراد معنوية؛ للتنغذية الفردية، وما يلزم عن ذلك كله من فعل الصالحات وترك الموبقات).

فرباط الفطرية: هو أعمال واجبات، ونورك لازمات، وأذكار مندوبات، مما صح أن الرسول ﷺ التزمه وداوم عليه، فالرباط الفطري هو معراج المؤمن الدائم إلى الله،

وحصنه المنيع من كل فتنه أو آفة؛ ولذلك فهو يتضمن بالأساس، أفعالاً واجبةً وأخرى محرمةً - من المعلوم من الدين بالضرورة - يلتزمها المؤمن فعلاً ونزكاً أبداً، على أنها أذكار معنوية تُذكّره أبداً بالله؛ إذ لا يصح سببه إلى الله إلا بها، كما سترى بمحله إن شاء الله، والغاية منه إنما هي إصلاح صورة النفس بنهذيتها ونشذبيها، وكذا تركيبتها بتغذية لطائفها؛ حتى تعود إلى أصل فطرتها.

وقد سمي رسول الله ﷺ الاشتغال بالصلوات الخمس، وبكل ما نعلن بها من وضوء، ومشي إلى المساجد، وما اتبني عن ذلك كله من سواين ولواحق من الاستعدادات والعبادات: «رباطاً». ففي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَتَخَنُّدُ الْخَطَايَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَالنِّظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ!» (١).

فكرن الصلاة والاشتغال بمقدماتها ونوايعها «رباطاً»، بهذا السُبل التربوي الجامع، إنما هو باعتبارها صلة للعبد بربه، وعاصماً له من الزلات والغفلات فهي لذلك فعل ونزك، وهي ذكر دائم لله، فذلك هو «الرباط»، وذلك هي غاية كل فعل تربوي في الإسلام؛ ولذلك كانت الصلاة أعظم شعيرة عملية في الدين، فهي أم الالتزامات والأوراد، وأساس كل الأذكار اللفظية والمعنوية جميعاً، فالصلاة إذا تخففت بها العبد صدفاً، وخلق بمقاصدها الشرعية حقاً - كانت عبادة جامعة مانعة، وافرأ إن سئلت قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَنْتَ الصَّكُّوْةُ﴾ [التكوير: ٥٥]. وصدق رسول الله ﷺ: «فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ!».

ومن هنا فإننا لم نعتمد في هذا المسلك سوى منهاج السنة النبوية الصحيحة، التي اشتغلت - في مجال إصلاح النفس - بالمعاني أساساً؛ حيث إن الذكر على نوعين؛ هما: الذِّكْرُ الغُذْبِيُّ والذِّكْرُ المَغْنَوِيُّ.

(١) رواه مالك في موطئه ومسلم في صحيحه، كما رواه أحمد والترمذي والنسائي.

فالعددي: هو الذي يرهن فيه المسلم نفسه بأعداد هائلة من الأذكار، نسيبها ونهبلها واستغفارا... إلخ، بلوغا إلى الآلاف! وعلى هذا كان أغلب طرق الصوفية من المتأخرين خاصة، وثلث طريق طويلة محقوفة بالخطاطر، وقلما تصل بصاحبها إلى بر الأمان.

وأما النوع الثاني فهو: الذِّكْرُ الْمُغْنَوِي:

وهو قائم أساسا على قصد ربط المؤمن بربه أبدا، بالأقوال والأفعال والنزوك؛ حيث يجتهد العبد لمحقق في كل حركة، وفي كل كلمة، وفي كل هيئة، من سائر الأفعال والنزوك التعبدية التي يدخل فيها، معناها الذي شُرعت له؛ فيكون بذلك في أعلى مقامات الذِّكر، ولذلك كانت الصلاة مثلا بهذا المعنى ذِكْرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ قَاعِدُنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [مطه: ١٤]، وكان القرآن أيضا بهذا المعنى ذِكْرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [السل: ٤٤]، كما كان ترك الكبائر والموبقات - كلما عرضت للمؤمن - ذِكْرًا أيضًا؛ لأن الوقوع فيها آتد لا يكون إلا غفلة منه عن إيمانه، وهو ضد معنى الذِّكر، ومثاله الواضح ما ورد في الحديث النبوي المنقول عليه، من قوله ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب النهية ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينهبها وهو مؤمن »^(١). وذلك لما لهذه الأفعال والنزوك وأضرابها جميعا من تغذية قوية للقلب، وإمداد له بحفائض الإيمان، وهو معنى الذكر وغايته.

فإذا أُجِذَ الذِّكْرُ العددي بموازينه الثابتة في السنة الصحيحة، وطُبِنَ على هذا الميزان، كان ذِكْرًا معنويًا أيضًا، وكانت عديده نابعة لهذا القصد؛ لأن الأذكار النبوية التي بنيت على أعداد معينة إنما جعلتها وسيلة لتعميق المعاني أساسًا، ولضمان تغذية القلب بها، فالأعداد فيها نابعة للمعاني والعكس غير صحيح.

وذلك هو الذكر الشُّعْثِي النبوي؛ ولذلك ما بُت في السنة منه إلا ما بدور على المرة الواحدة والثلاث ثم العشرة حتى المائة، على أقصى تقدير. ولم يرد ما يجاوز

ذلك ليلخ المئات بله الآلاف؛ إذ الفصد الشرعي من الذكر إنما هو ربط الغلوب بالله، والترفى بها عبر مدارج الإيمان، وهذا إنما يتم بالنحقق والتخلق بالحقائق الإيمانية والصفات الربانية، ولا يكون ذلك إلا بالإبحار في سفائن المعنى، تركيزاً على قليل الألفاظ، المكتنزة بالحقائق الروحية، والمتدرجة بالعبد قريبة ونزكية في طريق السير إلى الله، بما نتجحه له من التدبر والتذكر، والتغذية الإيمانية المنقطعة النظير، التي تقوم بإعادة بناء عمرانه الروحي، وترميم حصنه النفسي، عسى أن يتجفع في ابتلاءاتها في مجال التدافع الاجتماعي، والافتتان الدنيوي من أمور المال والأعمال، وسائر معارض الشهوات ومواطنها.

وعلى ذلك المنهاج كان النبي ﷺ يدرّب أصحابه ويعلمهم، وشواهد في السنة كثير، بل ذلك هو فعله - عليه الصلاة والسلام - في نفسه بنفسه، ويكفيها من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، من حديث أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بِكَرَّةٍ حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا - يَعْنِي وَهِيَ تُسَبِّحُ - ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَقَالَ: « مَا زِلْتُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ » قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَعَدْتُكَ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ زِلْتُ بِمَا قُلْتُ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سَبَّحَانَ اللَّهَ وَبِحَمْدِهِ، عَدُوْ خَلْفِهِ، وَرَضًا نَفْسِهِ، وَزَفَةً عَرَبِيَّتِهِ، وَمِدَادًا كَلِمَاتِهِ » (١).

ومعلوم أن الكثرة من ذلك تُفْقِدُ اللفظَ حقيقته في النفس، ونخرجه عن منهاج السنة النبوية؛ فنحنجب أسرارَه ونغيب أنوارَه؛ إذ إن فضخيم جانب من جوانب الدين - بما يخرجه عن أصله المسنون - يؤدي قطعاً إلى ضمور جانب آخر، ربما كان أوجب في الدين وأهم، والحكمة إنما هي إعطاء كل شيء قدرته الذي أعطاه الشرع له. وعلى هذا المنهج نبينا ما جمعناه من « أورد الفطرة » للعمل اليومي، في « رباط الفطرة » الدائم. وهو أربعة التزامات:

الالتزام الأول: شهود الصلوات الخمس والتزام رباطاتها:

وذلك بمجاهدة النفس في كل صلاة من الصلوات الخمس؛ لانهض من مقام

العبودية خشوعاً فيها؛ حتى نجد فعلاً أنك بين يدي الله ﷻ فتناجيه، ثم نركع له ونسجد، بما هو ربك ورب العالمين، وبما أنت عبده المنبذل بين يديه، فهذا جوهر هذا المسلك وحقيقته، فكل صلاة ضاع منها شهود المناجاة لله رب العالمين، فقدت معنى كونها مسلماً تعبدياً، وورداً نربوياً، بل فقدت معنى كونها صلاة على الحفيضة؛ فمن أنس بالله أن رسول الله ﷺ قال: « إِنْ أَخَذَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ » (١) وفي رواية أبي هريرة وعائشة (رضي الله عنهما): « إِنْ الْمُضَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ؛ فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ » (٢). وفي صيغة لأبي هريرة خاصة: « فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ ».

وإنما ذلك يكون بثلاثة أمور:

أولها: تخفيف تكبيرة الإحرام ابتداءً؛ حيث يكون شهود العبد لحقيقته تخلصاً من مؤثرات كل الأغبار، وإشهاداً للقلب مقام الوضوء بين يدي الواحد القهار.

وأما الثاني: فهو شهود مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ عند قراءة الفاتحة - بما هو تخفيف عميق لإخلاص العبادة لله رب العالمين، وحده دون سواه، وبما هو نجمي للقلب على توحيد المعبودية في ذات الله جل علاه.

وأما الثالث: فهو تخفيف الخضوع في هيئة السجود والركوع؛ لنذوق مواجيد الغنبيّة لله، وذلك مفضي إلى مشاهدة معاني كل حركات الصلاة ونسبياتها، فإن لكل هيئة مقاماً ولكل عبارة حالاً.

ذلك أنه إذا استقامت هذه الثلاثة للعبد في صلاته استقام له كل أفعالها وأقوالها؛ بما لذلك من تأثير كبير على صلاح بآفها قولاً وعملاً؛ وبذلك تكون الصلاة ورّداً نربوياً حقيقياً، ينهي صاحبه عن الفحشاء والمنكر فعلاً، ويعرج به عبر منازل الإيمان، ولا معراج أسرع في الوصول إلى الله من الصلاة.

وبما يعطي للصلاة عمقها الروحي عُمرانٌ سجودها - بعد التسبيح - بخالص الدعاء، وإنه لا يذوق معنى السجود حقاً، ولا يستفيد من أنواره القباضة على القلب، إلا مَنْ وَضَعَ جبهته على الأرض خاضعاً لله، ومنذلاً بين يديه تعالى بأخز الدعوات

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الحاكم والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، وقد روي نحو ذلك بطرق شتى في الصحيحين وغيرهما.

وَأَخْلَصَهَا، وَخَرَّجَ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَذْكُرَ هَذَا النَّبِيَّ ﷺ فِي ذَلِكَ: وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَتَكَبِّرُوا الدُّعَاءَ» (١). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «فَإِذَا الرُّكُوعُ فَغَطُّوهُمَا فِيهِ الرَّبُّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَنِبُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَفُتِحَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» (٢).

وَأَمَّا التَّزَامُ رِبَاطُ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا الْقَصْدُ بِهِ الْمَسَاجِدَ حَيْثُمَا كَانَتْ، وَذَلِكَ يَبْذُلُ غَايَةَ الْوَسْعِ لِأَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ بِهَا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ عِلَاهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُكُمْ يُذَكَّرُ لَمْ فِيهَا بِالْقُدُورِ وَالْأَسَالِ﴾ ﴿يَسْأَلُ لَا لِنَفْسِهِمْ يُخَرِّجُ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَكَفَارِ الصَّلَاةِ وَرَبِّهَا﴾ الرَّكُوعُ بِخَافُونَ يَوْمًا نُنْفِثُ فِيهِ الْغُلُوبَ وَالْأَبْصَارُ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَأَلَّهُ بَرُّكَ مَنْ بَنَاءُ يَغْتَرِبُ حِسَابُ ﴿[النور: ٣٦ - ٣٨]. ذَلِكَ مَا سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (بِالرِّبَاطِ)، فِي حَدِيثِهِ الْمَذْكُورِ قَبْلَ.

الالتزام الثاني: في اختيار من الذكر الغددي:

صنِعَ الْأَذْكَارُ السَّابِقَةُ الْوَارِدَةُ فِي السَّنَةِ الصَّحِيحَةِ كَثِيرٌ، وَلِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، عَلَى حَسَبِ حَاجَتِهِ وَعِلَّتِهِ؛ إِذْ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ تَخْفِيقِ الْمَنَاطِ الْخَاصِ، كَمَا عُبِّرَ عَنْهُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِي رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَّا أَنَّهُ ثَبِتَ بِاسْتِفْرَاءِ تِلْكَ الصَّنِيعِ وَالْأَذْكَارِ، أَنَّ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُهُ أَصُولًا لِلذِّكْرِ فِي الْإِسْلَامِ، مِمَّا اطْرَدَ الْعَمَلُ بِهِ، أَوْ نَوَاتَرَ الْأَمْرُ بِهِ فِي نَصُوصِ الْفَرَّانِ الْكَرِيمِ وَبَيَانَاتِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَمِمَّا اسْتَهْرَ مُحْكَبًا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَى السَّنَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَمِمَّا مُدْبَحُوا بِالتَّزَامِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَيْهِ بِالْعَدْرِ وَالْأَصَالِ، وَصَبَغَهُ جَمِيعُهَا - بِاخْتِلَافِ عِبَارَاتِهَا - نَدَوْرٌ عَلَى الْإِجْمَالِ حَوْلَ أَرْبَعَةِ أَصُولٍ:

أُولَاهَا: الْاسْتِغْفَارُ، وَثَانِيهَا: النَّهْلِيلُ، وَثَالِثُهَا: النَّسْبِيعُ، وَرَابِعُهَا: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (٣).

وَلَا شَكَّ أَنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ كَثِيرٌ، لَكِنَّا نَحْسِبُ أَنَّ هَذِهِ الْخَوَارِ الْأَرْبَعَةَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ: «فُتِحَ»، مَعْنَاهُ: جُدِّدَ، وَخَرَّجَ.

(٣) ن. ذَلِكَ مَفْصُلًا بِأَدَلَّتِهِ فِي رِسَالَةِ مِثْنَاكِ الْعَهْدِ: (١٤٥).

المذكورة - لأصلينها، ولتوازن الأمر والعمل بها - هي مما لا يجمل بالمؤمن أن يدخل أو يوراده منه، ومن هنا كان لك - أخي المحب في الله - أن نتوسع ما شئت في الذكر، على حسب حاجتك وطبيعة علمك؛ بشرط الالتزام بالمنهج المستون قولاً وعملاً، عسى أن نكون على الفطرة.

وعليه؛ فلنك أن نختار من صيغ الأصول الأربعة الصيغ الثبوتية التالية، نركب منها لنفسك ورذاً يومئذ، وذلك على نحو ما يلي:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ قَأْفِذْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيمًا فَنُطِرَ اللَّهُ الْفِي فُطْرَ النَّاسِ عَلَيْنَا لَا يُدْبِلُ يَخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ الْفُتْرُ الْفُتْرُ وَلَنَكِبُ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ شُيْبِينَ إِلَيْهِ وَأَقْنُوهُ وَأَقْبِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ مِنْ الَّذِينَ نَزَعُوا مِنْهُمْ وَكَانُوا يَسْبَغُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴾ [الرَّحْم: ٢٠-٢٢] (١).

- اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ رَازِعُكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأُبِئُ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. (١ مرة) (٢).

(١) يجوز للمؤمن أن يختار آية من كتاب الله، أو سورة، يلزم قراءتها يومياً أو كثيراً إذا وجد فيها مناسبة لحاله أو علاجاً لمرضه أو لعصره. كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد فبادرهم وكان كلما افتتح بسورة يقرأ بها لهم في الصلاة ما يقرأ به، افتتح: ﴿لَقَدْ هُمُ اللَّهُ أَحْسَنُ﴾ «الإسلام: ١» حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها. وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذا السورة، ثم لا ترى أنك تجزئك حتى تقرأ بأخرى، فإما أن تقرأ بهاء وإما أن تعدّها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بشارِكها! إن أسبغت أن أؤمّكم بذلك فعلت، وإن كرهتم ترككم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أفاضهم النبي صلى الله عليه وآله أخبروه، أخبره فقال: يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ويحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ فقال: «إني أحبها» فقال صلى الله عليه وآله: «حبك إياها أدخلك الجنة» رواه البخاري.

ونحن نرى أن في آيات الفطر: المذكورة أعلاه علاجاً مهماً، وثيقاً عظيماً لهذا الانحراف المنهجي عن الفطرة الإيمانية في هذا العصر، فيحسن لذلك الإكثار من تلاوته والاعتصام بهذها ركبة وتدبرها.

(٢) عن شداد بن أوس رضي عنه، عن النبي ﷺ قال: «نُشِذَ الاستغفار أَنْ يَبْعَثَ اللهُ مَنْ يَقُولُ الْقُدُّ: اللَّهُمَّ أَنْتَ وَبِعْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ... إلخ» كما هو مذكور أعلاه فقال ﷺ بعدها: «مَنْ قَالَهَا بِالنِّهَائِ مُرَوِّعًا بِهَا فَعَاتٌ مِنْ نَوْجِهِ مِثْلُ ابْنِ بَيْسِي مِمَّنْ هِيَ مِنْ أَصْحَابِ الْعِدَةِ وَمِنْهُمْ يَدْعُوهُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ وَالْقُدُّ» رواه البخاري.

- استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه. (١ مرة) ^(١).
- استغفر الله وأتوب إليه. (١٠٠ مرة) ^(٢).
- لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير. (١٠ مرات) ^(٣).
- لا حول ولا قوة إلا بالله. (٣ مرات) ^(٤).

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف» - رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني أيضًا في صحيح الترمذي: (١٧٢/٣).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» - رواه البخاري. وقال رحمته الله: «استغفروا ربكم إني استغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة». ورواه البغوي وصححه الألباني. انظر حديث (رقم: ٩٤٤) في صحيح الجامع، وقال رحمته الله: «إنه يُغْفَرُ على فلي». راني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» - رواه مسلم.

(٣) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء يوم عرفه وحبر ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». ورواه الترمذي. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٢٧٤). وعن عمارة بن نسيب السائي أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، غُفِرَ مراتب على إثر اتِّقَابِ؛ نَفَثَ اللهُ مِنْهُ نَشْلَةً يَخْفِظُونَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُبْصِخَ وَتُحْمَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمِنْهَا عَشْرُ شَيْئَاتٍ مُؤِثَّاتٍ وَكَانَتْ لَهُ بِهَذَلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤِثَّاتٍ» - رواه الترمذي وحسنه. ثم حسنه الألباني في صحيح الترمذي وفي صحيح الترغيب والترهيب. وفي رواية أبي أرباب الأنصاري: أن من قالهن حين يصبح «كُنْ لَهُ نَشْلَةٌ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يَغْفَلْ يَزِيدْ عَمَلًا يَنْفَعُهُنَّ»، فَإِنْ قَالَ جَرَى مُجِيبِي؛ قَبِلَتْ ذَلِكَ» - رواه أحمد والطبراني. وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط، بينما صححه الشيخ الألباني. وقد روي معناه بطرق محملة ومفصلة، صحيحة على شرط البخاري ومسلم، كليهما أو أحدهما فقد صحح عند أحمد من حديث أبي هريرة وغيره من الصحابة مروغما وهو وارد بصيغ متفرقة - كلها صحيحة - عند الترمذي والسائي وابن حبان، الطبراني. وقد فصلنا في تخریج طرفه بكتابتنا «مبایع العهد».

(٤) وقد ورد في فضله العظيم أحاديث كثيرة بلغت مجموعها حد التواتر، منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «لما غزا رسول الله ﷺ خيبر، أشرف الناس على واده فرموا أصواتهم بالكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرَبُوا على أنفسكم؟ إنكم لا تدعون أسم ولا غائبه إنكم تدعون سميًّا قريبًا، وهو محكم». وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعتني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله» - فقال لي: «يا عبد الله بن قيس»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «ألا أدلك على كلمة هي كسر من =

- الله أَكْبَرُ كُيُورًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُيُورًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصْبَلًا. (٣ مرات) (١).

- سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غَدُذْ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةُ عَرْشِهِ، وَبِمَادِ كَلِمَاتِهِ (٣ مرات) (٢).

- سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. (٥٠ + ٥٠ = ١٠٠) (٣).

- يَا خَيْرِي يَا قَيُّومُ بِرِخْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تُكَلِّبْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. (٣ مرات) (٤).

- اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ خَبِيرٌ بِمَجِيدٌ. (١ مرة) (٥).

= كَوْرُ الْحِنَةِ : قلت: بلى يا رسول الله، فذاك أمي وأمي، قال: « لا حول ولا قوة إلا بالله » متفق عليه. وقد فصلنا في تخرجه أحاديثها الأخرى في « ميثاق العهد ».

(١) عن عبد الله بن عمر: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ: « لَيْتَنِي تَعْلَمُ نَفْسِي شَيْءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: « اللَّهُ أَكْبَرُ كُيُورًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُيُورًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصْبَلًا ». فَنَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ الْفَائِلُ كَذَا بِكَذَا؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: « عَجِبْتُ لَهَا فَبَعَثَ لَهَا أَتَوَاتِ السَّحَابِ! » قَالَ ابْنُ عُثْمَانَ: مَا تَوَكَّلْتُهَا فَتَدَّ سُبْحَتُهُنَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « رواه مسلم.

(٢) سبق تحريجه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: « كَلِمَتَانِ شَقِيقَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، فَوَيْلٌ لِمَنْ فِي الْمَرْأَةِ خَبِيثَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » متفق عليه. وقال أيضًا: « من قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهَا أَرْبَعُونَ مِائَةَ مِائَةِ مَرَّةٍ مِثْلَ زَيْدِ الْبَحْرِ » (متفق عليه).

(٤) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لِفَاطِمَةَ: « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به: أن تقول: إذا أصبحت وإذا أمسيت: يَا خَيْرِي يَا قَيُّومُ بِرِخْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تُكَلِّبْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ » أخرجه الترمذي والسنائي والطبراني والحاكم وقال: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير والسلسلة الصحيحة. ومعه عَنْ قال: « كان النبي ﷺ إذا كَرِهَ أَمْرًا قَالَ: « يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ » وماء الترمذي بسند حسن. وإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: « أَبْطُوا بِمَاذَا الْخَلَالَ وَالْإِكْرَامَ » وقد رواه أحمد أيضًا بسند صحيح كما في صحيح الجامع. ومعنى أَبْطُوا: الزموا، إداموا. يقال: أَبْطُ نَهْضًا، إذا ثبت وتأخر.

(٥) هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرهما منها ما أخرجاه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: « لَقِيتُ كَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ »

- اللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا. (١٠ مرات) .
 - وَارْضُ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِنَا أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ، خصوصًا الأنصار والمهاجرين، والخلفاء الراشدين، أُمَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ: أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ كُلٌّ مِنْ أَسْتَنْ بِسَيِّدِيهِمْ، وَافْتَدَى بِهِذِيهِمْ، مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
 اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِحَبْلِهِمْ، وَثَبِّتْنَا عَلَى سَنَنِهِمْ، وَلَا تَخَالَفْ بَيْنَا عَنْ نَهْجِهِمْ، وَاحْشِرْنَا فِي زَمَرَتِهِمْ، مَعَ رَسُولِكَ الْكَرِيمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ.
 اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا عَلَى هَذَا ثَابِتِينَ، لَا مُبْدِلِينَ وَلَا مُغَيِّرِينَ، حَتَّى نَلْفَاكَ مُقْبِلِينَ عَلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، نَائِبِينَ مُنْظَرِّهِينَ، رَاضِينَ مُوَضِّعِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. آمِينَ.

- سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. (١) انتهى.

هذا، ولا ننس أخِي الْمُؤْمِن - فِي سَبَاحِ الذِّكْرِ - الْإِلْتِمَامُ بِأَدْعِيَةِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، كَدْعَاءِ النَّوْمِ

= النَّبِيُّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، قَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُنَّا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ؟ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نَسْلِمُ عَلَيْكُمْ، قَالَ: « فَرَلُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ... إلخ » متفق عليه.

وَفَضَّلَ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَظِيمَ جَدًّا، وَهِيَ مِفْتَاحُ خَيْرٍ كَبِيرٍ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثٌ صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ». (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). وَقَوْلُهُ ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ خَرَّازٍ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ، وَالتَّسَانُيِّ وَالتَّحَاكُمِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ. انْظُرْ حَدِيثَ رَفَم: (٦٢٥٩) فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: « كُلُّ دَعَاءٍ مُحَجَّرٍ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَلِ مُحَمَّدٍ » رَوَاهُ الدِّبْلَمِيُّ فِي مَسْنَدِ الْفَرْدُوسِ عَنْ أَنَسٍ، كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيِّ مَوْفُوفًا. وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ. انْظُرْ حَدِيثَ رَفَم: (٤٥٢٣) فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ: عَنْ الرَّوَاةِ الْمَوْفُوفَةِ عَلَى غُلِّيٍّ ؑ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرَحَالَهُ ثَلَاثٌ.

(١) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « كَفَّارَةُ الْجُلُوسِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو، وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ انْظُرْ حَدِيثَ رَفَم: (٤٤٨٧) فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ. وَفِي رِوَايَةِ التَّسَانُيِّ وَالتَّحَاكُمِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: « فَإِنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسٍ ذُكِّرَ كَانَتْ كَالطَّايِعِ يَطِيعُ عَلَيْهِ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَكُنْ كَفَّارَةً لَهُ » رَوَاهُ التَّسَانُيِّ وَالتَّحَاكُمِ عَنْ جَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ. انْظُرْ حَدِيثَ رَفَم: (٦٤٣٠) فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

والاستبفاظ منه، وأدعية الخروج والدخول والسفر، وسائر الأحوال، مما هو مأثور عن النبي ﷺ. كما أن على المؤمن أن تكون له أوقات مع ربه؛ لمناجاته ﷺ، ورفع أكف الضراعة إليه تعالى، بالأدعية التي يجد فيها العبد علاجاً لقلبه وغذاءً لروحه. ولا يجوز لأهل الدعوة خاصة، أن تخلو حياتهم من هذا، إذ الدعاء هو من أهم الزاد اليومي للعبد السائر إلى الله، ومن أهم أسباب الفتح والنصر^(١) وقد ثبت في ذلك أحاديث وفيرة، منها قوله ﷺ: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢). وقد فصلنا في نأصيل هذا - في غير هذا الموطن - بما فيه الكفاية إن شاء الله^(٣).

الانزاع الثالث: مفاطعة آلهة العصر الأربعة:

وأولها: الشرقيات والخرافات. ثانيها: المال الحرام بكل أصنافه. ثالثها: الزنى ومفدماته، وأخصها العري الفاحش، والنظر الحرام، ثم بذىء الكلام. رابعها: الخمر والمخدرات وسائر المسكرات.

وقد جعلنا الأمور الثلاثة الأخيرة (المال الحرام، والزنى، والخمر) ضمن آلهة العصر إلى جانب الشرقيات، رغم أن تلك من أمور العادات والمعاملات؛ وذلك لما نعلمه من تضخم الابتلاء بها في هذا الزمان، ومن صيرورة التعاطي لها بين كثير من الناس إلى معنى الوثنية الأهوائية، بما جعلها تنتصب في الوجدان الاجتماعي آلهة معنوية، تصد الناس عن عبادة الله، وعن إخلاص الدين له، وحده دون سواه! وذلك في حقيقة الأمر ليس بجديد، بل هو مما بثه النبي ﷺ في السنة النبوية الصحيحة؛ إذ التعاطي لشرب الخمر كان عند العرب قدجاً عملاً وثناً بما ذكرنا من معنى. قال عليه الصلاة والسلام: «شارب الخمر كغائب وثني وشارب الخمر كغائب اللاب والغزى»^(٤). وهو الداء الذي

(١) وقد جمعنا في ذلك رسالتين صغيرتين، انقلبتا أدعيتهما من القرآن الكريم والسنة النبوية الأولى: هي «ميثاق العهد»، وقد صدرت طبعها الأولى. والثانية: هي «كاشف الأحران»، ونحن نعدّها للطبع إن شاء الله.

(٢) أخرجه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، وابن حبان، والحاكم عن المعمر بن بشير مرفوعاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم: (٣٤٠٧).

(٣) ن. ورسالتنا: «كاشف الأحران».

(٤) أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً. وصححه الألباني، حديث رقم: (٣٧٠١) في صحيح الجامع.

صارت إليه الأحوال في انتشار الزنى والنفسخ الخلفي، ونفديس المال الحرام حتى صار لدى كثير من الناس من الإيمان على ذلك ما يصعب الانفكاك عنه؛ إذ عبدوا فيه من أهوائهم وشهواتهم أروانا من دون الله . وبيان ذلك كما يلي:

فأما الشُرَكَائَاتُ والخَوَافِيقَاتُ: فهي المعتقدات الباطلة، التي تخرم إخلاص الدين لله، وتعكر صفاء التوحيد، والتي ما تزال نعم بها البلوى بين كثير من الناس اليوم، خاصتهم وعامتهم، فتخرم إخلاصهم، وتشوّه فطرتهم، وتخرّب دينهم، عقيدة وعملاً.

والبراءة منها نكون بعدم اعتقاد تأثير أحد غير الله في الكون ومائر الخلق، نفعا أو ضرا، ثم عدم التوجه إلى أحد سواه بالاستغاثة والدعاء رغباً أو رهباً، وذلك هو الإخلاص الذي أمرنا الله ورسوله ﷺ باعتقاده، ومجاهدة النفس للنحيق بمقتضياته العملية والخلفية، وهو الحقيقة الإيمانية العظمى التي يجب أن تكون سارية في دين المسلم كله، عقيدةً وسريعةً، كسريان السم في اللين، ركائزها الروح في الجسد. وذلك هو أساس معنى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي عليها مدار دعوة الإسلام.

ويتحقق ذلك بإفراد الله ﷻ بما تقتضيه ربوبيته تعالى، وعدم الإسراك به في شيء من ذلك، خلُقاً وتقديراً ورعايةً وتديباً، فلا دخل لأحد من خلقه في شؤون ربوبيته تعالى، كما يتحقق ذلك بإفراده وحده سبحانه بالعبادة والاستعانة، والتوجه إليه وحده بالطلب والرغب، لا إلى أحد من خلقه، مهما علّت منزلته عند الله، سواء في ذلك الأنبياء والصدّيقون، والملائكة المقربون، والأولياء الصالحون، وكذلك الأموات والأحياء، والإنس والجن، فكلهم جميعاً عبيد لله، فقراء إليه تعالى، ولا أحد منهم يغني عن أحد من الله شيئاً. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ ذُبُرًا﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِي. فَلَا بَلَاغَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مُعْتَقِدًا﴾ ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ الْذِينَ يَدْعُونَ يَنْفَعُونَكَ إِنَّ رَبَّهُمُ الْوَسِيلَةُ أُولَئِكَ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥ - ٥٧].

كما يتحقق ذلك أيضاً بعدم تقديم شيء من التشبّه لأحد غير الله. ومعنى التشبّه:

هو الذبح المقصود به التبعيد والتفرب إلى المذبح له؛ فصد نبل رضاه على سبيل التبعيد، أو لفضاء الخواص ودفع المضار، وما شابه ذلك من معاني العبادة التي نكون بتفديم الغرائز من الأنعام بين يدي المعبود، مما يعتبر اللجوء فيه إلى غير الله ضرباً من ضروب الشرك المحبط للأعمال، والعباد بالله. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّيَ الْعَلِيِّ ۖ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]. ولا ينبغي أن نستهين بشيء من ذلك مهما صغر، أعني سواء كان القرآن المذبح طيراً أو نبشاً أو ثوراً، وسواء كان على أعنان جني أو إنسي، حي أو ميت، فكل ذلك شرك خطير، مؤرث لصاحبه مورد الهلاك، إلا أن يتوب نوبة نصوحاً.

ثم ينحرف ذلك أيضاً بعدم الانجاء إلى الدخالة، من السحرة والكهنة والعزافين والمشعوذين، ممن يدعي القدرة على كشف المغيبات، والاطلاع على المستقبلات، والأبراج الخرافات، وسائر ضروب «المشاهدات» الشيطانية، أو ممن يدعي القدرة على التأثير السحري في الأشخاص؛ باستجلاب الحجة القهريّة أو الكراهية التفسيرية، منهم أو إليهم، أو ممن يدعي القدرة على العلاج من الأمراض المزمنة والمستعصية بوسائل شيطانية، وكذا عدم الاغترار بالتوهمات التخيلية، التي تنافض فواطم الكتاب والسنة في الاعتقاد السليم، والتي قد تحصل لبعض المتصدين للمجال الديني والدعوي، أو ممن استنبروا بالتدين المزيف، من بعض جهلة العباد، الذين أوقعهم الشيطان في شركه من حيث لا يعلمون، فكل شيء مما يصدر عن هؤلاء وأولئك، يجب عرضه على ميزان العلم الشرعي، ورده إلى العلماء الراسخين، والحكماء الربانيين، المتحفظين بعلوم الشريعة ومقاصدها، أصولها وفروعها، وعدم المغامرة بالاستجابة في شيء من ذلك إلى نوافذ الشهوات والأهواء، وإما المؤمن العاقل، الكئيب الفطن، هو من لا يفامر بمصيره الأخرى في فضاي العفائد وأصول الإيمان والإخلاص.

فكل ذلك من الكيثر والموفيات المحيطة للأعمال والخبرة للدين. فلا يجوز الاستهانة بشيء منها أبداً؛ فإنما هي شبل الشيطان يُضِلُّ بها كثيراً من الخلق، وينحرف بهم عن الصراط المستقيم، ويستجلب لهم غضب الله والعباد بالله. فسلامة الإيمان وصحة الاعتقاد، هي أولى خطوات السير إلى الله، لا يسلم ما بعدها أبداً إذا كانت هي على غير الاتجاه الصحيح فأحرص أخي المؤمن على نصفية هذه

الفضية، بجعل الدين كله لله، ولله وحده دون سواه، قولاً وعملاً، ولا تغامر بالدخول في شيء من ذلك، ولا باللجوء إليه أو إلى أصحابه، ولو على سبيل النسبة أو التجريب، فالنصوص الشرعية شديدة في النهي عن كل ذلك جدّه وغزله، وإنما هي موبقات وظلمات، بعضها فوق بعض، ما تزال تستدرج صاحبها من الهزل إلى الجد، ومن القليل إلى الكثير، ومن التجريب إلى الإدمان، حتى تكبه على وجهه في النار، وإنما المحفوظ من حفظه الله.

وأما المال الحرام: فإنه بمحني البركة ويخرب عمران الروح، ويمنع استجابة الدعاء، وتُغلق دون صاحبه أبواب السماء، ذلك أن الانطلاق في مدارج السير إلى الله مشروط بتصفية الأرواف من شبهات الحرام، وبالتحرر في تناول الطيبات من الرزق؛ لأن الطيب وحده يغذي الروح بعزائم الإقبال على الله، والتجرد للعمل الصالح. وكل لفظة من رزق حرام لا تكون في جوف صاحبها إلا مجلبة للانتكاس والارنكاس! وعُتْمًا للشيطان في قلب صاحبها ونفوية لسلطانه على النفس فلا تكون مدافعة وسارسة ونزغاته بعدها إلا أشد على النفس وأنكى، والعمل الصالح تبات خبير، لكنه لا يثبت إلا بترية طيبة، وهو الرزق الطيب الحلال، فإن وُضِعَتْ بَذْرَتُهُ فِيهِ كَانَ ﴿كَتَبَ حَرَفَ طَيْبَةٍ أَضْلَمَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعَهَا فِي السَّكَاةِ ۖ تَوَفَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]. وإن وُضِعَتْ بِذْرَتُهُ فِي نَفْسٍ تَعَذَّتْ مِنْ مَالٍ خَبِيثٍ لَمْ يَنْجُ إِلَّا سُوكًا وَحَطْبًا.

تلك معالم تورانية من نوجبه النبي المصطفى ﷺ لهذه الأمة، فَعَزَّ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَيْتُ النَّاسَ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَهُ الْمُسْلِمُونَ»، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهِ الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥١] وَقَالَ ﴿يَتَأْتِيهَا الذُّبُرُ ۖ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطَبِّلُ السَّقَرَةَ أَسْفَلَ أَعْيُنَ، يَمْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ «يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَطَعْنَتْهُ خِرَامٌ، وَتَشْرِبُهُ خِرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ خِرَامٌ، وَغَدِي بِالْحِرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» (١).

• لا تأكل الربا، فإنه شؤ المآل الحرام.

المال الحرام: هو كل كسب حازه الإنسان على غير وجه مشروع، مما نتج عن الغصب، والرشوة، والغبن في البيع والغش فيه، والاستفادة المالية من المحرمات المظعومة والمشروبة، والتنجسات والمنجسات، إنتاجا وبيعا وخدمات، وكذلك أكل أموال الناس بالباطل، وبيع الأعراض، وحلوان الكاهن والساحر والعراف، وسائر أنواع السحت، وكل ما لا يصح غلكه، مما حرمه الله ورسوله ﷺ.

إلا أن شر ذلك جميعا هو الربا، فالربا إعلان للحرب على الله! ومن خازن الله خازنه الله ومن خازنه الله - يا وئله - أهلكه! وألحق به الخراب في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، والعباد بالله. وإن المرء ليقظن أنه بالربا قد جمع وعظم ونشئ؛ ذلك ما قد يبدو له في ظاهر الأمر، لكن الله تعالى له بالمرصاة؛ إذ بسلط عليه من المصائب والبلاء في نفسه وأسرته وحبائه، ما يجعل ماله عليه شقاء ما بعده من شقاء، وقد يخرج له من نفسه أو أبنائه من يخرّب عليه دنياه قبل آخرته، أو بسلط عليه من الأمراض الفتاك ما يجعله بذوي شبقا فشبعا، فلا ينفعه ماله ولا جباهه وسلطانه أو يجعل خاتمته إلى مهانة اجتماعية، ومذلة دنوية، نفوده إلى السجن، أو إلى أي هاوية يلقى فيها حتفه. إن من حارب الله خاسرًا لا محالة، وعجيب من لا يقدر الله حق قدره. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وما رأيت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ عقوبة ولا نذارة - بعد الشرك بالله - أشد من عقوبة الربا، أو لا يكفي فيها أن يبوء صاحبها بغضب الله ولعنه؟! فلا نستقيم له دنيا ولا يسعد بآخرة نبعه اللعنة أينما حل وارتحل، لا يفوم له شيء إلا انهيار، ولا يفلو له غمراؤ إلا ضربه إعصار الخراب، فماذا بعد ذلك من مصيبة وبلاء؟! وليس عينا أن يتلقى الرسول ﷺ وبهذا البيان الإنذاري الرهيب في حق المرابين، مبينا مهلكة الربا، كم هي أشد وأخطر من غيرها، وكم هي أفظع من كثير من الكبائر والموبقات! نال عليه الصلاة والسلام: «دُهِمَ رِبَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَغْلَمُ أَشَدَّ جُلْدِ اللَّهِ مِنْ سَبَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْبَةً» (١) كذا!!

(١) أخرجه أحمد والطبراني عن عبد الله بن حنظلة مرفوعا. وصححه الألباني. حديث رقم: (٣٣٧٥) في صحيح الجامع.

وإنما العجب كل العجب! ممن ينجرون على الترخص - بغير موجبات شرعية -
في أمر مداخلته مفتوحة مباشرة على أبواب جهنم. فافرا هذه الآيات وندير هل نجد
وعبدا أسد منها. قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَبْكُلُونَ اَزْيَانًا لَا يَتُومُونَ اِلَّا كَمَا يَفْعُلُ
الَّذِي يَتَعَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ ذَلِكِ يَأْتِيهِمْ قَالًا اِنَّمَا اَلْبَسُوا ثِيْلَ الْاِزْيَافِ وَاَحْلَ اَللهُ
اَلْبَسَ وَحَرَّمَ اِزْيَافًا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّخَذَ فَهْمًا مَسَلَفًا وَاَمْرًا اِلَى اَللهِ وَرَبِّ
عَادَ فَارْتَدَّتْ اَصْحَابُ الْاَثَرِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿يَسْعَى اَللهُ اِزْيَافًا وَيُرِي الصَّدَقَتِ
وَاللهُ لَا يَجِبُ كُلَّ كَثْرٍ اَتَمٍ ﴿اِنَّ اَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُوا اَلْعَلِيَّيْنَ وَءَامَنُوا اَلْصَّلَاةَ
وَمَاتُوا اَلزَّكَاةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿بَنَاتُهَا
اَلَّذِينَ ءَامَنُوا اَنفَعُوا اَللهُ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ اِلْيَافٍ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿اِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَاذْنُوا
يَحْزَنُ مِنْ اَللهِ وَرَسُولِهِ اِنْ تَبْنَعُوا فَلَكُمْ رُءُوسٌ اَمْلِكُكُمْ لَا تَقْلِبُوهُمْ وَلَا تَقْلِبُوهُمْ ﴿

بأصل الاحتياط في الدين، وبمقام الورع. وفي الحديث الصحيح: «خير دينكم بالوزع»^(١).

ومن الأمور الربوية التي عم جهلها في هذا العصر، حتى لا يسها بعض أهل الدين والصلاح - ما يعرف عند الفقهاء بـ «الربويات الستة»؛ وهي: (الذهب والفضة، والقمح، والشعير، والنمر، والملح). وما ينوب عنها من النفديات المالية، ومن المطاعم الافتياتة، مما هو داخل في معنى «المواد الضرورية للتغذية»، مما جرت به الأعراف والعادات في هذا الزمان، على حسب المناطق والشعوب، وهو ما ورد متواتر المعنى في عدة أحاديث نبوية صحيحة، منها هذا النص الجامع المانع، من قول رسول الله ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والنمر بالنمر، والملح بالملح، بثلاث عجل، يذا يذب، فف زاذ أو استزاذ ففد أزني، والأجد والمُعطي سواة»^(٢).

وعليه؛ فإنه لا سير إلى الله إلا بعد حسم هذا مع النفس، ولا انطلاق في مدارج البرية والتركية إلا بعد المفصلة الفاطعة لمداخل المال الحرام أنى كان، وليكن شعورك في

(١) أخرجه البزار، والطبراني في الأوسط، والحاكم عن حذيفة مرفوعاً، كما أخرجه الحاكم عن سعد مرفوعاً أيضاً، وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٢١٤) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه مسلم، ومعناه الإجمالي؛ أنه لا يجوز استبدال ذهب بذهب، ولا فضة بفضة، إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يكونا متساويين، والثاني: أن يتم التبادل بثأ يده أي بدون تأخير في القبض أو العطاء من أحد الطرفين، وكذلك الأمر في سائر المطاعم الأربعة، إذا كانت البضاعة من صنف واحد، أي نعمها بنم، أو شعيراً بشعير... إلخ. أما إذا اختلفت الأصناف بفضة، أو كتمح بشعير أو نمر، فيجوز التفاضل أي بزيادة في أحد الطرفين، ولكن لا تجوز التسوية، وهي تأخير أحدهما فضاء أو عطاء، بل لا بد من تمام التفاضل في المجلس.

وبقاس على الذهب والفضة النقود المعاصرة، فما يشترط في الصنف الواحد منهما يشترط في الصنف الواحد من العملات الآن، وكذلك إذا اختلفت الأصناف النقدية؛ كاستبدال عملة بأخرى غيرهما، جاز أخذ التفاضل وامتنع التأخير، كما يقاس المذخور من المواد الغذائية المختلطة اليوم على ما ذكر في الحديث؛ كالأرز مثلاً، بالنسبة للبلاد التي تفتت به، فيجري عليه نفس الحكم مع نفسه، وسع غيره من المواد الغذائية الضرورية لغوث الناس، على حسب العرف والمادة الجارية، فكل ذلك يجري على القاعدة المذكورة أعلاه. هذا معاه العاه على الإجمال دون تفصيل، وإنما الفصد فهنا الشيء، وفيه احتمالات مختلفة لتعديلاً وتنزيلاً، لدى القدماء والمحدثين، وله نوازل لا تنحصر، والواجب على المؤمن أن يرجع فيما يلزم به من ذلك إلى استفتاء نفات العلماء، فلا يُعَدِّم على غفلي حتى يعلم حكم الله فيه.

تخفيف هذا التحدي العظيم - نخلة ونخلة - قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ يُرِيقُ وَرَيْكَ حَبْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ وَآمُرُ أَهْلَكَ بِالسُّكُوفِ وَأَصْطَرِّ عَلَيْكَ لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْعَيْشَةُ لِتَقْوَىٰ﴾ (طه: ١٣١، ١٣٢).

وأما الزنى والنظر الحرام: فإنه يحرق الأسرار ويسلب الأنوار، وبطمس البصيرة، ويكون سبباً في خراب الدنيا والدين؛ ولذلك فإن الله ﷻ نهى المؤمنين عن الاقتراب من الزنى بله الوفور فيه، فالمؤمن الكيس الفطن يتجنب الزنى المعنوي قبل الزنى الحسي، وذلك بمدافعة كل الخواطر التي تزين للنفس الشهوات الحرام، ويستأذن الفاحشة أنى كان شكلها، استغذاوا بجعلها نسيب الغنيان في النفس، ونهيت بالناناء فلا نفع مظاهر الفسق من عري أو كلام بذي، أر أي من خوارم الحياء في قلب المؤمن إلا بغضمة مجوجاً وذلك كله مجموع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] وقد بين النبي ﷺ معنى قرب الزنى بحديثه الحكيم الذي يرويه أبو هريرة أنه ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَىٰ، أَذْرَكَ ذَلِكَ لَا مَخَالَءَ، قَرَبْنَا الْغَيْبَ الظُّنَّ، وَزَيْنَا اللِّسَانِ الْمُتَعَلِّقُ، وَالنَّفْسُ تَمْنَىٰ وَنَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُضْطَرُّ ذَلِكَ أَوْ يُكْذِبُهُ»^(١). وهو بيان عجب منه ﷺ لمسلك المجاهدة، والتركيب للنفس، فيما يتعلق بآيوات الشهوات الحرام، مما وجب على المؤمن أن ينتزه عنه وينتفع.

ولشدة ما يبعث الله الزنى وأهله فقد أعد لهم عذاباً في الجحيم، ليس كأي عذاب والعباد بالله، وقد عرض النبي ﷺ لفظة واحدة من مشهد تعذيب الزناة رجالاً ونساء تملأ القلب هولاً وفرعاً، وذلك في حديث سمرة بن جندب في الرؤيا، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «فَأُتِلَفْنَا إِلَىٰ ثَقْبٍ بِثَلِ الثُّنُورِ، أَعْلَاهُ ضَمِيٌّ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، نَزَفْنَا نَحْنُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَقَوْا، حَتَّىٰ كَاذَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَذَتْ وَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ غَرَاةٌ» ثم قال له الملكان الملكان بتطواقه: أمّا «الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزَّانَاةُ»^(٢).

● النظرة الحرام تفتق طريق الوصول:

ويعتبر النظر الحرام من أخطر مصائد الشيطان والعباد بالله، فهو زيادة على ما يمكن

أن يؤدي إليه من مهالك، يخرب الرصيد الإيماني للعيد فيما بينه من منازل عبر سلوكه إلى الله، وما يربغه من مقامات عبر عروجه نحو الوصول إلى مولاه.

ثم هو يبطئ المبدئ عن الانطلاق في شق طريق الصلاح، والسبر الجاد إلى الله، كلما أراد البدء وجد ثقلًا، وهو لا يدري ما يشغله عن المساجد والصلوات، والنخلص من وساوس الشيطان والشهوات، ولو جاهد نفسه على غض بصره عن محارم الله، لوجد خفة في روحه، وقوة في عزيمته، ولأنقض على حبال الشيطان التي نسده إلى التراب شدة. ● فالنظر الحرام يحرق حصائد الصلاح، ويمتنع تحليق الجناح، ثم يجعل عزيمة السير إلى الله - في رمشة عين - رماذا نذوره الرياح.

ومن هنا فليس عيبًا أن نجد التحذير منه صريحًا في القرآن الكريم وفي سنة النبي - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنْ أُنْذِرَ خَيْرٌ مِمَّا يَتَّبِعُونَ ﴾ [١] وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [٢]. وهذا أمر قد استهان به كثير من المسلمين، ولكن رسول الله ﷺ لم يستهن به قط. بل قال في وصية الحكيم لعل بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: « يا علي، لا تتبع النظرة، النظرة فإن لك الأولى، ولتست لك الآخرة » (١).

● النظرة الحرام تخربم الغالب سيره:

ومن أجمل ما نُقل عن يدبع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في هذا الأمر حكمة رفيعة، تُشد إلى مثلهما الرجال، وذلك أنه رحمه الله كان ضيفًا عند بعض الأعيان من محبي العلم والعلماء، لمدة طويلة تزيد على بضعة أشهر، وكان لذلك الرجل بنات، يدخلن ويخرجن، والنورسي آنذ في عز شبابه، فجاء عالم آخر فنزل ضيفًا ليومين أو ثلاث بنفس المكان، فجعل يحصي البنات ويميز الصغرى من الكبرى، فوجد يدبع الزمان جاهلاً بكل تلك التفاصيل والأوصاف، فسأله: لماذا لا تنظر إليهن؟ فأجابه النورسي بهذه احكمة البالغة: « النظرة الحرام تخربم الغالب سيره ».

● والسبب في ذلك أن النظر الحرام في مثل هذه الأحوال خيانة خيانة للعلم،

(١) أنحرحه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن بريدة مرفوعًا. وحسنه الألباني. حديث رقم: (٧٩٥٣) في صحيح الجامع.

وخيانة للدين، وخيانة للدعوة جميعاً، ثم هو خيانة لأهل البيت ولأعراضهم، وما كان للخائن أن تكون له من أسرار.

وبهذا فسر ابن عباس عليه قوله تعالى: ﴿بَعَلِّمُوا حَيَاتَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ^(١).

وفد ثبت - كما رأيت - بنصوص الكتاب والسنة، وكذلك بأقوال أهل العلم، وأصحاب الخبرة بمسالك التربية الإيمانية أن النظر الحرام من أخطر فُطُوحِ الطرف على السالكين إلى الرحمن، وإنما المعصوم من عصمه الله.

وأما اخمرو وما بلحق بها من مسكرات ومخدرات: فإنها نزع سير الروح أصلاً، وتحبسه ابتداءً؛ لأن صاحبها قد أسلم نفسه لوثنية هواه! وما كان لمن لم يتخلص هواه لله الواحد الفهار أن تفتح له الأبواب، فالمتلطخ بالرجس مرفوض في الملأ الأعلى. كذلك وصفها الله في محكم كتابه، ولا عبث في الدين بالتمني الكاذب على الله. قال جلّ علاه: ﴿يَأْتِيهَا الذَّبَنَ مَأْمُورًا إِنَّمَا الْحَقُّرُ وَالْمُتَبَرُّرُ الرَّافِقُ صَابٌ وَالْأَزَلُّمُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ السُّبْحَنِ فَاجْتَنِبُوا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. وإنه والله لا فلاح ولا نجاح للمسلم إلا بالاجتناب التام للخمر، والمقاطعة الشاملة لها، والمسالكها، ولخدماتها، ولكل ما ينج عنها، أو يسببها من أرباح وأموال، ومن غَوْلٍ على السير إلى الله والوصول إليه تعالى، وهو ما يزال متلبساً بنجاستها، فقد غره الشيطان وتمنى على الله الأماني.

وفد سبق حديثُ رسول الله عليه في حق شاربيها، بما وصفه من رهب الصفات فقال عليه: «شَارِبُ الْخَمْرِ كَغَائِبٍ وَثَنٍ وَشَارِبُ الْخَمْرِ كَغَائِبِ اللَّابِّ وَالْعَزَى» ^(٢) ومثله قوله عليه: «مُذْبَنُ الْخَمْرِ كَغَائِبٍ وَثَنٍ» ^(٣).

(١) قال ابن عباس: «في قوله تعالى: ﴿بَعَلِّمُوا حَيَاتَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]: هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم، وفيهم المرأة الحسنة (...). فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطوا غض بصره عنها فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطوا غض». تفسير ابن كثير: (٧٦/٤).

(٢) أخرجه الحارث عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وصححه الألباني، حديث رقم: (٣٧٠١) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه البخاري في تاريخه، والبيهقي، عن أبي هريرة مرفوعاً، وصححه الألباني، حديث رقم: (٥٨٦١) في صحيح الجامع.

وفد عرض - عليه الصلاة والسلام - قاعنا أيضًا لفظة من مشهد آخر، لما ل شارب الخمر، وما يخسر من رصيده العملي، فيما قد يكون له من حسنات سابقة أو مرافقة. فتن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «كُلْ مُخْمَرٍ خَمْرٍ وَكُلْ مُسْكِرٍ خَازِمٍ وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا بَخَسَتْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ غَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ خَفًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْفِيَهُ مِنْ طَبِئَةِ الْحَبَالِ أَوْ يَلْزِمَهُ وَطَبِئَةُ الْحَبَالِ. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ضَبِدْ أَهْلِي النَّارَ! وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ خَلَالَهُ مِنْ خِزَابِهِ، كَانَ خَفًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْفِيَهُ مِنْ طَبِئَةِ الْحَبَالِ» (١) وَرَوَى مِنْهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ غَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ غَادَ فَشَرِبَ فَسَكِرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ صَبَاخًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ غَادَ كَانَ خَفًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْفِيَهُ مِنْ وَدْعَةِ الْحَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا وَدْعَةُ الْحَبَالِ؟ قَالَ: «غَضَارَةُ أَهْلِ النَّارِ» (٢).

● لَا تَقُلْ غِنِ الْخَمْرُ حِضَارَ الشَّرِيفَةِ:

والمطلوب من المؤمن الصادق مفاطعة الخمر، شربًا، وإنتاجًا، وشجاعة، وزراعة، وخدمات، أي كانت هذه الخدمات، ولو أن يكون حارسًا، لبس لها فحسب، ولكن حتى لمزارعها المخصصة لها فصدًا، والنصوص في ذلك كثيرة جدًا، منها قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَغَاصِرَتَهَا، وَمُعْتَصِرَتَهَا، وَشَارِبَتَهَا، وَسَاقِيَتَهَا، وَخَامِلَتَهَا، وَالتَّحْمِلَةَ إِلَيْهَا، وَبَائِعَتَهَا، وَمُشْتَرِيَتَهَا، وَآكِلَ ثَمَرَتِهَا» (٣) فالقصود بهذا الحديث ضرب حصار اقتصادي واجتماعي على الخمر مطلقًا، فلا يجوز للمسلم قُلْ هذا الحصار بأي

(١) أخرجه أبو داود عن ابن عباس مرفوعًا، وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٥٤٨) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه ابن ماجه، وأحمد والدارمي عن عبد الله بن عمرو. وصححه الألباني، حديث رقم: (٦٣١٣) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أبو داود، والحاكم، والبيهقي، عن عبد الله بن عمر مرفوعًا، وصححه الألباني، حديث رقم: (١٨٠٢) في صحيح الجامع. كما أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، والصباه عن ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

خدمة من الخدمات بقدّمها لها، بذّةا يزرعتها وانتهاء بيعها، والترويج لها، أو إشهارها، أو شراء أي شيء من المباحات أصلاً ولكن لخدمتها، ولو كان ذلك مجرد فلم أو ورقة، لضبط حسابها، أو عجلة لإصلاح شاحننها، ونفس على هذا وذاك فبأساً صحبنا ملبخاً زانض، فلا شيء أشجذ في سبيل إنعاشها إلا وهو ملعون عند الله، على لسان رسول الله ﷺ.

وما كان لمن نزلت عليه اللعنة الإلهية أن ينطلق، ولا أن تفتح له أبواب السماء؛ إلا أن ينوب إلى الله نوبة نصوخا.

● لا تجلس على مائدة يذّار عليها خمره ولو لم تكن لها سارتابا:

والمؤمن الراغب فعلاً في السير إلى الله وجب أن يتحلى بحساسية عالية جداً ضد الخمر وأهلها، فلا يجالسهم ولو مجرد مجالسة وهم على مائدة الخمر، بل ما وُضِعَتْ أُمُّ الخبائث مكان إلا غادره المؤمن، إلا لضرورة مُقَدَّرَةٌ يذّبرها شرعاً، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: « نَهَى عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ » ^(١) وقد ربط رسول الله ﷺ ذلك بصفة الإيمان بالله واليوم الآخر على عادته - عليه الصلاة والسلام - في الأمور المهمة في الدين، وهو قوله الصريح المليح: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يذّارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ » ^(٢).

وبعد:

فهذه أربعة أنصاف: (الخرافات، والمال الحرام، والزنى، والخمر)، ننصب - في هذا العصر - أوثاناً في هوى الإنسان فتخسف بإيمانها؛ ويكون من الخاسرين والعباد بالله، إلا أن ينغمده الله برحمته، ومن هنا، فإنه لا أمل في اتطافه، ولا في استقامة سيره، وصلاح شأنه، إلا بمقاطعتها والتبرؤ منها جميعاً. وإنما الموفن من رفته الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الالتزام الرابع: إمساك اللسان عن فضول الكلام.

وهو ورد الصمت عما لا خير فيه من الكلام، وهو ملاك سائر الأعمال؛ إذ بغيره لا يبقى لصاحبه دين ولا خلق.

(١) أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر. وحسنه الألباني، حديث رقم: (٦٨٧٩) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذي، والحاكم عن جابر. وحسنه الألباني، حديث رقم: (٦٥٠٦) في صحيح الجامع.

ولقد نَصَّ القرآنُ على أن كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال، هي محصاة عليه إحصاءً دقيقاً، والله ﷻ يعلم الكلمة قبل أن يتلفظ به المرء، بل يعلمها سبحانه وهي ما ترال خطيرة في قلبه، أو مرسومة في نفسه، فإذا تلفظ بها تلفظها الملكان فكيفت له أو عليه، وذلك هو صريح قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [إِنْ يَتْلَى السُّورَاتِ الْاَلْفَيَانِ مِنْ أَلَيْبَيْنِ رَغْنِ الْيَتَالِ فَيُتَدِّ] مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدٌ ﴿ [ف: ١٦ - ١٨]

ونواترت السفة بالتحذير من خطورة آفة اللسان، وما تجره على المؤمن من خراب الأعمال، والارنكاس الرهيب في غيابات الجحيم، فعن بلال بن الحارث ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرُّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ نَعَالِي مَا يَنْظُرُ أَنْ يَتَلَعَّ مَا يَلْفُظُ؛ فَيَكْتُوبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرُّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ نَعَالِي، مَا يَنْظُرُ أَنْ يَتَلَعَّ مَا يَلْفُظُ؛ فَيَكْتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١). ومثله قوله - عليه الصلاة والسلام - في هذا التحذير الرهيب: «إِنَّ الرُّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَزِي بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ» (٢).

ولا أجدُ أشدَّ نديراً ولا أَرْقَبَ تحذيراً، مما ورد في حديث معاذ بن جبل ؓ في آفة اللسان، وقد أخبره النبي ﷺ بما يُدْعَلُهُ الْجَنَّةُ مِنَ الْأَعْمَالِ وما يَنْجِيهِ مِنَ النَّارِ، ثم قال عليه الصلاة والسلام في خاتمة: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَائِكَةٍ ذُكِّلَ كُلُّهَا؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِي قَالَ: كُفَّ عَنْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: فَبِكَلَمِكَ أَمُتُكَ يَا مُعَاذُ؟ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ - إِلَّا عَصَابُ الدَّسْتِمِ» (٣).

ولذلك فقد أهدى - عليه الصلاة والسلام - للأمة هذه القاعدة اللسانية الاحتياطية

(١) أخرجه مالك، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وابن حبان، والحاكم عن ملال بن الحارث. وصححه الألباني حديث رقم: (١٦١٩) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه الترمذي، وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة. وصححه الألباني حديث رقم: (١٦١٨) في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد، والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». كما صححه الألباني في صحيح الجامع.

العالية، فقال: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْفِرْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » (١).

وهذا جامع لكل معاني التسمية، والغيبة، ونحو هذا وذلك من محرمات الأقوال، وسائر اللغويات الباطلة، بلغة التلغظ بالشركيات، سواء كان ذلك جدًّا أو هزلًا. ألا غَضَمَ اللَّهُ أَلْسِنَتَنَا جميعًا من كل سوء.

● إَحْذَرِ الْكُذْبَ فَإِنَّهُ مُرَضٌّ خَطِيرٌ:

والكذب - أعادنا الله وإياكم منه - من أسوأ آفات اللسان، والمؤمن لا يكذب، أما الداعية أو الحامل لمشروع التجديد الديني فإنه إن كذب فقد خان رسالته، وفضية الصدق والكذب هي فضية « ولاءٍ وبراءٍ » في المجال الدعوي، لا تغفل المساومة (٢) ويكفينا في ذلك نذارة رسول الله ﷺ الفاصلة الحاسمة، حيث إنه نوه عن الكاذب بالويل المؤكد، ولو كان كذبه من باب إضحاك الناس والرفقه عنهم، قال عليه الصلاة والسلام: « زُيْلٌ لِلَّذِي يُخَذِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْفُؤَادُ زَيْلٌ لَهُ زَيْلٌ لَهُ » (٣). وقد نقلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقفه الشديد من الكذب، فقالت: « كَانَ أَهْضَ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْكُذْبُ » (٤).

ولا وصول إلى الله ﷻ ولا طريق إلى نيل رضاه إلا بالصدق؛ الصدق على كل حال، والصدق في كل شيء، بحيث لا يصدُرُ المؤمن في كل شأنه، كبيره وصغيره، إلا عن الصدق، فوَلًا وفِعْلًا، عسى أن يكون في نهاية المطاف من الصَّدِّيقِينَ؛ فَالصَّدِّيقُ لَا تُنَالُ بِكَمَرَةِ الْأَعْمَالِ عُدْدًا، وَإِنَّمَا تُنَالُ بِعَمَلِهَا صِدْقًا، وَبَصَفَاتِهَا وَرَدًّا، وَإِخْلَاصِهَا فَصَدًّا، وذلك هو الصدق مع الله جل ثناؤه، ومن لم يصدق مع الناس لم يصدق مع الله، والعكس صحيح، فالصدقُ عُمَلَةٌ وَاحِدَةٌ، مَنْ غَشَّهَا أَوْ ذَلَّسَهَا غَشٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَذَلَّسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا مَسْلَكَ إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ هَذَا، فَمَنْ غَشَّ اللَّهَ

(١) متفق عليه.

(٢) لا نقصد بذلك « الولاء والبراء » بالمعنى العقدي العرف، ولكننا نقصد ولاء الثقة والتواصل أو عدمهما في مجال العمل الإسلامي.

(٣) أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وإسحاق، عن معاوية بن حيدة مرفوعًا، وحسنه الألباني، حديث رقم: (٧١٣٦) في صحيح الجامع.

(٤) أخرجه البيهقي عن عائشة. وصححه الألباني، حديث رقم: (٤٦١٨) في صحيح الجامع.

ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « غَلَبَكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكُتَبَ عِنْدَ اللَّهِ جَدِيًّا. وَإِنَّا كُنَّا وَالْكَذِبِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكُتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا » (١).

ولما أن نختم هذه الالتزامات بحدث نبوي عجيب، هو عبارة عن رحلة روحية - مأدونة من لدن الرحمن - في ملكوت الغيب، صُحْبَةُ الْمَلَكُوتِ: جبريل وميكائيل - عليهما الصلاة والسلام - وذلك خلال رؤيا نبوية، ولا تكون رؤيا النبي ﷺ إلا حَقًّا، بل لا تكون إلا رحبًا من الله ﷻ، وحقيقة نبوية قطعية، رؤيا كانت عبارة عن مشاهدات ذات جلال وجمال، وسياحة في ملكوت أعزوي عجيب، من مشاهد العذاب ومنازل النعيم، كلها غير رجكم، ترجع على ما ذكرنا من التزامات بالفرعيب والتهريب ذُكِرَ ﴿لَنْ يَكُنَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعُ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ن: ٣٧].

فَعِنَ سَمْرَةَ بِنَ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « زَأَيْتُ اللَّيْلَةَ وَرَجُلِي أَتَانِي فَأَخَذَا يَدَيَّ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدُوسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: إِنَّهُ يُدْجِلُ ذَلِكَ الْكَلُوبُ فِي بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخِرَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْبَسُهُ بِشِدْقَهُ هَذَا، فَيَمُودُ فَيَبْضَعُ بِمِثْلِهِ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُصْطَبِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفَيْهٍ أَوْ صُخْرَةٍ، فَيُشْدَحُ بِهِ رَأْسَهُ! فَإِذَا ضَرَبَتْهُ تَهْذَةُ الْحَجَرِ، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعْ إِلَى هَذَا حَتَّى تَلْبَسَهُ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسَهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فُضِرَتُهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقِيبٍ بِقَلِي الشَّوْرِ، أَعْلَاهُ ضَبُّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَنْزُقُهُ نَحْنُهُ نَارًا! فَإِذَا اقْتَرَبْنَا ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا عَمِدَتْ وَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَبَسَاءٌ غَرَاءُ! قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسْطِ النَّهْرِ، وَعَلَى سَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَتْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِخَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَتَّى كَانَ، فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِخَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اسْتَقْبَتَا إِلَى رَوْصَةِ خَصْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصَيْبَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ يَبْزِي بِيَدَيْهِ نَارَ يُوْفِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرُ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا! فِيهَا رِجَالٌ شُبُوحٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصَيْبَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَنْضَلُ، فِيهَا شُبُوحٌ وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُمَا؟ قَالَا: نَعَمْ.

أَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، بُخِذْتُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحَمَّلَ غَنَّهُ حَتَّى تَبْلُعَ الْآثَامَ، فَصَنَعَ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ! وَالَّذِي رَأَيْتُهُ يُشَدِّحُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَتَامَ غَنَّهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَمَلَّ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّصَبِ فَهُمْ الرُّنَاءُ، وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي النَّهْرِ آكِلُوا الرُّيَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَالصَّيْبَانُ حَوْلُهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوْفِدُ النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَالِدَارُ الْأُولَى الْبَيْتُ دَخَلْتُ دَارَ عَائِمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَأَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا قَوْفِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَلِكَ مَنَزِلُكَ. قُلْتُ: ذُعَانِي أَدْخُلُ مَنَزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنَزِلَكَ ^(١).

بصيرة في شرح الوصول:

وعليه؛ فإنه لا وصول ولا قبول في كل ذلك جميعاً إلا بشرط أساس، ألا وهو: معاهدة النفس؛ للتحقق في كُلِّ مَسْأَلَةٍ من إخلاص القلب، وللتحقق في كل كلمة من صدق اللسان،

ذلك، وإنما الموفق من رَفَعَهُ اللَّهُ، هو وحده تعالى المستعان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

...

الفطرية

بعث التجديد المقبل

من البعث إلى الإنعاش إلى نهضة الأوطان

الفصل الثالث

التجديد الفطري

(معالمه المنهجية وقضاياها العمرانية)

• وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول : في المعالم المنهجية للتجديد الفطري.

المبحث الثاني : التجديد الفطري وفضاء العمران البشري.

لكل بعثة حقيقية، بوجودهم وبانتصابهم ينتصب الدين ويقوم، ويغايهم تنتصب الحن والفن، وتدير قول رسول الله ﷺ: « إن الله لا يفيض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد، ولكن يفيض العلم بفيض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »^(١). وترجم الإمام البخاري في كتاب العلم من صحيحه: (باب: كيف يفيض العلم؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فأكثبه، فإني حثت دروس العلم^(٢)) وذهاب العلماء، ولا نفيل إلا حديث النبي ﷺ ولتفسوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً).

وإن من أخطر ما تواجهه الأمة اليوم فعلاً من المضاعفات، في هذه المرحلة الحرجة من الاكتساح العولمي الصهيوني؛ هو هذا الموت المتواتر، والمستنصر بالعلماء، مع ضعف نتاج الخلف، فهذا مما يجب الانتباه إلى خطورته الشديدة، وإلى الضرورة الاستعجالية التي تفضي بتفرض شباب الصحوة الإسلامية لطلب العلم الشرعي، بشروطه المذكورة قبل؛ فصد إنتاج علماء البعثة المنتصبين لها.

الركن الثاني:

دوائر « مجالس القرآن » لتلقي رسالات القرآن وتلقينها، تلاوة وتزكية وتعلماً وتعلماً؛ فصد إحداث ندلول اجتماعي عام لمفاهيمها؛ بناء على هندسة القرآن الدعوية، كما سبق بيانه في المجلد الأول من معالم البعثة؛ وذلك لتجديد بنية الدين في المجتمع^(٣).

فمجالس القرآن جُلِّيَّ تعبدية متسلسلة، ومدارس إيمانية متسلسلة، هي الشكل وهي المضمون، كما أنها هي الوسيلة وهي الغاية، وهي مناط رسالات القرآن تلقياً وأداءً. فهما إذن عنصران أو ركنان كما ذكرنا: الأئمة العلماء بشروط البعثة ومعلمها، ثم المجالس القرآنية، المنضبطة إلى هندسة القرآن، وذلك بغني عن كثير من المحركات الإدارية، التي لا تفيد إلا في إنغال حركة الإنتاج الدعوي، وتقييد المبادرات، كما هو

(١) منفى عليه.

(٢) دروس العلم: يعني افتراضه، ذم الشيء يثؤش: انقضى.

(٣) يشاء بعض الضابط التنظيمية القطرية مكتبنا « مجالس القرآن » لمن شاء الاستزادة.



هدف المعركة الجديدة إذن؛ هو الوجود الدنيوي للمجتمع الإسلامي ذاته، وساحتها هي الإنسان المسلم نفسه، ليس بما كان مفصوداً في الاستعمار القديم، ولا بما كان مفصوداً بالظلم السياسي الحديث، ولكن المسلم مفصود اليوم بالتدمير؛ بما هو حائل طبيعي متين دون الطغيان الصهيوني، وحلم (إسرائيل الكبرى)، ودون التمكن الأمريكي من النفط العربي، ثم دون ثقافة الاستهلاك العولمي، والاستعباد الشهواني؛ ولذلك فهو مستهدف في عقيدته، ونظام تربيه وتعليمه، ونمط حياته، مستهدف ببرامج تعليمية وإعلامية أخرى، وينظم اجتماعية جديدة، وبندмир كلي لمفهوم الأسرة، وبناء تركيبة اجتماعية أخرى، لا يفي من إسلامها إلا أَسْمَاؤها تماماً على نحو ما يصنعون لما يسمى بـ (الجيل الثالث) من أبناء المهاجرين في الغرب؛ حيث ذوبت النظم الغربية شخصيتهم الإسلامية، فضاع أغلبهم كما ضاعت بقايا (الموريسكيين) من أهل الأندلس، في المجتمع الإسباني النصراني.

لقد جبهت أمريكا لذلك جيوش عولمتها، المحمية لبس بأسلحة التدمير الشامل فقط؛ ولكن أيضاً بأسلحة أخرى أخطر؛ إنها: زرسانة الإعلام والانفصام والثقافة والتعليم والنفتين الاجتماعيين... إلى آخر ما يمثل آله «الديمقراطية الليبرالية» في مفهومها الغربي.

نلك هي طبيعة المعركة الجديدة؛ فإما بعثة تجديدية جديدة، وإما فزرن أخرى في ظلمات النبوة، لا قدر الله! ولكن بأبي الله ﷺ إلا أن يحفظ كتابه إلى يوم القيامة، نلك عقيدتنا، وقد نوانر ذلك من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٢٣). وقال ﷺ: «ولا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» (١) وقال أيضاً: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من

(١) رواه أحمد وأحمد والترمذي وابن حبان. وصححه الألباني. حديث رقم: (٧٠٢) في صحيح الجامع.

تخذلهم، ولا من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» (١).

لكن القضية هي مسؤولية الإنسان المسلم، الذي نعلق هذا الدين ريفته، عقيده وشريعة ومصبره، في الدنيا وفي الآخرة. إنها مسؤولية الفرد، ومسؤولية الجيل. إنها مسؤولية (حفظ الدين)، التي أناطها الله جل وعلا بالتكليف النبوي الإنساني، وما حفظه - كما نبين من قبل - إلا (بعثة للتجديد)، ننطلق كلما أحذف الخطر بيبضة الإسلام.

وإن عظم الخطر اليوم، وشموليته، وعمقه، بما لم يسبق له مثيل في منهجية التدمير الوجوداني؛ لجدير بأن يكون وحده مؤشواً قوياً على أن الزمان زمان بعثة جديدة، ولأن كان يصير فذلك بشايرها تلوح أنواراً في الأفق، وما جاء الفرج فط إلا بعد (حتى) الدالة على أقصى غايات الضيق والخرج، والنهاية في مراحل البأساء والضراء. قال ﷺ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّهُمُ الْبَاسُ وَالضَّرَاءُ وَذُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١١]. وقال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا فَتَاجَىٰ مِنْ شَأْنِهِ وَلَا يَرْدُّ بَاسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وإذا كان لنا من كلام عن (بعثة التجديد القطري) فهو عن معالمها المنهجية الكبرى، وهو كلام مبني بالدرجة الأولى على استقراء النصوص القرآنية والحديثية، ثم بدرجة ثانية على فراءة ضرورات المعركة الجديدة وطبيعتها، بما أشرنا إليه قبل.

الْبَحْثُ الْأَوَّلُ

في المعالم المنهجية للتجديد الفطري

أول ما ابتدئت به بعثة النبي ﷺ هو نزول آيات من القرآن، وكان ذلك حدثاً عظيماً، لم يحصل بعده في سيرته ﷺ ما هو أعظم منه وأعجب، وقد بقي القرآن أداته ﷺ الأساس للدعوة إلى الله ونوحه نعالى، مع ما ألهمه نعالى وأوحى إليه من الحكمة، مما نطق به في حديثه ﷺ، وسار به في سيرته، إلا أن القرآن كان منبع الأنوار كلها.

وتدفن الإسلام على الناس وفشا بينهم، بتدفق آي القرآن وسوره عليه ﷺ فكان المادة الأساس في تربية الجيل، انطلاقاً من دار الأرقم، وشعاب مكة، إلى الهجرة نحو المدينة، إلى فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، في ظرف زمني لا يتعدى بضعا وعشرين سنة، ومن هنالك انطلق إلى العالم في ظرف يقارب الأول، مع الخلفاء الراشدين وآخرين من بعدهم، إن هذه ملحوظة أساسية، أعني: التدفق الدعوي في ظرف زمني قصير، بل فباصي بالنسبة لفانون الاجتماع البشري، في انتشار الأفكار والعقائد والمذاهبات، ففي نحو بضع وعشرين سنة من التدلول الاجتماعي للقرآن تربية وجهاداً، يكون الإسلام دين الله المبكين في الأرض، ثم الدين الظاهر على كل الأديان والملل والشعَل، إنها بعثة إذن.

وبأمل السيرة النبوية واستفراء مراسلها ونصوص الكتاب والسنة المأثمة بها، وبمفهوم البعثة التجديدية، وبالتنظر إلى حجم الفساد والانحراف الذي ضرب العالم اليوم؛ يمكن استخلاص المعالم الرئيسة لبعثة التجديد فيما يلي:

الصلوة الأولى: التداول القرآني:

إن أهمّ فغلم، وأوضح خاصية، يمكن ملاحظتها في البعثة النبوية ابتداءً؛ هي ظاهرة التداول القرآني، ومعنى ذلك أن الاشتغال النبوي إنما كان بالقرآن أساساً؛ بما حفن ما يمكن نسبيته: (تداولية قرآنية) كبرى في المجتمع الإسلامي الأول، فقد منع رسول الله ﷺ الناس في بداية الأمر من كتابة شيء غير القرآن، وذلك كما في حديثه المشهور؛ إذ قال ﷺ: « لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحذوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فلينبأ مشعده من النار » (١). وقد نوانرت أخبار الحركة القرآنية، التي طبعت جبل الصحابة؛ اهتماماً، وفراة، ومدارسة، وإنما كان النبي ﷺ يستغل به داعياً إلى الله، ومريئاً، وإنما أسلم معظم من أسلم من الصحابة؛ نائراً بسماع شيء من القرآن، لغد كان للقرآن في جيلهم خير منهي، ونياً عظيم، يلفونه ويشونه؛ حتى صار القرآن هو الحديث الأبرر في تلك المرحلة، تَزَلًا وتداولاً.

إن المسلمين اليوم، يفرّون القرآن، نعم؛ ولكنهم لا يتداولونه، إنما نفصد بـ (التداولية) : الاشتغال الشامل بالقرآن الكريم، الاشتغال الذي بعمر الحياة؛ حتى يطغى على كل شيء سواه؛ تلاوة، وتعلماً، وتدارساً، وتديراً، وتزكية، إلى أن تُشَوَّر ذلك فُشُوراً بين سائر فئات المجتمع وطبقاته؛ بما تُؤسِّس نربة قرآنية تعبدية واجتماعية، تقوم بين الناس بصورة تلقائية؛ مادةً ومنهجاً، تُثِّق فيهم القرآن وأخلاقه بينهم ثباتاً يتغلغل في الأنفس، وينسرب إلى أنسجة المجتمع الداخلية، وخلاياه الشعورية واللاشعورية؛ بما يجعل مفاهيم القرآن منحصمة في صبرورته، وفي حركته التاريخية. فيصبح القرآن بذلك هو (محرك الإصلاح) و (دينامو) العمل الدعوي، القائم على المنهاج النبوي الحن.

هذا شيء - مع الأسف - شبه مفقود اليوم، ولا يكون إلا (بيعنة حديدية)، نجدد اشتغال الأمة بالقرآن.

وكان لجبل الصحابة في عهد النبوة وبعده؛ مجالس قرآنية، لبست كأغلب

مجالس السهرات القرآنية، التي نعتد اليوم للسماع والتغني، كلا، ولكنها كانت مجالس قرآنية متكاملة، تنضافر فيها التلاوة، والتعلم، والتركية، على كمال ما نكون التربية النبوية، لخير الأجيال^(١)، ذلك بشهادة القرآن العظيم في مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأُتِيَهُمْ وَرُوحُكُمْ وَسُورَةُ أَلْكِتَابٍ وَأَلْحِكُمُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيَ سَافِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. وقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُوحُكُمْ وَيُخَلِّسُهُمْ الْكِتَابَ وَأَلْحِكُمُهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيَ سَافِلِينَ﴾ [الجمعة: ٢].

وانطلقت تلك التربية في أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا أهل قرآن، وصاروا مختصين به؛ ولذلك سمي فريق منهم بـ (الفراء)؛ لفرغهم لهذا الشأن خاصة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا أبا إنيث مغنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة. فبغت إليهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم الفراء، فيهم خالي خرازم، يقرؤون القرآن، ويتذاكرونه بالليل، يتعلمون»^(٢).

وكانت للقرآن أخبار يحرص المؤمنون على تتبعها ونافلتها؛ لأن القرآن أخلاق، ومنهج حياة، فكان حرصهم عليه حرصاً على بناء حياتهم. فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث طويل، أنهم كانوا يتحدثون أن غساناً ثقل الحبل لغزو المدينة، فجعل النبي ﷺ حراشاً بموالي المدينة؛ لمراقبة ذلك عن بعد، قال عمر رضي الله عنه: «وكان لي جار من الأنصار، فكانا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فنزل يوماً، وأنزل يوماً، فبأنبني بخبر الوحي وغيره، وأنه بمثل ذلك»^(٣).

وبعد وفاة الرسول ﷺ امتدت تلك المجالس مع الفروع إلى سائر الأمصار، بصف لنا الشامي الجليل أبو رجاء العطاردي طريقة ذلك، وكيفية تنظيم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للمجالس القرآنية بالعراق، قال: «كان أبو موسى الأشعري بطوف علينا، في هذا المسجد، مسجد البصرة، يعقد جلوساً، فكانني أنظر إليه بين بردين أبيضين، بفرني القرآن»^(٤). وقد نخرج من هذه الجلسات الدراسية خلق كثير من التابعين. فعن أبي كنانة أن أبا موسى الأشعري جمع الذين فرووا القرآن، فإذا هم

(١) ن. بلاغ الرسالة القرآنية: (١٠٩-١٠٥)، وكذا مجالس القرآن: (٢٩).

(٢) الحلية لأمر: تعيم: (١٦/٢٥٦).

(٣) ٢٦، ٣، منفذ: عليه.

فريب من ثلاثمائة ففُظِمَ القرآن، وقال: « إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فانبعوا القرآن، ولا ينعنكم القرآن، فإنه من انبع القرآن هبط به على رباح الجنة! ومن نبعه القرآن رُخَّ في فناه، ففدقه في النار »^(١). فكان القرآن لهم ثقافتاً، وتربيةً، وتخلُّفاً، ومنهج حياة.

ودأب الصحابة رضوان الله عليهم على هذا المنهج؛ حتى لكأن الأمة إنما قامت - حينما قامت - بالقرآن، وكذلك كان.

نفخلص إذن إلى أن التداول القرآني كان له في البعثة الأولى وجهان:

الأول: تداول اجتماعي؛ وتم بمقتضاء بث الاشتغال بالقرآن في كل مرافق الحياة الاجتماعية، بُثِّلَ في خبزه، ونضبط عبارته، وتُحفظ نذكره، ثم يُبثُّ ذلك كله، ويداع في الناس، لتفسير الآيات في الآفاق، فبعم القرآن الحياة الاجتماعية؛ ذكراً ومذاكراً. ولو تُلخِظ ذلك في العمل الدعوي التجديدي اليوم؛ إذن ينعول القرآن إلى تحلُّن اجتماعي عام، وتنعول فضاهاء، وفصصه، وعبيزه، وجكَّته، وأمثاله؛ إلى (ثقافة شبيهة) سارية، وذلك من شأنه أن يصنع نسبجاً اجتماعياً مسلماً، عميقاً ومنيناً، لا نتخرقه عوادبي العولمة الثقافية والإعلامية، مهما استندت ربحها.

والثاني: تداول نرويي؛ وهو الذي اختصت به (مجالس القرآن)، التي كانت نعمر المساجد، والبيوت، والبساتين، والشعاب، والبطاح - بهراً في مراحل، وعلنا في مراحل أخرى - مما كان قبل الهجرة ومما كان بعدها؛ نعلشاً، وتركبةً، ومدايرةً، وتديراً، وتبصراً؛ لتخرج أهل القرآن الحكماء الربانيين، الذين يريون الناس، والذين هم مادة الاستمرار الحضاري للأمة وعمودها الفقري، والذين ذكرهم الله جل وعلا في قوله: ﴿ وَلَئِنْ كُنْتُمْ كَوَفًا ذَكَّيْنَكُمْ يَسَاءَ كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ أَلَيْسَ لَكُمْ كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(٢) رآل عمران: ٧٩.

العلم الثاني: الإمامة العلمية:

إن حديث النبي ﷺ يحدد (إمامة) بعثة التجديد، ونص على بصورة واضحة، لا غش فيها ولا إبهام، وذلك قوله ﷺ: « إِنْ الْعُلَمَاءُ وَزَنُوا الْأَنْبِيَاءَ. وَإِنْ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَزُّوا

دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا زَوَّجُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِخَطِّ زَافِرٍ» ^(١). بيد أن (الورثة) هاهنا نفتضي إرث العلم بكل وظائفه الدعوية والتربوية، لا مجرد العلم الخالي من كل عمل، ومن أي رسالة، فذلك علم مُدْعَى غير موروث، فالعلماء الورثة: هم أهل الرسالة، وحَمَالُ البلاغ القرآني، ولقد أصل أبو إسحاق الشافعي رحمته (ت: ٢٠٠هـ) ذلك، وهو رحمته أحد أئمة التجديد في الأندلس، فوصف العالم المنتصـر للتربية والتجديد؛ بـ (الوارث)، و(المنتصب)، كما وصفه بالرباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم، والفقيه، والعامل في نصوص جديدة بأن نشد إليها الرحال، وهي اصطلاحات كلها دالة عنده على (إرث) النبوة في منهج التربية والتعليم والتركية للأئمة، (فالانتصاب) إنما هو مجرد لمهمة البلاغ، فإما كما ننصب الجبال بين الصحاري والبطاح؛ أعلامًا للضالين عن الطريق، فبها كل العابرين، ونكون بذلك ماثرات اتباع وافداء. قال رحمته: «إن المنتصب للناس، في بيان الدين مُنْتَصِبٌ لهم بقوله، وفعله، فإنه وارث النبي، والنبي كان مبيّنًا بقوله، وفعله، فكذلك الوارث لا بد أن يفهم مقام الموروث، وإلا لم يكن وارثًا على الخفية، ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلفون الأحكام من أقواله، وأفعاله، وإفرازاته، وسكوته، وجميع أحواله، فكذلك الوارث، فإن كان في التحفظ في الفعل؛ كما في التحفظ في القول؛ فهو ذلك، وصار من أتبعه على هدى، وإن كان على خلاف ذلك صار من أتبعه على خلاف الهدى، لكن بسببه» ^(٢). وقال في منهج افداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكانوا يبحثون عن أفعاله، كما يبحثون عن أقواله، وهذا من أسدّ المواضع على العالم المنتصب» ^(٣).

وقال رحمته في تفصيل الخصائص المعرفة للعالم الرباني المنتصب، واصفًا إياه بأنه: «ينحفض بالمعاني الشرعية منزلة على الخصوصيات الفرعية، بحيث لا يصده النهر في الاستنباط بطرف؛ عن النهر في الاستنباط بالطرف الآخر، فلا هو يجري على عموم واحد منهما؛ دون أن يعرضه على الآخر، ثم يلتفت مع ذلك إلى نزل ما تلخص له على ما يلين في أفعال المكلفين (...) فهو صاحب التمكين والرسوخ، فهو

(١) جزء حديث رواه أحمد، والأربعة، وابن حبان. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم:

(٦٢٩٧).

(٢) الموافقات: (٤/٢٥٠).

(٣) الموافقات: (٣/٣١٧).

الذي يستحق الانصباب للاجتهاد، والنعرض للاستنباط (...). ويسمى صاحب هذه المرتبة: الرباني، والحكيم، والراسخ في العلم، والعالم، والفقيه، والعافل؛ لأنه يربي بصغار العلم قبل كباره، ويوفي كل أحد حقه، حسبما يلين به، وقد تحقق بالعلم وصار له كالوصف المحبول عليه، وفهم عن الله مراده، ومن خاصته أمران: أحدهما أنه يجيب السائل على ما يلين به في حالته على الخصوص، إن كان له في المسألة حكم خاص (...). والثاني: أنه ناظر في المآلات قبل الجواب عن السؤالات» (١).

ذلك هو عالم البيعة إذن؛ داعية رباني حكيم، مجتهد ومجتهد، منتصب للناس بعلمه وورعه؛ مُعلِّمًا، وداعيًا، وهاديًا، ومرثيًا.

وملاحظة السيرة النبوية تقضي إلى أن النبي ﷺ قد كَوَّن عددًا كبيرًا من علماء الصحابة؛ كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وغيرهم كثير، خيل من العلماء الأئمة، كانوا فقهاء وحكماء ربانيين، ولم يكونوا مجرد نفلة، بل أسهموا في بناء حضارة الأمة، ونهضتها الأولى.

وبعثة التجديد لن تكون إلا بمثلهم، منهجيًا؛ أي بعبادة علمية متميزة كثًا وكيفية. فلا بد من عدد وفير من أهل العلم، من الذين يحملون الرسالة، ويشتغلون بالقرآن؛ نعلبًا، ونزكيةً، ونفعيةً في الدين، وإنما أولئك هم العلماء الربانيون؟ كما سبق قول أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله: «الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره»، كما جاء في بعض تراجم الإمام البخاري رحمه الله (٢). والذين لا نفتتهم أحاد الجزقات عن ملاحظة الكليات، ويراعون المآلات قبل الجواب عن السؤالات، إنهم قوم يحملون أتعلاق النبوة علما وجلسا، ولقد ظن بعض أهل الخبر من المشتغلين بالدعوة اليوم، أن الناس قد انصرفوا إلى طلب العلم الشرعي بوفرة زائدة عن الحاجة، ولا يزالون ينصحون الشباب بالعدول عن ذلك؛ بدعوى أننا في حاجة إلى الطبيب المسلم، والمهندس المسلم، والفيزيائي المسلم. وأقول: نعم، نحن في حاجة إلى كل أولئك وأضرابهم، لكن حاجتنا إلى (علماء البيعة) أكد وأشد، ودعوى حصول الكفاية من

(١) الموافقات: (٢٣٢/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، (باب العلم قبل القول والعمل).

العلماء باطله، فأولاً ليس كل من انتسب إلى العلوم الشرعية هو من علماء بعثة التجديد، بما ذكرنا وما وصفنا من مفهوم (العالمية)^(١) . فإنما العلماء الفقهاء الربانيون الوُرات، كما سبق تفصيله، وليس العالم المنتصب أو الوارث هو من جمع في ذهنه عدداً كبيراً من المحفوظات والمكتبات، ولكنه من أوتي حكمة التصرف في المعلومات، بما يناسب الزمان والإنسان، ولشيخ المقاصد أبي إسحاق الشاطبي كلمة ذهبية في هذا. قال رحمه الله: « إن على العالم الرباني أن لا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربي بصغار العلم قبل كباره، وقد فرض العلماء مسائل، مما لا يجوز الفنيا بها، وإن كانت صحيحة في نظر الفقه (...)، وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها؛ فانظر في مالها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة؛ فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم فيها، إما على العموم إن كانت مما قبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ؛ فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية »^(٢).

إن أمثال هؤلاء ليس منهم في الأمة إلا اندرة، بله الغلة، بله الكثرة والوفرة، ولقد رأيت كيف أن رسول الله ﷺ قد خُرج للناس منهم جيلاً، فما بالك بزماننا هذا؟ وقد بلغ عدد المسلمين في العالم ملياراً ونصفاً، هذا إذا حددنا مخاطبنا في المسلمين خاصة، وإنما الإسلام جاء لمخاطبة العالمين.

المعلم الثالث: يُشَرُّ الدَّعْوَةَ وَيَسَاطِلُ الْمُفَاهِيمِ:

إن من أهم معالم البعثة النبوية؛ أنها غيّرت بالبسر، والسهولة في الخطاب، وفي التكليف، وهذا أمر مهم جداً لضبط الاتجاه الدعوي المعاصر، ذلك أن بعض الحركات الإسلامية، إنما انغلقت على نفسها؛ بسبب عسر مفاهيمها، ونبتع فهمها، وما جرت عليه من حمل الناس على العنف، وقد نواتر في الدين مفهوم (رفع الحرج)، وما نلن به من قواعد كلية، فالتصوص القرآنية والحديثية مجمعة على هذا المعنى؛ بما يجعله كلية قطعية من كليات الدين؛ دعوة، وتكليفًا، فالخطاب القرآني صرح بذلك نصريحاً، ونص

(١) لك أن تنظره في كتابنا: « مفهوم العالمية ».

الحق جل وعلا على البسر بإطلاق، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ بِالذِّكْرِ فَبُذِّلَ مِنْهُ ذِكْرٌ﴾ [النمر: ٣٢] وقال جل وعلا في الآية الجامعة المانعة على سبيل الشمول والاستفراغ: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]... الخ.

ثم أوصى رسول الله ﷺ مبعوثيه إلى اليمن جابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل فقال لهما: «نسرا ولا تُفسرا، وبشرا ولا تنفرا»^(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُشْرُ وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدُّوا وَقَارُكُمْ وَأَبْشِرُوا وَاسْتَبْرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»^(٢). ومثله قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ غَلِبْكُمْ مِنَ الْأَعْغَابِ مَا يُطْفِقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْجِي خَلْقًا غَلَبُوا، وَإِنْ أَحْبَبَ الْأَعْغَابُ إِلَى اللَّهِ مَا ذَرَبُوا عَلَيْهِ وَإِنْ قُلٌّ»^(٣). روى الصحابي الجليل أنس بن مالك ؓ قال: «جاء ثلاثة زُفُفَ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تَفَالَوْهَا، وقالوا: أبين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً! وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر! وقال الآخر: وأنا أعزِلُ النساءَ فلا أتزوج أبداً! فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأحسبكم لله وأنفاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٤) ومثل هذا في السنة كثير جداً؛ مما يغيب استفراؤه كلبه قطعاً من كليات الدين، فوجب إذن أن يؤخذ على هذا الوزان؛ نكليفاً ونعابها، ودعوة وفزكة، وما خالفه فإنه يُرَدُّ إليه.

ولذلك قال شيخ الإسلام نفي الدين بن نسيمة رحمه الله من بعدما سرد عدداً من أدلة البسر والتبشير في الشريعة: «وهذا وأمثاله في الشريعة أكثر من أن يحصر، فمن قال إن الله أمر العباد بما يعجزون عنه - إذا أرادوه إرادة جازمة - فقد كذب على الله ورسوله، وهو من المقتربين»^(٥).

ولقد التقط أبو إسحاق الشاطبي هذا المعنى العظيم من القرآن، فجعله أصلاً من أصول المقاصد؛ حيث استعمل مصطلح (الأمية) في وصف الشريعة، لكن ليس بمعنى الجهل، وهذا أمر غلط فيه كثير من طلبة العلم، وحتى بعض الدارسين، ممن فراه

(٢) رواه البخاري.

(١) متفق عليه.

(٥) مجموع الفتاوى: (٤٤٠/٨).

(٤، ٤) متفق عليه.

في كتاب الموافقات؛ فمن الساذجة أن يفهم عن أبي إسحاق رحمته أنه بصف الشريعة بالجهل، أو أنها غير صالحة إلا للعوام، كيف وهو شيخ المقاصد المحدد لعلم أصول الفقه؟! ولكنه استعمل مصطلح (الأمية) بمعنى السهولة والبساطة والبسر، في الفهم وفي التكليف، على ما أضلنا آنفاً، وقد نقل المصطلح من دلالة اللغوية، الدالة على الجهل بالحساب والكتاب؛ ليستعمله في وصف الشريعة نفسها، لكن بدلالة أخرى اصطلاحية، على مفهوم منهجي، متعلق أساساً بمعنى البسر المشترك في التكليف، وفي تطبيق الشريعة. قال رحمته في المسألة الثالثة من كتاب المقاصد في الموافقات: « هذه الشريعة المباركة أمية ^(١) . وهو ما فسر في موطن آخر بقوله: « ربما أُخذ تفسير القرآن على التوسط والاعتدال، وعليه أكثر السلف المتقدمين، بل ذلك شأنهم، وبه كانوا أنفهم الناس فيه، وأعلم العلماء بمقاصده وبواطنه، وربما أُخذ على أحد الطرفين الخارجين عن الاعتدال، إما على الإفراط؛ وإما على التفريط، وكلا طرفي قُصْدِ الأمور دُمِيمٌ، فالذين أخذوه على التفريط فصروا في فهم اللسان الذي به جاء، وهو العربية، فما قاموا في تفهم معانيه ولا فعدوا كما تقدم عن الباطنية وغيرها، ولا إشكال في اضراح التعويل على هؤلاء، والذين أخذوه على الإفراط أيضاً فصروا في فهم معانيه، من جهة أخرى، وقد تقدم في كتاب المقاصد بيان أن الشريعة أمية وأن ما لم يكن معهوداً عند العرب فلا يعتبر فيها ^(٢) .

وهذا معنى عظيم؛ إذ عدم اعتباره أدى بكثير من الناس إلى الزيف عن جادة المنهاج النبوي الفطري، في الدعوة والتكليف، وإنما الأصول قائمة على حمل الناس على الوسط والتوسط، والاعتدال، لا على الغلو سواء في ذلك الفهم أو التكليف.

فالداعية قد يؤدي به التسلسل بأحاد الأدلة - دون اعتبار كليتها الأصولية - إلى الانحراف في المنهج، كما أن مراعاة بعض الجزئيات في الفهم والإفهام، لا ينفض ما نقرر قطعاً في الكليات الاستفرائية، فقد نقرر مثلاً أن الدعوة بحجب أن تقوم على منهج التيسير والتيسير؛ قصد التمكين من عموم التطبيق والتنزيل، فإذا وحد ما يخالفه حمل عليه وأرجع إليه، وعدم مراعاة ذلك بوقع في إمكانيات منهجية، ويؤدي إلى منافضة الفروع للأصول وهو محال، وقد وجدت - مثلاً على ذلك -

(١) الموافقات: (٦٩/٢).

(٢) الموافقات: (٤٠٩/٣).

نازلة من كلام للشيخ الداعية المجدد، والعالم المحقق، محمد ناصر الدين الألباني رحمته، وجزاه عن الأمة خير الجزاء، إذ نشدد - على غير عادته - في إلزام ما لا يلزم في نازلة من بعض فروع العقيدة، فنحن والحمد لله على عقيدة السلف الصالح، فيما فرروه؛ استفراء من نصوص الكتاب والسنة، من توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، بما ينضمن ذلك كله من إثبات للأسماء والصفات، وعدم تأويلها، ولا تعطيلها، ولا تشبيهها.

ولكن؛ أن يصير الأمر في ذلك إلى تخفيف فضايأ فوق طاقة الجمهور؛ فهتأ، وإدراكاً ونكلياً؛ فهذا مما يكون القول بالتكليف به منافضاً لأصول الدين وأصول الفقه معاً، كما فرره العلماء بقواعد الاستفراء القطعي، مما بينا سابقاً، إذ هو من باب (تكليف ما لا يطاق) وهو ممنوع في الدين، مرفوع في الشريعة أصولها وفروعها، ولقد قبل رسول الله ﷺ ظاهر الإيمان من الناس، ولم يحق معهم جزئيات المعاني التي لا تطبق العفول البشرية إدراكها، ولا استحضارها، بينما ذهب فضيلة الشيخ الألباني رحمته - فيما سنوره - إلى حمل الناس على ذلك في خصوص هذه النازلة، ساءوا من علماء الأزهر، وكل عالم لا يدرك ما أدركه من التكلف والتعقيد، بل سقأ أحلام بعض علماء العقيدة السلفية الذين لم يفهموا ما فهمه، جاء ذلك في فترى من فتاويه رحمته نشرت مستقلة بعنوان: « التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام »، ونحن أبضاً نقول بذلك على غامه وكماله، ولكن بـ (المنهاج الربوي)، القائم على التوسط والاعتدال. قال رحمته : « إن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومنطلياتها؛ ليست واضحة - للأسف - في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العفائد الأشعرية، أو المانريدية، أو الجهمية؛ في مثل هذه المسألة، فأنا أرمي بهذا المثال إلى أن المسألة ليست بهذا البسر، الذي بصوره البرم بعض الدعاة، الذين يلتفون معنا في الدعوة إلى الكتاب والسنة، إن الأمر ليس بالسهولة التي بدعها بعضهم، ولا يكفي أن يعتقد المسلم ﴿ اَرْحَنُ عَلَى الْعَرْشِ اُسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. [و] « ارحموا من في الأرض برحمتكم من في السماء » ^(١) دون أن يعرف أن كلمة (في) التي وردت في هذا الحديث ليست ظرفية،

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، عن ابن عمر مرفوعاً، وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه العلامة الألباني رحمته في السلسلة الصحيحة: (٩٢٥)، وفي صحيح الجامع الصغير: (٣٥٢٢).

وهي مثل (في) التي وردت في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾ (الملك: ١٦) لأن (في) هنا بمعنى (على)، والدليل على ذلك كثير، وكثير جداً (...) ويُقَرَّب هذا حديثُ الجارية - وهي رابعة الغنم - وهو مشهور معروف، وإنما أذكر الشاهد منه، حينما سألتها رسول الله ﷺ « أَيْنَ اللَّهُ؟ » قالت: « فِي السَّمَاءِ »^(١). لو سألت اليوم بعض كبار شيوخ الأزهر - مثلاً - أَيْنَ اللَّهُ - لقالوا لك في كل مكان، بينما الجارية أجابت بأنه في السماء، وأقرها النبي ﷺ؛ لأنها أجابت على الفطرة (...) لأنها لم تلوث بأي بيئة سيئة؛ عرفت العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة، وهو ما لم يعرفه كثير ممن يدعي العلم بالكتاب والسنة^(٢). كذا!

قلت: هذا كلام - من حيث الأصل - صحيح؛ ولكن التكليف به، والاشتغال به، تربية ودعوة؛ غلو شديد، ونتيج مثل هذه الدقائق في تجديد الدين - وجداناً وعملاً - مخالف لما جاء به الإسلام من التيسير وعدم التعسير، كما سبق بيانه بالفواعل القطعية؛ فالعقيدة إنما هي عبادةٌ خوطب بها كل الناس: العالم والعامي كلهم في ذلك سواء، وأخذُ الناس بمثل هذه الدقائق، إنما هو حملٌ لهم على ما لا طائفة لهم به، فالعقيدة التي (لا يعرفها) علماء الأزهر، ولا أهل الندين السليم، ولا كثير من أهل العقيدة السلفية؛ إنما هي مجال لا تكليف به أصلاً، وإنما رسول الله ﷺ قَبْلُ من الحارِية ظاهراً خطابها، ولم يوفقها لبحفن معها معنى (في) أنعني الظرف الداخلي؛ أم الخارجي؟ أي: هل هي بمعنى (داخل) أم بمعنى (على)؟! فهذا تُحْكَمُ في النص، ثم إنما مرجع ذلك - في نهاية المطاف - إلى تحكيم الغفل في الاعتقاد، وهو باطل شرعاً وعقلاً، وإنما هي أسماؤه الحسنَى وصفاته العلى، نؤمن بها كما وردت، نأخذها على حقيقتها، بما لا يعطلها، ولا يؤولها، ولا بشبهها، عقيدة فطرية بسيطة، بلا تحكيم، ولا تعقيد، وما مخاطب رسول الله الجمهور، ولا أحداً من خواص الصحابة بمثل ذلك قط.

نعم، إن الفطرة المسلمة السليمة تنلفي لفظ (في) الوارد بالآية والحدِيثين

(١) رواه مسلم.

(٢) التوحيد أولاً بأدعاء الإسلام: (٢٥ - ٢٩)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض. ط. الثانية:

(١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) .

المذكورين؛ بمعنى (على)، ولكن على غير منهج جدلي؛ بل يكفي في ذلك أن يكون منهج تربوي؛ كما كان الشأن في زمن الصحابة والتابعين؛ لأن المنهج التربوي بعمر القلب معروفة بالله تعالى، فبعظمه جل وعلا خشية وإجلالاً؛ وينزهه عن أن يحاط به سبحانه، بل هو تعالى بكل شيء محيط: ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت: ٥٤].

فليس كل شيء يتناوله البحث، وبصح في التحليل والاستدلال؛ يصلح ليكون مادة للدعوة والتربية، ومقصداً شرعياً يخاطب به عموم الناس. إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم على منهجهم؛ إنما كانوا على عقيدة سلفية موضوعاً؛ تربوية منهجاً، لا على عقيدة سلفية موضوعاً، جدلية منهجاً، وفرق بينهما كبير.

إن (العقيدة السلفية موضوعاً؛ التربية منهجاً) هي التي وردت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهي التي خرجت جبل الصحابة والتابعين، وسائر العلماء الربانيين، وهي التي أطاق الجمهور من المسلمين اعتقادها والعمل بها، وكانوا بها صالحين.

فلم تكن البعثة الحمديدية إلا بسيطة وسهلة، ومبسرة نيسبوا في الفهم والعمل، ولا لنجاح لعمل دعوي يخرج عن هذا المنهج؛ ولذلك كان هذا مغلقاً من معالم (بعثة التجديد)، فحاجة العالم اليوم إلى الدين شديدة، وعودة الناس إلى الله رغبة أكيدة، وهي كامنة في الوجدان الإنساني، تنتظر أهل البعثة ليكتشفوها، وينزلوا عليها كلمات الله طرية ندية، وأما التعقيد فلا يجعل ماءها إلا غوراً، فلا يستطيع المعتنون له طلبها.

المُعَلِّمُ الرَّابِعُ: السَّنَطِيمُ الْفُطْرِيُّ

وأحسب أن هذا المعلم هو من ألفت جكم البعثة الحمديدية، فقد كان رسول الله ﷺ منظماً في عمله كله، لا ارتجال فيه ولا فوضى، ولا اضطراب ولا عيب، بل كل خطوة من خطواته ﷺ كانت بحسابها؛ إذ « كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ » (١).

والقرآن نظام بديع، بل هو أبداع نظام؛ مبنئ ومعنى، عقيدة وشريعة، لغة وجمالاً، وهو الذي فيه قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَسْلِكَ ﴾ [نعمان: ١٩]. كما أن سيرة الرسول ﷺ نظام كلها، وحكمة جميعها، ومن هنا كان إنكار تنظيم الدعوة إلى الله، والعمل الإسلامي التجديدي؛ غباءً وجهلاً بالدين، وانحرافاً عن سنن الله في الكون وفي المجتمع، وهي الميثقة في الكتاب والسنة، أو ربما كان موقفاً سياسياً مريباً؛ للنشويش على العمل الإسلامي، وإرباك عمله الدعوي، لبس إلا.

لكن التنظيم ذا الطبيعة الميكانيكية، كما اعتمدته أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة؛ صار إلى ما ذكرناه من الحزبية الضيقة؛ إذ آل أمره إلى محاصرة الدعوة الإسلامية حصاراً ذاتياً، فصار كثير من الإسلاميين بذلك يعيشون في منفي اختبائي، بين شعوبهم ومجتمعانهم بسبب الغلو في بناء التنظيمات، والمبالغة في تسوير الجماعات، على طريقة المظلمات الغربية، كيف اخل إذن؟ إنه الوسط؛ الوسط دائماً حل لكل انحراف سببه الغلو؛ ولذلك جعلنا تسمية هذا المعلم بـ «التنظيم الفطري»؛ نحرزاً عن «النظيم الحزبي» أو «الميكانيكي»، الذي أهلك الدعوة وحاصر الدعاء، وأجبرهم على الإقامة داخل أفكارهم وهياكلهم، بصورة آلت في نهاية المطاف إلى ما سميناه بـ «الاستصنام المنهجي» لتلك الأجسام^(١).

إن «التنظيم الفطري» هو النسق الدنبي الجميل الذي ينظم العبادات، والمعاملات، وسائر بني المجتمع في الإسلام، كما يتجلى ذلك مثلاً في صلاة الجمعة والجماعة، وهو الذي طبع مدارج الدعوة الإسلامية في السيرة النبوية خلال صبرورها، وعبر كل مراحلها، فالتنظيم الفطري عمل ديني محض، غايةً ووسيلةً؛ إذ هو قائم أساساً على تجديد الدين في ذاته ولذاته، إنه إذن تنظيم الإسلام - من حيث هو دين - للإنسان فرداً وجماعةً؛ ولذلك فهو بدمج بصورة تلقائية تلسية في نظام الصلوات، وفي نظام الجمع الجماعات، وفي عُمُرَانِ المساجد ومجالس القرآن. إنه التنظيم الذي يوظف سائر العبادات في الإسلام أصولها وفروعها، ثم يسري بعد ذلك في خلية الأسرة بناءً وتغديداً، ليمتد إلى تجديد نظام النسيج الاجتماعي بأكمله؛ بإعادة إنتاج نُظُمِهِ المختصة ببناء العلاقات الاجتماعية العامة، على موازين الدين.

فهُبْكَائُهُ هي هيكلة الشريعة نفسها، وإدارته هي نسيج العلماء والدعاة الحكماء، وسائر الفاعلين والمتفاعلين مع نُظُم الإسلام ديناً ودعوةً، كُلُّ بُحْلٍ بِالْحِلِّ الَّذِي أَحْلَاهُ فيه أحكام الشريعة بصورة تلقائية طبيعية، تماماً كما يتخذ المصلي - في الجمعة أو في الجماعة - مكانه من الصف، أو من المجلس بصورة طبيعية، ليجد نفسه في الحل الذي وجب أن يحل فيه.

ومن هنا غارق التنظيم الفطري التنظيم الحركي الميكانيكي، فالفطري دينٌ بذاته؛ ولذلك لم تكن الدعوة إليه وبه إلا عبادةً لله رب العالمين، رأماً الميكانيكي للدعوة به مغامرة؛ إذ كثيراً ما نتجّر بصورة تلقائية إلى الدعوة إليه، وهو ليس يدين في ذاته، بل هو عمل بشري محض، فنحصل الثقافة العجيبة؛ حيث يَتَقَضَّى الفَرْخُ أَصْلَهُ، ونخون الوسيلة غابيتها، بما يرسخه التنظيم الميكانيكي من وثبة خفية في أهله وأنصاره، فيصير حجتاً مانفاً من رؤية مفاصل التعبد في العمل الحركي؛ ومن ثم يكون الانحراف. وعليه؛ فالقيادة الشرعية للعمل الإسلامي - على خلاف السباسبية المحضة - بفرزها علمها وورعها، وتصنعها تجربتها، فتنصب للناس هنا وهناك بلا حرص، ونؤم الاجتماع بصورة طبيعية تلقائية، بلا تحمل، ولا نشج، ولا فتال، لا نفرض نفسها فرضاً، ولا نسعى إلى ذلك فصداً، وإنما الناس هم الذين يطلبونها؛ لما فاض عنها من العلم والهدى، ولما انبعث عنها من أخلاق النبوة، وكذا لما تخفق فيها من برهان « الإرث النبوي »، (فالعلماء ورثة الأنبياء) كما سبق بيانه بأدلته ومفاسده.

هل وصل أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد إلى إمامة الناس بانتخابات حرة أو مفيدة؟ وفتلهم فبادت النابعين، ثم قبلهم أصحاب رسول الله ﷺ، وخلفاؤه الراشدون؛ ألم يكن الوجدان الإسلامي مجمعا عليهم قبل توليهم، وبعد توليهم؟ ألم يكونوا أئمة في عهد رسول الله ﷺ؟ ألبسوا هم أهل شوره ﷺ وأهل الحل والعقد عنده؟

إن أئمة بعثة التجديد لا تصنعها الانتخابات الراجعة إلى أصوات العوام، ولا الديمقراطية التي قد تُغْلِبُ الغث على السمين، وتنتصر الباطل على الحق؛ بمجرد كثرة الغث، وغلبة أهل الباطل عدداً، وذلك لعمري هو غاية الفساد، وإنما الحكم في

إمامة « بعثة التجديد »، أو « دعوة الإسلام » هو قاعدة المحدثين المشهورة: « إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون دينكم »^(١).

ركنان عظيمان في الشخصية الإسلامية الفبادية، لا يجوز تخلفهما فبمن انتصب لإمامة التجديد: « الفؤة والأمانة ». فهما أساس الولايات الشرعية في الدين. قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ خَيْرُ مَنْ أَسْتَنْصَرْتَ الْفَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ [النص: ٢٦]. وهو ما صار مرجع المحدثين في نفوهم الشخصية الإسلامية بخاصيتي « الضبط والعدالة ». ذلك إجماع السافين، في التأمر والنفوم، ولا خير في بدع اللاحقين.

وعليه، فالتنظيم الفطري عمل دعوي يجمع بين التفاتية وبين التوجيه، كما يجمع بين البساطة وبين العمق، وهو عمل تعديدي بذاته، ومسلكت إيماني بطبيعته؛ ولذلك فهو يقوم على ركنين أساسيين، الأول منهما: بشري، وهم حُمَلُ الدعوة من الفاعلين فيها والمتفاعلين معها. والثاني: معنوي، وهو الإطار الروحي التداولي للرسالات الدعوية. وبيان ذلك هو كما يلي:

الركن الأول:

مجموع الأئمة المنصبين للبعثة، باصطلاح الشاطبي الآنف الذكر، كل منهم محور للعاملين والمتعلمين، يقومون فيهم مقام النبي ﷺ، كما حدده القرآن « بلا ابتداء ولا فضيل، ولا ترسيخ لوساطات الأشياخ والأنطاب والأبدال، وإنما هم الربانيون وراث النبوة، كما سبق وصفهم بأدلتهم، نتحدد علاقاتهم جميعاً في ذلك - علماء ومتعلمين - بقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرَزَقَهُمْ وَبَعَثَهُمْ إِلَى الْقَرْيَةِ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيِّنَ صَلْتَلٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ذ « التعليم والتزكية » هما مناط « الفؤة والأمانة »، اللذين يقوم عليهما بناء الأمة الإسلامية في بعثة التجديد، تماماً كما قام في البعثة الأولى. ولنفهمي « التعليم والتزكية » تفصيل، ببناه في غير هذا المكان، فلا حاجة للتكرار^(٢). فالعلماء الربانيون، أو الوراث المنصبون، هم الركن الأول

(١) هذه القاعدة في علم الجرح والتعديل روي عن غير واحد منهم. فقد أخرجها مسلم بسنده عن محمد بن سيرين، بمقدمة صحيحه: (باب بيان أن الإنسان من الدين)، كما أخرجها ابن عبد البر عن مالك رحمه الله. التمهيد: (٤٧/١).

(٢) ن. بلاغ الرسالة القرآنية: (١٠١ - ١٠٥).

علم الميكانيك والنظام الحزبي الذي يمنع كل حركة لم تنتج عن حركته، ومثل هذا لا ينتج بعثه، ولا تجديدًا، وإنما قد يحفظ للأمة بعض المصالح إلى حين، كما قد يجر عليها من المفاسد ما يفوق تلك المصالح في بعض الظروف، أما أفكار البعثة التي ننظم العمل الدعوي بشكل ثنائي؛ فإنما هي منهج الاشتغال بالفران ندولاً كما بيناه.

إن « التَّذَاوُلِيَّةُ الْفَرَّانِيَّةُ » هي التي صنعت المجتمع الإسلامي الأول، على يد رسول الله ﷺ، وهي التي حضّرت جبل الهجرة، وخرجت رجاله « الأفوياء الأمتاء » بمجالس الفران، من دار الأرفم بن أبي الأرفم ومن بين شعاب مكة، وهي التي صنعت الدولة الإسلامية الأولى؛ انطلاقاً من مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة.

إن بث بصائر الآيات في المجتمع، عبر شبكة العلماء الربانيين، المنظمين بهندسة الفران الدعوية؛ بكفبك وبغيبك عن ناسير الأمراء بصورة ميكانيكية، وانتخاب النقباء، وإنشاء الخلايا المعقدة، فالفران وحده نظام البعثة وتنظيمها؛ لكن لو كان له مهندسون مبصرون، فالتنظيم الحزبي له مصالحه وله مفاسده، والتنظيم الفطري يجلب تلك المصالح، ويدرك تلك المفاسد.

ولا يصلح للدعوة غير ذلك؛ إذ كان المقصود الاستجابة لداعي بعثة التجديد، فتدبر مسيرة رسول الله ﷺ في بث الإسلام بين الناس، وفي تربيتهم على مبادئه، إنما كان يؤمّر « الفُرَّاء » وهم العلماء بالفران، ويرسلهم إلى الأمصار؛ ويخار من أصحابه أعلمهم وأحكمهم؛ للمهمات القيادية، والأمور الصعبة، وساجد بذلك المنهج السهل البسيط، بكتشف الطافات وبؤهل الفبادات، وبتبط بها رسالة الفران؛ لتدور في تداولية شاملة، بصورة حلزونية متفتحة أبداً، تستوعب المجتمع شعباً فنيباً؛ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ [المر: ١ - ٣].

إن المراهنة على الهياكل المظلمية، ذات التركيبة الحزبية الميكانيكية؛ لإقامة الدين بصورة كلية؛ لهي مغامرة خاسرة، حتى ولو وصلت إلى امتلاك السلطة؛ إذ لا يمكنها أن تحمل الناس على الدين حملاً، ولا أن تجمع حركة وجدانية في المجتمع، ولا هي

فادارة أن نستوعبهم دعويًا ولا تربويًا، فننظمها الحزبي هو بطبيعته نموذج تجزيي، فلم بضعه الفكر البشري لبستوعب الجميع، بل لبستوعب فئة محدودة جدًا من الناس، ويفي المجتمع بعيدًا عن هموم التنظيمات والأحزاب، وصراعاتها.

فدع بصائر القرآن العظيم، نصنع خربطنها القطرية في المجتمع، كل المجتمع، ونيسط هندستها العمرانية بين شرائحه، كل شرائحه.

وإنما خلايا التنظيم القطري هي « مجالس القرآن »، من الفرد إلى الأسرة، إلى المجموعات إلى المؤسسات، وإنما رأيه العام هو « النداول الاجتماعية » التربوي للآيات والسور، وإنما مفراته هي المساجد، وإنما فياداته هم العلماء العاملون، والحكماء الريائيون، المنصيون للبعثة والتجديد.^(١)

والسر كل السر في القرآن ذلك هو الحبل القوي، الرابط بين الناس، الصانع لتسبيهم الاجتماعي، بما يفوق قدرة الحركات والتنظيمات، وندير حديث رسول الله ﷺ: « كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض »^(٢). ويفسر حديثه الآخر حينما خرج على بعض أصحابه بالمسجد، فقال عليه الصلاة والسلام: « أبشروا أبشروا ألبس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ » قالوا: بلى، قال: « فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن يهلكوا بعده أبدًا »^(٣).

أما أهل البعثة من العلماء الفاعلين، والريائيين المتفاعلين؛ فلا بد من اجتماعهم على كلمة سواء، في بناء المنهج وبعث المجالس، وبث نشاطها ومواجهة تحدياتها؛ بما يكفل تحفيين « بعثة التجديد »، ويصنع للأمة رجالها من داخل المجتمع، لا بد من تأليف الكلمة، وترتيب المسيرة؛ لتنتظم البعثة عبر مدارجها، ومراحلها، وفقه

(١) ن. ذلك مفصلاً في: « مجالس القرآن ».

(٢) رواه الطبري عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٤٤٧٣). وقد روى الترمذي نحوه في جزء حديث له عن زيد من أرفم مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٤٥٨).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٧١٣).

أولوياتها؛ من المجالس إلى المدارس، ومن عمران الإنسان إلى عمران السلطان.
﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ. وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ذلك ما يُشعر الله تفضيذه هاهنا من هذا المُعَلِّم اللطيف. وقد نبأ قالوا: « بكفي من
الفلافة ما أحاط بالعنق! » كذلك، وإنما الموفق من وفقه الله.

• • •

و « العمران الفراني » له فضاها رئيسية في بناء النفس والمجتمع، إليها نستند هندسته، وعليها يقوم بناؤه، فهي التي كانت نثل اللبنة الكبرى في بناء البعثة الحميدية وعمارتها، عليها كانت تدور أولوياتها، التي نحسب أنها ثابتة لا تتغير بمصر ولا تتبدل بعصر. وهي: التوحيد بما هو إخلاص، والعبادة بما هي شعائر، والمجتمع بما هو علاقات ومؤسسات، ثم علم الدين بما هو إطار للتجديد والاستمرار. وغاية ذلك كله هو إقامة العمران الوجداني والمادي؛ لعبادة الله الواحد الفهار. وبيان نلك الفضايا - على الإجمال - هو كما يلي:

القضية الأولى: التوحيد:

وذلك بالدعوة إلى عبادة السلف الصالح، تعلبنا ونزكبة، كما فررها القرآن، وكما كانت في الصدر الأول من الإسلام، عند الصحابة والتابعين، لكن لبس بالمنهج الجدلي الكلامي، الذي آلت إليه عند المتأخرين الجدلين، كلا فذلك هو أيضًا ابتداء في المنهج. وإنما بالمنهج الفراني التربوي، الذي يقوم على التعرف على الله والتعريف به؛ نزية ونزكية؛ لنحصل الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة؛ عبادة لله الواحد الفهار، وذلك من خلال استغلال المفاصد التعبدية، والأهداف التربوية للأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس بالحمود على استظهار الخدود والتعريفات لمفاهيم الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، على وزن فصول المناطقة ورسومهم، فذلك منهج عقيم لم يزد الأمة إلا خبالًا، وإنما باستثمار ذلك عبدة ربوبية، تملأ الغلب علمًا وورعًا، وتنتج خُلقًا قرآنيًا في النفس وفي المجتمع^(١). والبناء الفراني للتوحيد هو الكفيل بتكوين الشخصية المسلمة، الجامعة لصفني (الفرة والأمانة)، اللذين بهما يكون الإنسان المسلم - كما سبق بيانه - فاعلًا في التاريخ أو لا يكون؛ إذ إن (التوحيد) من حيث هو منهج القرآن في التعرف إلى الله والتعريف به، الذي هو جوهر المنهج السلفي الأصل؛ يُخرج من العامة: أجيال الربانيين، ومن الفادة: الفقهاء العاملين، واجتماع العامة والخاصة على هذه (الثنائية التربوية) العظيمة؛ هو خير ما يقوم عليه التسيج الإسلامي السليم، ومن لم يراع ذلك كان عمله مخروما من إحدى الجهتين. وغرس - « التوحيد » - بالمفهوم الذي وصفنا من النخلق بأخلاق القرآن - هو

الكفيل بالجمع بينهما في التوبة الفرآنية. ولنا هاهنا كلمة ذهبية جمعت بينهما، رويت بأسانيد صحيحة عن عدد من الصحابة، منهم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، في أثر صحيح ملبح، قال ﷺ: «المنفون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»^(١).

القضية الثانية: العبادة:

وأهم رموزها فريضة الصلاة: فالصلاة هي عماد الدين، وهي العهد الذي بين الرسول وبين المسلمين، لكن تجديد الصلاة إنما معناه بعث مضمونها في الأمة وإحياء دورها العظيم الواصل بالله، الناهي عن الفحشاء والمنكر، والحافظ لحدود الله، وإحياء عمارتها ومركزيتها، من المساجد والجوامع، وإظهار ما نبهت من مفاصل في المجتمع. ومهم جدًا أن نعلم أن أول عمل في الإسلام - بعد الإيمان - أمر به رسول الله ﷺ هو الصلاة، وأول عمارة بناها النبي ﷺ في الإسلام هي المسجد، فندير هذا ثم أبصر، وافقرأ مفاصل الحديث العجيب؛ إذ قال ﷺ: «أنا في جبريل في أول ما أوحى إلي، فعلمني الوضوء والصلاة»^(٢).

الصلاة مفتاح صلاح المجتمع، وأول أعمال التجديد فيه، وبقدرة إقبال الناس عليها يكون نفوس مراحل البعث، ومعرفة ما قطعته من أسواط. نعم الصلاة من حيث هي عبادة، لا من حيث هي عادة، بمارسها المسلم كما يمارس عادة شرب القهوة، أو قراءة جريدة الصباح والمساء، بل الصلاة بما هي رباط وجداني وحركة فردية وجماعية تصل الناس بالله عقيدةً وشريعةً، ونصنع عمارتهم الإيمانية في طريقين بعثة التجديد^(٣). ولث أن نندبر حديث رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(٤). وحديثه ﷺ الذي جعل

(١) رواه الطبراني في الكبير. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله موثقون. كما رواه ابن النجار عن أنس بن مالك، بلفظ: (العلماء) بدل (الفقهاء). وقال المحلوني في كشف الخفاء: رجاله ثقات. كما روى نعيم الدبلي عن علي بن كرم الله وجهه.

(٢) رواه أحمد بن محمد بن الدارقطني، وإلحاقه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٧٦).

(٣) ن. ن. ن. الصلاة للعبادة وبلاغ الرسالة الفرآنية: (٧٠ - ٨٠).

(٤) رواه مسلم.

الإسلام بيئاً (وعموده الصلاة) ^(١). فمن هاهنا الهدايات والمنطلفات؛ لعمران الوجدان وبناء الإنسان. لمن يدرك حقاً: كيف نصميم هندسة القرآن، وكيف نفهم أركان بعثة التجديد في المجتمع.

القضية الثالثة: المجتمع:

ونوانه الأولى إنما هي « الأسرة » بالمفهوم الإسلامي: فالأسرة مفتاح فريد لكل تجديد، الأسرة هي أساس المجتمع، والخلية الأولى من نسجه الكبير، بنماسكها بنماسك المجتمع كله، وبنمرفها بنمرف كله، ثم يبقائها سليمة معافاة بشلم الندين وبسنمر، وبفسادها أو خرابها بفسد وبخراب، ألم نر أن الله ﷻ قد أعطى للأسرة أولوية الأولويات في التشريع القرآني؟ بينما أحال كثيراً من بيان تفاصيل التشريعات الأخرى - بما في ذلك أركان الإسلام وفرائضه الكبرى - على بيان السنة، أو استنباط الاجتهاد، وإنما اكتفى في القرآن بتشريع مبادئها وأصولها، بينما نولى - جل وعلا - بنفسه سبحانه تفصيل فضائها الأسرة في القرآن العظيم، وبين فيه أحكامها الكلية والجزئية؛ إلى درجة من التفصيل لم نكد نفيي للسنة من ذلك إلا فليلاً، ولم نكد نفيي للاجتهاد بعدهما شيئاً.

إن هذا الصنيع الرباني في حد ذاته خطاب منهجي؛ لمن فكر في تجديد العمران. ولقد شهد التاريخ أن الدين في بعض البلاد الإسلامية؛ التي ابتليت بسيطرة الإلحاد على المستوى الرسمي للدولة؛ لم تحفظه لا هيئة كبار العلماء، ولا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ولا الجمعيات والجماعات الإسلامية، القديمة والحديثة. وإنما حفظه الله بالأسرة، هذه الخلية الدعوية العجيبة، التي بقيت على فطرتها الدينية، وأساسها الإسلامي، كما كان الشأن في الجمهوريات الإسلامية، التي بقيت ردياً من الزمن ليس باليسير، نحت الحصار الحديدي لدولة الإلحاد الكبرى: (الاتحاد السوفياتي) البائد، وكذا صنوه (الاتحاد البوغوزلافي) . لقد انبعثت الحياة الإسلامية في تلك الجمهوريات من جديد، في غباب المؤسسات الدينية المنوعة، وغباب كل أشكال الندين السني والبدعي سواء! ولم يبق لديهم من الإسلام إلا نظام حباتهم

(١) جزء حديث، أخرجه أحمد، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، والبيهقي، والطبراني، عن معاذ مرفعاً. رصحه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

الخاص بالأسرة، وثقافتها الدينية المتوارثة، وكان ذلك وحده كفيلاً يحفظ جمرة الإسلام متوقدة عدة أجيال تحت رماد الكفر والإلحاد؛ لذلك كان التشريع القرآني يحصن أحكام الزواج والطلاق والموارث، وما نقرع عنها جميعاً؛ برسالة عظيمة من الحدود، جعلها الله من حماه ومن محارمه. وإنما نقوم بعثة التجديد بإعادة بناء كل المفاهيم الإسلامية، المتعلقة بالأسرة في النفس وفي المجتمع، وإغفال تجديده هذه المعاني في الأمة لن ينجح عنه بعثة شاملة كاملة.

وللأسرة في الإسلام فبئنان أساسيان، لا بد من الانتباه إليهما عند التجديد:

الأولى: قيمة العرض:

وذلك على ما فرره علماء المفاصد في أصول الضروريات الخمس. وإنما العرض قيمة خلقية، نرجع إلى أخلاق إسلامية كثيرة، من أهمها: الحياء والغيرة؛ فأما الحياء ففيه من النصوص ما يكفي؛ لجعله كلبية من كليات الأخلاق في الإسلام. ومن أجمع ما ورد في هذا حديث النبي ﷺ: «إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»^(١). ومثله قوله عليه الصلاة والسلام: «إن لكل دين خلقا، وإن خلق الإسلام الحياء»^(٢). وأما الغيرة فبكفي فيها حديثه ﷺ أيضا: «إن الله تعالى بغاؤه وإن المؤمن بغار. وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه»^(٣). وشرع لحفظ ذلك عددا من التشريعات، مما يتعلق بأركان الزواج وعفوده وآدابه، وكذا بعض الحدود الراجعة إلى صونه من كل لؤب، كحد الزنى وحد الفذف، والعبرة الآن ليست طبعا بالحدود، وإنما بالمعنى الذي من أجله شرعت تلك الحدود، وذلك هو مجال العمل الدعوي.

الثانية: قيمة الرجم: بمعناه الاصطلاحي الشرعي. و «الرجم» مفهوم كلي في الدين، يقوم عليه عدد كبير من الأحكام الشرعية، التي تنظم الحياة الزوجية بما يضمن استمرار هويتها الإسلامية، وانتسابها الديني في ذريتها إلى يوم القيامة. فالرجم ليست

(١) رواه الحاكم، والبيهقي عن ابن عمر. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: (١٦٠٣) في صحيح الجامع.

(٢) رواه ابن ماجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه.

هي ذلك الغشاء البطني الداخلي الذي يحتضن الجنين في بطن أمه فحسب، ذلك معنى لغوي صرف، وإنما المقصود بالرحم في السياق التشريعي هو: مجموع العلاقات الشرعية التعبدية، التي تنشأ عن الزواج الشرعي، وعما يترتب عنه من نسل؛ وهي علاقات الأبوة، والأمومة، والبثوة، والجُدُودة، والعمومة، والخُولة... إلخ. وهذه علاقات تعبدية، بمعنى أنها راجعة إلى اعتبار الشرع لها بالدرجة الأولى، لا إلى مجرد الاعتبارات الطبيعية والبيولوجية، فأنت ترى أن ابن الزنى هو ابن بيولوجي حقيقي، لكنه مع ذلك لا يلحق بوالده شرعاً، وإنما يلحق بأمه ضرورة، فبين أن العلاقات الرحمية إنما تعتبر باعتبار الشرع، وهذا هو المعنى التعبدى لمفهوم الرحم. ومن هنا كانت شمعة من شعائر الإسلام، يُعبد الله بها إنتاجاً شرعياً أولاً، ثم برّاً وتوفيراً، ثم خدمةً وصلة؛ لأن في تأسيسها وإنتاجها تأسيساً للدين، وإنتاجاً لمفاهيمه في النفس وفي المجتمع، وفي صلها صلةً لأصرتة الإيمانية في الأجيال.

ومن هنا فقد فرنها الحق سبحانه وتعالى بأصل التوحيد، الذي هو أصل الأصول في الإسلام؛ لما لها من أثر بالغ في حفظ الدين واستمراره في المجتمع. وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: ١]. فتقوى الرحم راجعة إلى حفظ حقوقها الشرعية، وصيانة أحكامها التكليفية المنوطة بها تعبدًا لله رب العالمين، فهي إذن شمعة يعبد الله بها أصالةً. باستمرارها يستمر الدين وبانقطاعها ينقطع؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّتًا بِغَيْرِهَا يَبْغِي ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «أنا خلقت الرحم وشففت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ومن بثها بته» (١).

وقال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم

(١) أخرجه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، كلهم عن عبد الرحمن ابن عوف، كما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

يقول: ﴿ فُطِرَ اللَّهُ أَلَنِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِلُ إِلَهًا ذَلِكَ الَّذِي
الْفَيْدُ ﴾ [الروم: ٢٣٠] ^(١).

وأحسب أن قوله تعالى: ﴿ أَلَنِي أَوَّلَكِ يَا مُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجَهُمْ أَمْهَتَهُمْ وَأَوَّلُوا
الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا
إِلَّا أَوْلِيَاءَكُمْ مَعْرُوفًا كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦]، يتجاوز
في مفاصله القرآنية الكبرى فصد تشريع أحكام الميراث، إلى مقاصد الأولويات
المعنوية التربوية والروحية، التي نقضي بإدماج النسب - من أهل الرحم الواحد -
بعضه في بعض، وحرص علاقاته التبعية بعضها فوق بعض؛ فنبينا لحسن الأسرة
الديني، وحفظاً لسباجها الروحي العظيم.

وعليه فإن استمرار « الأسرة » بمفهومها الإسلامي؛ هو الذي يضمن بقاء ثقافة
« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » على المستوى الشعبي، ذلك أن التخصيصات
الأسرية تربى ذوق الجليل؛ بما ينكر كل ما يخالف « معرفه »، وينتصر لكل ما وافقه.
وبذلك كله نبين لماذا جعلناها أساساً من أسس العمل الدعوي في بعثة التجديد.
خاصة في هذا العصر الذي صارت مفاهيمها الشرعية عرضة للاجتثاث والتدمير،
سواء على المستوى التشريعي القانوني، أو على المستوى الأخلاقي التربوي.

الفصل الرابعة: علم الدين:

من المعلوم أن « ترجمة » الإمام البخاري، مشهورة جداً في كتاب العلم من
صحيحه؛ لباب: (العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا
اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] . فبدأ بالعلم) ^(٢). والعلم باعتباره فضيلة من فضائل « بعثة
التجديد » ركن من أعظم أركان البعث والإحياء؛ غايةً ورسيلةً، فبالعلم كانت هذه
الأمم، وبه تكون مرة أخرى بحول الله.

والطريق الفعلي لذلك يكون بناء أمرين اثنين في العلم، هما: التأهيل والتأصيل:
فالتأهيل: راجع إلى مشروع تكوين نخبة من الشباب في العلوم الشرعية، ممن
ظهرت فيهم مخايل العبرية في طلب العلم؛ حتى يتحفظوا بمفهوم العالمة بكل

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم.

(١) متفق عليه.

معانيها التخصصية والزبوية، ويكثرتوا بالفعل أهلاً للاتصاف بلقب « عالم » عن جدارة واستحقاق، على مستوى الملكة الفقهية، والريانية الإمامية، والقيادة التربوية الاجتماعية، وهي أركان العالمية الثلاثة، كما بيّناه مفصلاً بأدلة في رسالة « مفهوم العالمية ».

وأما التفاصيل: فهو راجع إلى مشروع تحقيق فضايا العلوم الشرعية عامة، وخاصة الأحكام الفقهية منها؛ يربطها بأدلتها، وبناء مناهج استدلالها، ومقارنة مذاهبها، وتوجيه خلافها العالي والنازل، والفصد من ذلك كله إنما هو إحياء الثقافة الفقهية الأصلية، وتجديد الملكة الاجتهادية في الأمة، وإعادة بث أدب الخلاف؛ بما يجعل الأمة نستعيد قدرتها على احتضان الآراء المتعددة في العلم، ما دامت نستجيب للأدلة الشرعية المعتمدة، من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما انبنى عليهما من أصول الاستدلال وفروعه.

ذلك أن غياب الثقافة الفقهية تجديداً واجتهاداً، قد أدى بالأمة في كثير من الأحيان إلى الجمود على القلواهر من النصوص، أو إلى التجرد من الأدلة كلفة، وكلا الأمرين خروج عن حد الاعتدال في العلم، وكلاهما أيضاً مؤد إلى الجمود والتقليد. وقد تبين باستفراء النصوص الشرعية، وملاحظة تجارب التاريخ الإصلاحية للمجتمع الإسلامي القديم: أنه لا تجديد لحال الأمة إلا بتجديد فقهها، ولا تجديد لثقافتها إلا بتجديد مناهجها. وهو مفصودنا بالتأصيل^(١).

في تجديد المناهج العلمية:

نحن في حاجة إلى تجديد فضايا العلم، نعم؛ ولكننا في حاجة أشد إلى تجديد مناهجنا. وإنما فضايها تبتغ لمنهجها، فإذا تجددت هذه؛ تجددت تلك بالضرورة، والعكس ليس بصحيح.

وتجديد المناهج هو الكفيل بتأطير بعثة التجديد، وإسنادها على المستوى العلمي، الذي هو الوعاء الجامع لحركتها ناصبلاً ونوجيهها، ومناط التجديد المنهجي يكون بإحياء الصناعة الفقهية المفاسدية، بضوابطها الشرعية؛ بعناً وتجديداً.

(١) لزيادة التفصيل يمكن مراجعة كتيبا الذي وضعناه لهذا الغرض: « مفهوم العالمية » .

إن مشكلة العلم والعلماء اليوم إنما ترجع إلى ضمور هذه الصناعة وتدنيتها.

والمقصود بـ (الفقه) هنا: المعنى المصدري للفظ، لا الاسمى، أي الفقه من حيث هو حركة عقلية، ونشاط ذهني بالمقصد الأول، ينتجها العقل المسلم. فالفقه عن الله ورسوله إنما يقع بعقل العالم الرباني الحكيم - والعقل مناط الفهم والتكليف - بما كان عبداً لله خاضعاً لسلطانه، فذلك الفقه هو المقصود في حديث النبي ﷺ: «نُصِرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها عني، فزُبَّ حامل فقه غير فقهه، وزُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (١) إلخ.

والفقه المقاصدي كان أهم ملامح بعثة التجديد في الفروع الهجرية الأولى، مع الإمام الزهري، وربيعه، وأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، والثلاث من بعده، والشافعي، وأحمد وغيرهم.

- نحن اليوم في حاجة - على مستوى تجديد الفقه - إلى ثلاثة أعمال منهجية:

- الأول: بعث الثقافة الفقهية التراثية؛ فهنا وتداولاً: ومن الحكيم المأثورة عن بعض العلماء قولهم: «أول التجديد قتل الماضي بحثاً!». وإنما المقصود ببعث الثقافة الفقهية: بعث المفاهيم والمصطلحات الضرورية في العلم، وتجديد تداولها؛ ذلك أن دروس معاني المصطلحات الفقهية وضباها، هو مما يسبب غاية الاختلال في الفهم، والانحراف في التطبيق؛ مما قد ينتج غلوًا في الدين، وخروجًا عن مقاصده الشرعية؛ فننزل أحكامه على غير منازلها؛ ذلك أن بعض أعلام الدعوة اليوم مثلاً؛ لا يعرفون من نصوص القرآن والحديث إلا حكمين شرعيين اثنين: الوجوب والتحريم؛ فكلما ورد الأمر عندهم حملوه على أصله من الوجوب، وكذا يحملون النهي مطلقاً على أصله من التحريم؛ ليس لأنهم يجهلون القاعدة المدرسية المشهورة: (الأصل في الأمر الوجوب؛ إلا أن نصرفه قرينة إلى التدب أو الإباحة، والأصل في النهي التحريم؛ إلا أن نصرفه قرينة إلى الكراهة). كلاً، فهو يحفظها، لكنه لا يفقه تنزيلها، فهو بكل بساطة (حامل لدليل الفقه) وليس (بفقيه)، وبينهما فرق كبير. وهو ما عبر عنه

(١) رواه أحمد، وابن ماجة عن أنس مرفوعاً. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: (٦٧٠٥). كما رواه الترمذي، والبيهقي، عن زيد بن ثابت مرفوعاً، بسند صحيح. كما في صحيح الجامع، رقم: (٦٧٦٣).

الحديث النبوي السابق ذكره « قرب حامل فقه ليس بفقيه ». إذ لا يعرف مثلاً كيف يراعي عناصر السياقات الثلاثة: من الفرائض، والسوابق، واللواحق؛ ولا كيف يراعي قواعد الدلالة وبوظفها، ولا ما يُعْمَلُ من مناهج الاستدلال وما يُهْمَلُ، حسب طبيعة الحكم الشرعي ومجاليه، من العبادات أو العادات، فحملوا الناس على العنت؛ جهلاً بصناعة الفقه، ومالوا عن الوسط والاعتدال، وخرجوا عن حد الإجماع، الذي جعل الأحكام التكليفية موزعة على الخمسة المعروفة: الوجوب والتدب والإباحة والكراهة والتحریم. لقد كانت هذه الأمور معلومة من الدين بالضرورة، بل كانت ثقافة شعبية يوم كان (الفقه) إمام الأمة، ومنهج نالها عن الله ورسوله ﷺ .

إن الفقه صناعة! لا بد من إحيائها بالبحث في مناهجها؛ حتى نصبح في متناول (التداول الثقافي) للأمة.

ويمثل المصطلح الفقهي عنصراً من أهم عناصر الإحياء الثقافي، وفنائه من أخطر فنوات التداول المفهومي، لمنهج التفكير الفقهي؛ ولذا فهو يعتبر من أهم أولويات البحث العلمي، لمن رام القبض على العلم من صلبه، لا من مُلْجِه وحواشيه، وللأسف فإن غالب البحوث العلمية اليوم في الدراسات الأكاديمية؛ تعاني من الهزال الشديد في المنهج؛ ذلك أنها تعاني أزمة في الإستراتيجية العلمية، وأزمة في الشروط المنهجية.

أما الأزمة الإستراتيجية فهي تتمثل في غياب الفصد العمراني في البحث، الذي يراعي حاجات الأمة الكبرى في بناء التفكير المنهجي، وتوفير مادة علمية صالحة لبناء المستقبل العلمي في المجال الشرعي، وذلك لما طغى على أغلب تلك البحوث من الارتجال، ونفسية ردود الأفعال، فكلمنا ألفي الإعلام على الأمة شيئاً من القضايا، أو كلما أثار (الآخرون) شيئاً من الشبهات؛ رأيت البحوث على عرض العالم الإسلامي، وملء جامعاته، ومعاهده؛ تنصب على موضوع الشبهة بالبحث لبضع سنين، بينما كان يكفي ذلك أن يصدر فيه (تأليف) فقط، أو حتى عدة (تأليف) لا (بحث)، وفرق عندي بين مفهوم (البحث) ومفهوم (التأليف)؛ فالتأليف: جمع لما هو موجود من العلم، وتصنيف له، ثم عرض له بمنهج إنشائي، فالمؤلف

بجمع الأفكار أو بعبد إنتاجها، ثم بعرضها عرضاً حسناً في كتاب. أما (البحث) : فهو كشف عن مجهول^(١)، إنه تجديد في بناء العلم، أو زيادة - مهما قلت - في صرحه وعمرائه. وما أدنى كلمة لأبي بكر بن العربي المعافري رحمته في هذا قال: « ولا ينبغي لحصيف أن يتصدى إلى تصنيف؛ أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى، أو يبتدع وصفاً ومثلاً (...) وما سوى هذين الوجهين فهو نسوب الورق، والنحلي بحلية السرف »^(٢).

إن الأمة اليوم في حاجة إلى البحث في التراث الفقهي، أصوله وفروعه؛ تخفيفاً وتخريباً وتجديداً؛ بما يضمن تطوير مناهجه ريث ثقاته، كما أنها في حاجة استعجالية؛ لوقف التزيف الحاصل اليوم في الجامعات العربية والإسلامية، حيث نهدر الأموال، والطاقات، والأعمار، في إصدار وفرة من التأليف باسم البحث العلمي^(٣). إنه لا بد من بناء (إستراتيجية البحث العلمي) لدراسة الجدوى من كل عمل؛ فصد تخفيف بعثة التجديد في الجامعة؛ بما يغطي حاجات الأمة المستقبلة، في فقه الدين والدنيا، ومن أجل ذلك لا بد من إنجاز العنصر الثاني، من الأعمال المنهجية الثلاثة، للتجديد الفقهي، وهو:

- الثاني: تجديد أصول الفقه بمعقده المفاصدي؛ وليس معنى ذلك عدي إلغاء العمل بالقياس، ومسالك التعليل، على ما يراه بعض الفضلاء^(٤)، كلا، فلا تزال المنهجية الأصولية في أغلب فواعدها صالحة للإعمال والاستعمال، في إنتاج التفكير الفقهي الجديد وضبطه، وإنما هي في حاجة إلى كشف رصيدها العلمي الضخم

(١) ن. أبجديات البحث في العلوم الشرعية: (٢٤).

(٢) عارضة الأحوذبي شرح سنن الترمذي: (١ / ٤).

(٣) وبالنسبة فقد رأيت عدة (بحوث) أخرجت في موضوع المرأة في السنوات الأخيرة، أو سجلت قبل بعض الشهادات، زبلاستقراء كانت القضايا المدروسة في أغلب هذه البحوث هي هي والمنهجية المتبعة هي هي، والنتائج المتوصل إليها هي هي، لماذا؟ السبب بسيط: هم أن موضوع المرأة في الإسلام قد قل بحثاً من لدن الدارسين، وما بقي فيه مجال إلا (للتأليف) بالاصطلاح المذكور، وما كان ينبغي أن نكون كلما ألقى سلطان الغرب؛ في روع عملائه ومقاوليه شبهة! أن نهب بكل طاقائنا لإصدار البحوث، وإنجاز الأطروحات.

(٤) تجديد أصول الفقه للدكتور حسن النرابي.

أولاً، ثم تطوير فواعدها الإجرائية؛ بما بضمن استيعاب فضايا العصر الحديث، بشكل مناسب لمقاصد الشريعة ثانياً.

فهي إذن؛ في حاجة إلى (تكميل) أكثر مما هي في حاجة إلى (تغيير) . هذه حقيفة يعرفها من خبر مناهج الاستنباط الفقهي في مصادرها الأصيلة، وذلك على الأقل في هذه المرحلة من تاريخ الأمة العلمي. قلت: هذا لمن كان يعرف طبيعة المادة الأصولية والمقاصدية حق المعرفة، من خبراء المبدان. فالدرس الأصولي غني جداً بالتنوع المنهجي، وبالتعدد الإمكاناني لمسالك البحث والاستنباط، بما يكفل غغطية أغلب الحاجات العلمية للأمة، في العصر الحديث.

والقياس المعايري - ولا أقول (الضيق) - وُضِعَ لأسباب حضارية، وحاجات علمية، ما تزال قائمة إلى اليوم، ووضعت له منافذ للتوسعة، نبرز حيث تنتصب حاجتها علمياً، من مثل الفواعد المالية؛ كفواعد الاستحسان، وسد الذرائع وفنحها، وقاعدة مراعاة الخلاف، وقاعدة اطراد المصالح الكلية ... إلخ^(١).

إن الحاجة اليوم هي في تجديد الضوابط الأصولية، والفواعد المقاصدية، فيما يتعلق بفقه الأولويات والموازنات، ركنا فواعد ترتيب الحجاج والاستدلال، فأصول هذه الأمور نكاد نعدم، فالحبراء يستنبطون مفاهيمها لأنفسهم، ويبقى غيرهم من أهل العلم نائمين في فتنه تعارض الظواهر ومنغضبات الدلالات، فتدخل الأمة بذلك في فتنه ردود الأفعال، من مثل ما يحصل اليوم من افتراءي مفتون، ينشئ بين قوم لا يشغلون بالسنة؛ مكتفين فقط بالفقرآن، وبين قوم آخرين لا يشغلون بالفقرآن مكتفين فقط بالسنة، وبين قوم آخرين لا يقبلون اجتهاداً في الدلالة، ولا في مقاصد الشريعة؛ ولا نظراً في تخفيف المناط بين عموم وخصوص، وقوم غيرهم نسيوا في تفسير الخطاب الشرعي؛ بما يخالف الأصول الكلية، والثوابت الشرعية. كل ذلك ردود أفعال لا شعورية؛ بسبب غياب العدل في العلم، والفصد في المنهج.

إننا في حاجة إلى تكميل أصول الفقه بفواعد تضمن بناء مراتب التشريع، لبس بمعنى الترتيب التقليدي للأصول: الكتاب، فالسنة، فالإجماع، فالقياس. كلا فهذا

ترتيب مدرسي، لا إشكال فيه ولا خلاف، وإنما القصد منه بيان قوة الحجة الكلية للدليل. وأما قواعد الترتيب التشريعي المطلوب تجديدها؛ فهي المتعلقة بترتيب التفكير الفقهي، الضابطة لمراحله الذهنية، بدءاً بمرحلة الفهم للنص: كيف بنم؟ ثم مرحلة الاستنباط منه: كيف نفع؟ ثم مرحلة التحقيق للمناط: كيف ننزل أحوالها ومآلاتها بين العموم والخصوص؟ وما يعنري كل ذلك من تقديم وتأخير، أو امتثناء ونخصيص، للأدلة بعضها على بعض، وبعضها من بعض، إلى غير ذلك من سائر الأحوال، والممكنات الاستدلالية في الدرس الأصولي والمفاسدي.

ثم أيضاً الفواعد المفعدة لقوة التحقيق والتطبيق على الواقع الإنساني، رميزان أولوياتها على وزن قوة الحكم الشرعي، وإنما يكتسب فونه بمصدره ومآله، فليس ما شرع في القرآن - من حيث القوة التشريعية - على وزن ما اشتغلت السنة بشرعه، ولا ما شرع في السنة على وزن ما اشتغل الاجتهاد بشرعه، وليس ما أجمل في الكتاب كما فصل فيه. هذا ترتيب لا نكاد نحد له في أصول الفقه قواعد مفصلة إلا قليلاً، رغم أنه جارٍ في الاعتبار الفقهي لدى أغلب علماء الأمصار والجهتهدين الكبار.

وعدم اعتبار هذه المعاني الكلية، والترتيبات الاستدلالية، مما سبق ذكره إجمالاً؛ يؤدي إلى أحد علوئين: غلو في اعتبار القرآن بلا سنة، أو السنة بلا قرآن، أو غلو في اعتبار النصوص مطلقاً بلا فقه، ولا منهج معلوم، وإنما هي الفوضى في المنهج وفي التفكير.

كما أننا في حاجة - بعد ذلك - إلى تكميل قواعد تخفيق المناط بمعناه العام والخاص^(١)، وتطوير ذلك من مجال النفس إلى مجال المجتمع؛ ذلك أن كثيراً من التضارب بين العلماء والدعاة اليوم، في الفتاوى وفي رسم التوجهات الفقهية؛ يرجع في غالبه إلى غياب ما يمكن نسيمته بفقه (لتخفيق المناط الاجتماعي). وهو صناعة أصولية درج بعضهم على نسيمتها اليوم: (بفقه التنزيل). وهذا لا يزال في حاجة إلى تأصيل وتقعيد، وما صنف من هذا في التراث القديم هو فعلاً في حاجة إلى

(١) الموافقات: (٩٨/٤).

(تجديد) بعض نماذج، خاصة في مجال المعاملات والعادات؛ إذ فقه تخفيف المناط
 في مثل هذه الأمور مرتبط بطبيعة الزمان وأهله، بتغير بتغيرها، وقد تغير قعلاً منه
 الكثير الكثير، فلا يد من تجديد ذلك، على شروط العلم، وفواعد المنهج الأصولي.
 وأما تجديد مفاصد الشريعة من أصول الفقه؛ فهو - أولاً - بالصياغة المنهجية؛ لما
 يوجد منها متشوّراً في كتب الفقه وأصوله. ومعلوم أن من فعل ذلك من العلماء
 الأقدمين والمحدثين في الأمة قليل، فلا يذكر منهم غير الشاطبي في الأقدمين وسراج
 من المحدثين؛ كالشيخ الشافعي والإمام الطاهر ابن عاشور. فالفاهيم المفاصدية لا تزال
 ماثلة في كتب الأقدمين ليس فقط في الكتب المشتهرة بذلك كفواعد الأحكام للعلز
 ابن عبد السلام، كلا، وإنما في كتب الفقه مطلقاً وفي كل كتب الأصول، بل في
 كتب التفسير أيضاً وفقه الحديث، نحتاج إلى كشف أولاً، ثم إلى صياغة علمية
 منهجية على وزن الفواعد والأصول.

ويضاف إلى ذلك - ثانياً - ما دعت إليه الحاجة المعاصرة؛ من تفعيد الفواعد،
 بما يُقصد الشارع تفصيلاً شرعياً، في تفسير النصوص الكلية؛ لاستيعاب المفاهيم
 الجديدة للمصالح والمفاسد والخفوف، بما ينضبط إلى أحكام الشريعة.

والنفكير المفاصدي ضرورة من ضرورات البعثة، وأصل من أصول التجديد.
 فبغيره نبيه الأمة بين القواهر، بما قد يرفع شوكة الفكر الخارجني من جديد، أو
 يدخلها - بالضد - في مناهات التحليل الباطني، وبغنى الوسط بعينها عن لسان
 الميزان، رشيء من هذا وذاك - مع الأسف - هو حاصل! ولله عافية الأمور.

- الثالث: تجديد « أصول الفقه السياسي »: إن هذا الاصطلاح دالٌّ على مفهوم
 هو في الحقيقة من مفاهيم علم أصول الفقه بمعناه العام، لكننا أقرناه بالذكر هاهنا؛
 لجهل بعض الناس به؛ بل لإنكارهم إياه مطلقاً! ثم لما له من خطورة في بعثة
 التجديد. خاصة في زماننا هذا.

إن « أصول الفقه السياسي » أمر لازم بالضرورة عن فقه تخفيف المناط في أصول
 الفقه، وأمر لازم بالضرورة أيضاً عن فقه « اعتبار المال » في مفاصد الشريعة، كما

فرره الإمام الشاطبي^(١)، ثم هو - قبل هذا وذاك - ضرورة من ضرورات الاجتهاد المعاصر، لا يكون العالم اليوم مجتهداً بحق؛ إلا بتحصيل درجة الاجتهاد فيه.

- لكن لا بد من بيان أمر:

لقد فررنا في كتابنا «البيان الدعوي»، تأخّر الرتبة التسريعية للأحكام السياسية في الإسلام؛ بما يعني عدم مفتاحية الشأن السياسي دعوياً^(٢). فذلك أمر آخر تماماً، مختلف عما نحن فيه. إن ذلك يتعلق ببناء «البرنامج السياسي» في المجال الدعوي.

ونحن نفرق بين «البرنامج السياسي» و«أصول الفقه السياسي».

فالأول: فقه جزئي تطبيقي، والثاني: كليات وفواعل.

- بمعنى أن «البرنامج السياسي» ما هو إلا عنصر جزئي من عناصر «أصول الفقه السياسي»، كنسبة فقه المورث مثلاً إلى مجموع الفقه، بل إلى كل أصوله؛ ولذلك رأينا أن «البرنامج السياسي» - بما هو علم جزئي - ليس هو المفتاح الأساس لبعث التجديد الإسلامي، بل هو أمر مقصود بالتبع، وليس بالأصل في تجديد العمران الديني للمجتمع.

- أما الثاني - أعني فقه الكليات السياسية، أو أصول الفقه السياسي - فهو منهج معرفة سنن التحولات، وسنن التوقعات والمآلات، فيما يتعلق بتدبير شؤون المجتمعات، على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، وبهذا كان مصدراً من مصادر فقه الدعوة الإسلامية، ومن ظن أن العالم الإسلامي قطعة معزولة، أو بالأحرى بمكن عزلها عن السياسة الدولية؛ فهو ما يزال يعيش خارج التاريخ.

وبمثل هذه الأخطاء القائلة، في الفهم وفي المنهج؛ يتم استغلال بعض العلماء ونوظفهم - على جلاله قدرهم - والدفع ببعض الجماعات الإسلامية؛ بما يؤدي بها إلى الانتحار في نهاية المطاف، أو إلى زيادة تخزين مزيق الأمة؛ بما يؤخرها عشرات السنين إلى الوراء.

إن «أصول الفقه السياسي» ضرورة من ضرورات الاجتهاد اليوم، لا يجوز لعالم أن يصدى للإفتاء في الشأن الإسلامي العام، المرتبط بمصائر الشعوب الإسلامية، وأمنها

(٢) البيان الدعوي: (٥٤).

(١) الموافقات: (٤/١٩٤).

الإستراتيجي، المادي والمعنوي؛ إلا بنحصيل درجة الاجتهاد فيه. فلا بد إذن من إحكامه، وبناء فواعده، واستنباط مناهجه؛ لضمان تفكير فقهي سليم، يبنى ولا يهدم، ويرشد ولا بضلل.

إن أصول الفقه السياسي هو قواعد لفهم ما يجري في العالم، وقواعد لاستنباط ما يناسبه من أحكام وفتاوى، على موازين الكتاب والسنة، وأي فتوى تُنزلُ بغيره ولو على محلها فإنما هي رمية من غير رام، وإنما جاء الدين ليتنزل على رافع الناس، بما هو موصوف في الزمان والمكان، وأصول الفقه السياسي هو الكفيل بذلك الوصف، في مجال ندير الشأن العام.

ويمكن أن نستفري قواعده - زيادة على التراث الأصولي والمفاصدي - من فواعد العلوم السياسية والاقتصادية والإعلامية، فهذه ثلاثة مجالات، هي من الخطورة بحيث يُعتبر الخوض في محاولة بناء الأمة، وتجديد بعثتها من دون مراعاتها؛ ضرباً من المغامرة بمصرها، ونوعاً من المغامرة بوجودها، وقد نعلم شرعاً نحرّم كل عقد بني على الغرر والمغامرة.

وأخيراً، فإن تجديد العلم بتلك المواصفات؛ معناه تجديد العلماء؛ لأنهما متلازمان كتلازم الصفة مع الموصوف. فالعالم الفقيه حقاً إنما هو الذي بقدر ما يجتهد في استنباط الأحكام من النصوص، أو من عللها، أو حكمها؛ يجتهد أيضاً في تربية الجيل بها، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الزمان وأهله، على ما فرقناه في أصول الفقه السياسي، فذلك هو الإمام المنتصب، أو العالم الوارث، المبعوث للتجديد بإذن الله.



وبعد:

فماذا بقي لنا بعد هذا؟ بل ماذا بقي علينا؟

فبا صاحبي، ها قد علمت ما علمت، وها الكلمات قد نواترت عن الله جلّ علاه، وها البيانات قد جاءت كاملة عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك ما فيه من العلم بالدين، وبما نرتب عليّ وعليك من حقوق الله رب العالمين.

فماذا حففنا من مقام العبدية للعليل العظيم؟ وماذا حففنا من الوفاء لخالفنا الكريم؟ في زمان النمرود على الله والتكرار لحقوق الله! فكيف الحال بنا وها عهد الله وميثاقه الذي واثقنا به، وأشهدنا على أنفسنا به، ها هو ذا شاهد عليّ وعليك برسالات القرآن إلى يوم القيامة واجبات وأعمالاً، لا نكتمل عبادة العبد إلا بها. وقد نبين من خلال مسائل الفطرية أن واجبات المسلم التروية والدعوة في هذا العصر ثلاثة، نلخصها الآن نلخيصاً موجزاً، للتذكير والتيسير؛ فما بقي بعد العلم إلا العمل.

- أولاً: التزام « مجالس القرآن » بثلاثي آيات الرحمن، والتخلق بحقائق الإيمان.

- ثانياً: بلاغ رسالات الله بدعوة الناس إلى الله، وينكتل سواد « مجالس القرآن »، تأسيساً ونوسيقاً.

- ثالثاً: التزام الرباطات، بما فيها من التزامات أربعة، هي: شهود الصلوات والتمزام رباطاتها، ومداومة الأذكار، ومقاطعة آلهة العصر الأربعة، وأولها: الشركيات والحرافيات. وثانيها: المال الحرام بكل أصنافه. وثالثها: الزنى ومقدماته، ومظاهره، وأخصها العري الفاحش، والنظر الحرام. ورابعها: الخمر والخندرات.

وأما الالتزام الرابع والأخير فهو: إمساك اللسان عما لا خير فيه من الكلام.

وفد اختصرنا ذلك كله في العبارات المسكوكة التالية: (اغتنام المجالسات، ونبلغ الرسالات، والتزام الرباطات).

ولا تنس أن نعرض عملك هذا وغيره على أركان الفطرية السنّة، فهي موازين قرآنية لنمحيص الأعمال، وهي كما فصلناها من قبل:

١ - الإخلاص مجاهدةً.

٢ - الآخرة غايةً.

٣ - القرآن مدرسةً.

٤ - الريانة برنامجاً.

٥ - العلم طريفةً.

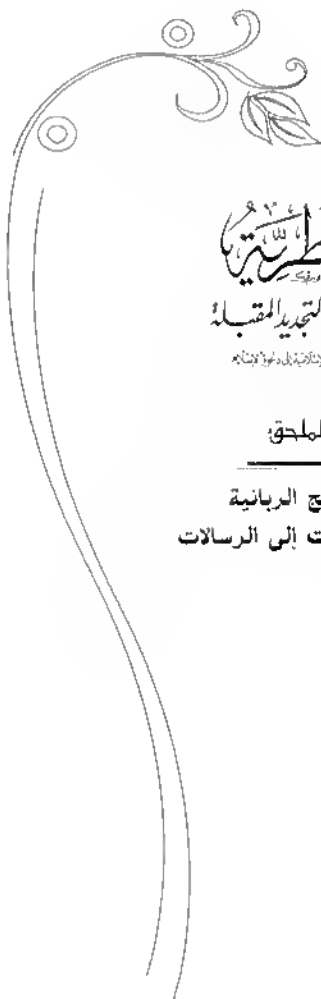
٦ - الحكمة صيغةً.

فذلك أصول دينية صحيحة، وفواعد تربوية ملبحة، عدّها با صاحبني عداً، وعُضّ عليها يتّواجدك عَضاً.

ذلك، وإنا الموفن من وفه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلّم نسليماً كثيراً.

وكتبه - بمكناسة الزيتون - عبد ربه، راجي عفوه وغفرانه، الفقير إلى رحمته ورضوانه: فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السجلماسي، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين. وفد وافق غمام تصنيفه يوم السبت: ٢٧ رجب: ١٤٢٨هـ، الموافق ل: ٢٠٠٧/٨/١١م.



الفطرية
بعثة التجديد المقبلة
من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإنسان

الملحق

برنامج الربانية
من الكلمات إلى الرسائل



« برنامج الربانية » مثلثك تربوي، يترجم جزءاً أساسياً من المفاسد التربوية للفطرية إلى الواقع العملي؛ إذ هو يرمي أساساً إلى تخريج الدعاة الذين بإمكانهم الاشتغال بالعمل الدعوي على المنهاج الفطري الذي أصلناه بهذا الكتاب؛ ومن هنا كان مدخله الأساس إنما هو نلفي رسالات القرآن المتعلقة بصفات « الربانية » بما هي إمامة دعوية بالدرجة الأولى كما سنرى بحول الله.

ولذلك فقد جعلناه منبئاً على نلفي مجموعة من الخفايا الإيمانية، المستخلصة من الآيات القرآنية والبيانات النبوية؛ التي نخدم الغرض المفصود، ذلك أن الدين في مجموعة إنما هو رسالة كلية شاملة، لا يستقيم الاشتغال به والدخول إلى فضائه - ديناً ودعوة - إلا من خلال نلفي خطابه الرسالي حفيضة، ولا يتم ذلك على - للمسنوي التربوي - إلا بالترقي المتدرج عبر مسالكه درجة درجة؛ وذلك بمدارسة خطابه، لرده إلى وحدانه وكلماته، وإنما وحدانه مجموعة من الرسائل، بعضها ينبي على بعض، وبعضها يجهد لبعض؛ ولذلك كان القرآن بهذا المعنى « رسالات »، هكذا بجمع المؤنث السالم. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَلِزُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَحْتَوُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى يَاللَّهُ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]. ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الأنعام: ٢٢، ٢٣].

ثم إن نلفي الرسائل لا يتم إلا بمدارسة خطاب كل رسالة على حدة، وردها - كما ذكرنا - إلى وحداتها التربوية ومكوناتها الانبلائية، وهي المسماة بالكلمات. فكل كلمة من كل رسالة تحمل ابتلاء عملياً تربوياً، لا يتم نلفيه والتحقق بحلقه وصفته المنهوية والخلفية، إلا بالعمل والمجاهدة، وهو معنى الابتلاء بالكلمات في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَيْنَأُ إِزْمِرَةً رَبِّي يَكْفُرُ فَأَنهَضَهُمْ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾

ولذلك كان هذا البرنامج ينطلق في نلقبه خُفائِق القرآن - عبر مدارجه التربوية - من الكلمات إلى الرسالات، وذلك هو مسلك القرآن في تخريج أئمة الهدى من الدعاة الحكماء؛ وهو معنى الربانية.

ومن هنا كان لنا أن نعرّف الربانية بأنها: مربية الإمامة في مجاهدة النفس بالقرآن، على الالتزام بحفائقه الإيمانية، والنخْلِ بِحِكْمَتِهِ الرحمانية؛ إخلاصاً لله أولاً؛ حتى نفنى في دعوتها عن كل حظوظها، فلا يقوم شيء منها إلا لله وبه، ثم شهادة بذلك على الناس، نربة ودعوة، ثم صيرًا واحتسابًا.

ولنا أن ندرس خفائِق هذا التعريف - بشواهد القرآن - من خلال العناصر التالية:

١ - الربانية نوحيد، وإخلاص لله وحده، ونجود من كل حول علمي، ومن كل قوة مادية، وكل جاه اجتماعي أو سياسي، ونبرؤ من الشرك والشركاء. والاستمداد فيها إنما هو من الله، ومن الله وحده، فهي مدرسة لإقامة الدين لله، على موازين الفطرة الخالصة، ومجاهدة دائمة للنفس؛ أن تنحرف عن فصد التبعّد الخالص في الدين والدعوة، فتزيع بها الأهواء إلى مراعاة الحظوظ الحسبية، من شهوات الشهرة، ومفانئ المال والأعمال، ومراتب المناصب والألقاب، وغير ذلك من الخلوام المهلكة للدين والدعوة جميعًا.

فإنما الربانية هي الدعاة إمامة نربوية شاملة، لا يحوز أن نخرج أبدًا عن قَلْب ﴿إِنَّا لَنَعْبُدُ وَإِنَّا لَكَنَّا سَمْعِينَ﴾ [الأنعام: ١٠] ولذلك فهي لا نفهم إلا لله، ولا نستقيم إلا به بجلّ علّاه، بعلمنا ودعوتنا. فأول مدارجها تحقيق العبدية الكاملة لله، ونجريد القلب من سائر الأغيار والآكدار، والنخْلِ بِأَخْلَاقِ القرآن الخالصة لله الواحد الفهاري؛ ولذلك كان مأخذها من كتاب الله، نعلمنا ونعلمنا وندارسًا وتركية، فهي مسلك تعليمي نربوي مأمور به شرعًا؛ لرعاية حُفُوفِ الله، وحفظ خفائِقِ الإيمان في الناس. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَاسِرَ أَنْ يُؤَيِّنَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْشُّرُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي فِي دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ سَمْعِينَ يَمُوتُونَ وَالْحُكْمَ وَالْشُّرُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي فِي دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ سَمْعِينَ يَمُوتُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

٢ - الربانية أمانة، فالربانيون هم الأمانة على وظائف النبوة، المستحفظون على

كما دُتِّجَ شَيْخُ المفاصد الإمام أبو إسحاق الشاطبي، كلامًا نفيًا في بيان رتبة الإمامة في التحقق بالمعاني الشرعية، وجَكيَّهَا التَّربية، لتخريج العالم الرباني، فقال يَرْفَعُهُ في تعريفه: «إِنَّهُ الَّذِي يَتَحَقَّقُ بِالْمَعَانِي الشَّرْعِيَّةِ مُتَزَكِّةً عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ الْقَرْعِيَّةِ، بِحَبْثٍ لَا يَصُدُّهُ التَّبَحُّرُ فِي الْإِسْتِصَارِ بِطَرَفٍ؛ عَنِ التَّبَحُّرِ فِي الْإِسْتِصَارِ بِالطَّرَفِ الْآخَرِ، فَلَا هُوَ يَخْرِي عَلَى غُفُومٍ وَاجِدٍ مِنْهُمَا دُونَ أَنْ يَفْرُضَهُ عَلَى الْآخَرِ، ثُمَّ يَأْتِيَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى تَنْزِيلٍ مَا نَلْخُصُّ لَهُ عَلَى مَا يَلِيْقُ فِي أَعْمَالِ الْمُكَلِّفِينَ (...)» وَيُسَمَّى صَاحِبَ هَذِهِ الْمَرْيَةِ: الرُّبَانِي، وَالْحَكِيم، وَالرَّابِعُ فِي الْعِلْمِ، وَالْعَالِم، وَالْقَبِيَّة، وَالْعَاقِل؛ لِأَنَّهُ يُرَبِّي بِصِفَاتِ الْعِلْمِ قَبْلَ كَيْتَارِهِ، وَيُزَوِّقُ كُلَّ أَحَدٍ حَقَّهُ حَسَبِ مَا يَلِيْقُ بِهِ وَقَدْ تَحَقَّقَ بِالْعِلْمِ وَضَارَ لَهُ كَالْوَضْعِ الْجَيَّوْلِ عَلَيْهِ، وَقِيَمَ عِنَ اللَّهِ مُرَادُهُ. وَمِنْ خَاصَّتِهِ أَنْزَابٌ، أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِحَبِيبِ الشَّائِلِ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ فِي حَالِيهِ عَلَى الْخُصُوصِ، إِنْ كَانَ لَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ حُكْمٌ خَاصٌّ (...)» وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَأَخَّرَ فِي الْمَالَاتِ قَبْلَ الْجَوَابِ عَنِ الشُّؤْلَاتِ (١).

وبرنامِجنا هذا وإن لم يطمح - بطبيعته - إلى تخريج الربانية العلمية، على وزن ما فرره هؤلاء الأئمة الأعلام، فعسى ألا يفصر عن إخراج الربانية التَّربية أو الدَّعوية، ثم عسى أن يكون - بذلك - مدخلًا للربانية العلمية والإمامة الكاملة في الدين. ذلك، وإنما الموفق من وفقه الله. ولا حول ولا قوة إلا به وحده جلَّ علاه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.



الرسالة الأولى

في الإخلاص

وفيه مسائلان:

المسألة الأولى: في بيان أن الغاية من الدين إنما هي تحقيق صفة الغيبيّة الخالصة لله، والتعرف إليه تعالى بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، والتغريب إليه رغبنا ورهبنا؛ للنجاة من العذاب المقيم والفوز بخلود النعيم. وأن المؤمن الحق بهذا الدين - بلّه الداعية إليه - إنسانٌ أخروي بالفصد الأول، فالمصير الأخروي هو الموجه له في كل عمله في الدين والدعوة جميعًا. لا يخرج عن ذلك أبدًا.

المسألة الثانية: هي أنه لا يتم له ذلك إلا بالنبرؤ من الشرّوكيات والخزافيات، وهي المعتقادات الباطلة، التي نخرم لإخلاص الدين لله، ونعكر صفاء التوحيد، والتي ما نزال نعم بها البلوى بين كثير من الناس اليوم، خاصتهم وعامتهم، فنخرم لإخلاصهم، ونشوّه فطرتهم، ونخرب دينهم، عقيدهً وعملاً.

والبراءة منها نكون بعدم اعتقاد تأثير أحد غير الله في الكون وسائر الخلائق، نفعا أو ضرا، ثم عدم التوجه إلى أحد سواه بالاستغاثة والدعاء رغبنا أو رهبنا، وذلك هو الإخلاص الذي أمرنا الله ورسوله ﷺ باعتقاده، ومجاهدة النفس للتخلف بمقتضياته العملية والخلفية، وهو الحفظة الإيمانية العظمى التي يجب أن نكون سارية في دين المسلم كله، عقيدهً وشرعاً، كسريان الروح في الجسد، وذلك هو أساس معنى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والتي عليها مدار دعوة الإسلام.

وبتحقق ذلك بإفراد الله ﷻ بما نفتضيه ربوبيته تعالى، وعدم الإشراك به في أي

مُسَبَّحَةً أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧٦﴾
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَسْتَكْبِرْ تَسْجِطْهُمُ إِلَيْنَا جَمِيعًا ﴿١٧٧﴾ [النساء: ١٧٦، ١٧٧].

الكلمات السادسة: ﴿فَلْيُادْعُوا الَّذِينَ وَعَدْتُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَلَا يَمْلِكُونَ كَنْفَ الضُّمْرِ
عَنْكُمْ وَلَا تَحْزِينًا﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

الكلمات السابعة: ﴿نَتَّبِعُ الْكِتَابَ مِنْ أَتَى الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ١-٣].
الكلمات الثامنة: ﴿وَمَا أَمْرًا إِلَّا يَعْزُدُوا اللَّهَ عِزًّا لَهُ الدِّينُ خُتَمًا وَيُخْبِتُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ١٠].

الكلمات التاسعة: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَكُنْتُ نَسِيًّا وَنَحْبَايَ وَمَنَافِي اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿لَا
سَرِيكَ لَمْ يَمْلِكْ أَمْرًا وَأَنَا أَوْلَى السَّالِبِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الكلمات العاشرة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُجِيَ عَنْ النَّكْرِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الكلمات الحادية عشرة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا
زَلَّ مِنْ لَدُنْهِ وَلَا يُكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلَ فَلَمَّا عَلِمُوا أَلَّا يَكُونُوا أُولِي
رَيْبٍ مِنْهُمْ فَهَيَّوْا ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَرْضُ بِمَدُونِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّعِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُؤْمِنَاتِ
كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
وَلَوْ رُفِعَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿اعْلَمُوا أَنَّ الْخَبِيرَ
الدُّنْيَا لَيْسَ بِأَمْرٍ وَهُوَ وَرَبُّهُ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ كَمَثَلِ غَيْبِ الْعَجَبِ
الْكُفَّارِ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُ اللَّهُ مَقْصَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُلُمًا رَفِي الْأَخْرَجَ عَذَابَ مُبْدِيٍّ وَمُعَفِّرٍ وَنَ
اللَّهُ وَرِضُونَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحَقِيقَةٍ
عَرَضَتْهَا كَرَمِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَسَاءُ وَلِلَّهِ ذُو الْقُفُلِ الْمَطْبُورِ ﴿١٦﴾ (الحديد: ١٦ - ٢١).

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
فُهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوُّجُهَا فُهِجْرَتُهُ إِلَى
مَا خَاجَرَ إِلَيْهِ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ
مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا
أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرُوكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَسْرَلَهُ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي نَزَعَتْهُ وَشُرَكَهُ » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « خَيْرُ
الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ غَرْفَةٍ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ^(٤).

البيان الخامس: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (قَامَ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: « إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَنَامُ، وَلَا يَبْتَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، بَخْبُضِ الْبُخْطِ
وَيَرْفَعُهُ يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ
النُّورُ، لَوْ كَسَفَهُ لَأُخْرِجَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْفِهِ » ^(٥).

البيان السادس: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: « قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَصْبِرٍ، فَقَامَ
وَقَدْ أَتَرَفِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ اتَّخَذْنَا لَكَ وَحَاءً؟ فَقَالَ: « مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي
الدُّنْيَا إِلَّا كَوَاجِبِ اسْتَنْطَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَنَدَّ كَهَا » ^(٦).

(١) متفق عليه.

(٢) رَوَاهُ السَّائِي، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِي فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مَرْفُوعًا وَمَالِكٌ مَرْسَلًا. وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِي فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٦) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ وَالحَاكِمُ وَالضَّيَّاءُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: « هَذَا حَدِيثٌ خَشَنٌ =

البيان السابع: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «أَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِرٌ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتُ فَلَا تَنْظُرُ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتُ فَلَا تَنْظُرُ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صَاحِبِكَ لِمَرْضَتِكَ، وَمِنْ خَبَاتِكَ لِمَوْلِكَ» ^(١).

الرسالة الثانية

في الوعد

رأت القسامة تهب الأرض إذا بلغ مرحلة العلم « القوليم » ، استلينا ،
 واستضئنا للمسلمين وتدريباً لهم ، وتنبأنا لصفتهم ، نزلت علامة
 على أن رحمة الله ستأت المؤمنين ، إذا هم تصكروا بالصبر واستجابوا
 لشروط الصلاح ، وعلى رأسها اضلصت العيادة لله الواحد الفيهار . فأتينا
 ورائض الأرض لعباد الله الصالحين .

الكلمات

الكلمات الأولى: ﴿ طسدة ﴾ نَاكَ لَكَبُ الْبَيْنِ ﴿ نَلُوا عَلَّكَ مِنْ بَا
 مَوْسَى وَفَرَعُونَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا
 سِبْغًا بِسَضْعِطٍ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يُدْعِي بَنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي سَاءَهُمْ إِنَّكَ كَانَتْ مِنْ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
 وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ وَنَمُنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهُمَّنَّ وَجُودُهُمَا مِنْهُمْ
 مَا كَانُوا بِحُدُودِكَ ﴿ [التمس: ١ - ٦] .

الكلمات الثانية: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعُوا الصَّلَاةَ لِيَسْخَطَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسْجُنَ لَهُمْ فِيهِمُ الذُّبُورُ قُمْ وَلَيَبْزُقَنَّهُمْ مِنْ
 بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا بَعْدُ فَنَنْبَأُ لَا بَشَرِيكَ لِي شَبَّأٌ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَدَّعَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البور: ٥٥ - ٥٧] .

الكلمات الثالثة: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنُهَا
عِبَادِي الصَّالِحِينَ ﴾ [١٠٠: ١٠٦].
الكلمات الرابعة: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْغَرَسِينَ ﴾ [١٧١: ١٧٢].
جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِيُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٢].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « هَلَكَ بِكَرْهِي ثُمَّ لَا يُكُونُ
بِكَرْهِي بَغْدَةٌ، وَفِيضَرُّ لِيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يُكُونُ فَيُضَرُّ بَغْدَةٌ، وَلْتَقَسَّمُنْ كُتُورُهُمَا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ » (١).

البيان الثاني: عَنْ تَيْمِيمِ الدَّارِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: « لَيُتْلَعَنَّ هَذَا
الْأَعْرُضُ مَا بَلَغَ اللَّبْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكْ اللَّهُ بَيْتَ عَذْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، يَعْزُّ
عَزِيزٍ أَوْ يَذُلُّ ذَلِيلٍ، عَزًّا يَعْزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يَذُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ » وَكَانَ تَيْمِيمُ
الدَّارِيِّ يَقُولُ: « قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ
وَالشُّرُفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ كَافِرُوا الدُّلِّ وَالصُّغَارُ وَالْجَوْنَةُ » (٢).

(١) مراده مسلم.

(٢) رواه أحمد، والبيهقي، والحاكم، والطبراني، وابن حبان. وقال الشيخ شبيب الأرناؤوط في تعليقه
على المستند: « صحيح على شرط مسلم ». كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

الرسالة الثالثة

في واجب الوقت

وأتى نبليغ الرسائل والفاء البيانات، ثم زمن الفن والضمادات،
 بمن أوجب الواجبات، وأنه لا نفاذ لمن نفلن ذلك به شيء إلا بإذنه،
 وأتى ذلك ضرب من ضرب الدينار بهذا المعنى.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿وَاسْتَعِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَكٍّ حَفِرُوا مِنَ النَّارِ فَانقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ولكنكم ينكم أنتم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]

الكلمات الثانية: ﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ جُعِلَ مِنِّي اللَّهُ أَحَدٌ وَلَنْ أُجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً. وَمَن يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾

[المكن: ٢٢، ٢٣]

الكلمات الثالثة: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ كَذِبٌ ﴿٣﴾ وَيَا أَيُّهَا نَظِيرُ ﴿٤﴾ وَالْأَجْرُ أَتَاهُ ﴿٥﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ تُسْكِنُكُمُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر: ١ - ٧]

الكلمات الرابعة: ﴿ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ إِلَّا اللَّهُ

وَكَفَى بِاللَّهِ حَبِيبًا ﴿١٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١١﴾ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَبِيرًا ﴿١٢﴾ وَسَيَعْلَمُ بَكْرًا
وَأَصْلًا ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي بَصَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَلَّيْكُمْ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿١٤﴾ نَجَّيْنَاهُمْ يَوْمَ بَلْقَوْمِهِ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿١٥﴾ بَيَّنَّا الشَّيْءَ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٦﴾ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّبِينًا ﴿١٧﴾ وَنِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ وَلَا تَطْعَمَ الْكُفْرَيْنَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّ أَذْهَنَهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٩﴾ (الأحزاب: ٣٩ - ٤٨).

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ حَدِيثِهِ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،
لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكُنَّ اللَّهُ أَنْ يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ
تُدْعَوْنَ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ » (١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،
وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (٢).

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَسَنٌ. وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ أَيْضًا فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الرسالة الرابعة

في المنهاج

رأت منابر « الريانية » الصفة أساس البرامة العربية، وأنت ترقم
نماذج المعلم المسلم بغير هذا المصلي ضرب من القريب.
الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُ بُيُوتَهُمْ فَأَتَيْنَهُمْ قَالُوا إِنِّي جَاءَكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالُوا وَمِنْ دِينِنَا قَالُوا لَا يَنْتَهِى عَنْهُمْ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٢].

الكلمات الثانية: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ ﴿ أَنَاذَرُونَ
النَّاسَ بِالْآيَةِ وَتَسْأَلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتُمُونَ أَلَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَاسْتَمِعُوا وَأَصْبِرْ
وَالصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةً إِلَّا عَلَى الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَطَّوَّنُ أَهُمْ مُكْمَلُونَ مِنْهُمْ وَأَنْتُمْ إِلَى
رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٣ - ١٦].

الكلمات الثالثة: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَيْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ
رُكْعًا سَجِدًا يَتَّخِذُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَبِيحًا فِي دُجَاهِهِمْ مِنْ أَمْرِ الشُّعْبَةِ ذَلِكَ
مَنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَمَنْهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجْ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَأَزْرَقُوا فَاسْتَقْلَطُوا فَاسْتَوَى عَلَى
سُوفِهِ، بَعِثَ الرُّسُلَ لِيُعْطَى يَوْمَ الْكُفَّارِ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [التح: ٢٩].

الكلمات الرابعة: ﴿ أَمِنْ هُوَ قَتَبَتْ مَائِدَةَ الْإِلَى سَاجِدًا وَقَامًا بَعْدَ الْآخِرَةِ وَرَجُوا
رَحْمَةً رَبِّهِمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمُومُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ قُلْ

بِعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ
إِنَّا بَرُّوهُمُ الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ
لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَصَدُّ
مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ مَا عْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ خَاشَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
الْإِغْتِبَاءِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْفَسَادُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَمْ يَنْ يَنْ قَوْمَهُمْ ظُلُمٌ مِّنَ الظُّلُمِ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَعْبَهُمْ ظُلُمٌ ذَلِكَ
يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُمُ بَلِ إِذْ هُمْ فَاتَعَرَّفُوا ﴿١٦﴾ (الزمر: ١ - ١٦) -

الكلمات الخامسة: ﴿يَتَأْتِيَ الْكَذِبُ﴾ ﴿فَرَأَيْتَ لَآ قِيْلًا﴾ ﴿بُغْيَافَهُ لَوْ أَنْفَسَ مِنْهُ
قِيْلًا﴾ ﴿أَوْ ذُو عِلْبٍ وَرَبِّهِ الْفَرَّانَ رَبَّنَا﴾ ﴿إِنَّا سَلَّمُنَا عَلَىكَ قَوْلًا نَّبِيْلًا﴾ ﴿إِنَّا نَكْبِتُكَ الْبَلَّ
بِهِ أَشَدُّ وَطَقًا وَقَوْمٌ قِيْلًا﴾ ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَمْعًا طَوِيْلًا﴾ ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَغِي إِلَيْهِ
نَبِيْلًا﴾ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْجِدْهُ وَكَيْلًا﴾ ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ
وَأَهْلُجْهُمْ هَمَجًا جِيْلًا﴾ ﴿وَدَرْنِي وَالْكَذِبِينَ أَوَّلَ النَّعْمَةِ وَمَهْلُجٌ قِيْلًا﴾ ﴿إِنَّا لَدَبْنَا أَنْكَالًا
وَجَبِيْلًا﴾ ﴿وَعَلَمَا دَا غُصْنَةً وَعَدَلًا أَيْسًا﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا
مُهْبِلًا﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿فَصْنَعِ
فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْتَهُ أَخْذًا رَوِيْلًا﴾ ﴿فَكَفَّكَ نَسْعَوْنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ
شِجَابًا﴾ ﴿أَلَسَمَاءُ مُنْقَطِعَاتُ بَرْءٍ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اخْذُ
إِلَى رَبِّهِ سَبِيْلًا﴾ (الزلزل: ١ - ١٩) -

الكلمات السادسة: ﴿أَتَأْتِيكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبُيُوتِ مِنْ دُورِهِمْ مَادَمَ وَيَمَنَ
حَمَلًا مَعَ شَيْءٍ مِنْ دِينِهِمْ وَلِيَسْتَعِزَّ بِهِ وَلِيَمَنَّ هَدْيًا وَلِيَسْتَنْبِئًا﴾ ﴿إِنَّا نُنْفِئُ عَنْكَ الْبَلَّ الرَّحْمَنِ
خَرُوجًا سَبِيْلًا وَكَيْلًا﴾ ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ
فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يَبْطَلُونَ
سَبِيْلًا﴾ (مرجم: ٥٨ - ٦٠) -

الكلمات السابعة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْسُوْهُ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيْلًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمَقَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَعُوا لَمْ يَنْفَعُوا وَلَمْ يَضُرُّوْا وَكَانَ بَيْنَهُمْ ذَلِكَ قَوْمًا﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقُولُونَ النُّفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٠﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ بِمَا فَعَلَ الْفَاسِقُ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهْكَمًا ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَثُوا نَالُوا بِإِلْفٍ مِثْرًا كِرَامًا ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِتَابِ اللَّهِ رَزِيقًا لَمْ يَحْزِنُوا عَلَيْهَا صُغَا وَعُمَاكَا ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرْقَةً أَغْنِبْ وَارْتَعَلْنَا لِلسَّعْيِ إِيمَانًا ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ سَا صَبْرًا وَيُقْفَرُونَ فِيهَا حَبَّةً وَسَلَامًا ﴿١٧﴾ خَلِيلِيكَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٨﴾ قُلْ مَا بَسْبُؤًا يَكُ رِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَكَاةٍ ﴿١٩﴾ [الفرقان: ٦٢ - ٧٧].

الكلمات الثامنة: ﴿إِنَّمَا يَرْجِئُ تَابَنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ لَنَجَافَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١١﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦].

الكلمات التاسعة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ [الأحزاب: ٢ - ١١].

الكلمات العاشرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ النَّفْعِ مُتَبِعُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزُّكْرِ يَتَّبِعُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوحِهِمْ خَانِعُونَ ﴿١٤﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٥﴾ فَمَنْ آتَقَىٰ وَرَأَىٰ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٠﴾ [التين: ١ - ١١].

الكلمات الحادية عشرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُنْفِقُونَ﴾ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَتَابِعُونَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُكْرَهُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوُا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ

أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاعِدُونَ ﴿١١﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].
بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنَزَلَ، أَلَا إِنَّ بِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ بِلْعَةَ اللَّهِ الْجُنَّةُ» ^(١).
البيان الثاني: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ! وَمَا نَقَرْتُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّاقِلِ حَتَّى أَجِيَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ مَسْمُوعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَيَتَصَرَّهَ الَّذِي يُصَرِّ بِهِ، وَبَدَأَ النَّبِيُّ يَنْطَشُ بِهَا، وَرَجُلُهُ النَّبِيُّ يَجْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَهُ، وَلَنْ أَسْتَعَاذَنِي لِأُعْذِنَهُ» ^(٢).

• • •

(١) رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري.

الرسالة الخامسة

في مفهوم « الزَّائِنِيَّةِ »

دأت « الريانية » معنى قريباً^(١) كُلِّيٍّ، مصطلحاً دعويّاً^(٢) شعريّاً، يَهْفُئُ بين دلالتين: الأولى: هي الزَّائِنِيَّةُ التي الرِّبِّيَّةُ سبحانه، بتربية الفلج على ترحيم الله دُفْرِيَّةً، حُشْبَةً دُفْرَعًا دُفْعَةً، ومجاهدةً للنفس في سبيله، بتغلبها من باطن البصر، وذلك هو « العلمُ بالله ». والثانية: هي الانسحاب إلى الزَّائِنِ - بفتح الزاء، ضمها - وهو نائد السَّعْبَةِ^(٣)، وهو معنى الإمامة الدَّعْوِيَّة. ولا يَكُونُ ذلك الله بالتغفُّه في الدين أَهْلًا نَا رَبَّكُنَا. وهو معنى « العلمُ بالله ». وبذلك يَكُونُ الزَّائِنِ: هو العالم السَّاعِي العَظِيم، الذي يربِّي بصفاء العلم نبل كِبَارِهِ. ولا يَكُونُ كذلك الله إذا كَانَتْ حَامِلًا للمعنيين، أَيْ: « عَالِمًا بِاللَّهِ، عَالِمًا بِالله ». وهو معنى « الإمام ». ثم أتت هنا وذلك لئلا يَكُونُ الله بالسَّعْبَةِ في ابتلاء ابنه الفَلَجُ بِكَلْبَاتِ اللَّهِ، والاستهادية الصَّابِرَةِ لِإِشْرَاقِهِ، تَوَلَّى دَعْمَهُ، وهو ينهل - أول ما ينهل - في صلاة العبد دُفْرَعَهُ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوَسِّعَهُ اللَّهُ أَتِكَتَبَ وَالْعُكْمُ وَالشَّيْرُ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا لِلْكَفَّةِ وَالَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِأَمْرِهِمْ

(١) الزَّائِنُ بفتح الزاء، وقوله: الأنصَح ضمها، لسان العرب: مادة « زين ».

يَا كُفْرًا بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَّا آمَنَّا بَكُمْ مِنْ كُفْرٍ
وَجَعَلَكُمْ نُسْرًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ. وَلَتَنْصَرُنَّهُ قَالَ هَافِرَرْتُمْ
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ
تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٢].

الكلمات الثانية: ﴿ وَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْعَوْنَ فِي الْآلَةِ وَالْعَدْوَىٰ وَأَصْلَهُمُ الشَّعْبُ
لَيْسَ مَا كَانُوا بِمَكُونٍ ﴾ لَوْلَا بَيْنُهُمُ الرِّبُونُ وَالْأَحْيَارُ عَنْ قَوْلِهِ الْإِنَّمَا وَأَعْلَاهُ
الشَّعْبُ لَيْسَ مَا كَانُوا بِمَكُونٍ ﴿ (المائدة: ٦٢، ٦٣).

الكلمات الثالثة: ﴿ وَبَرَكَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ هَبْ لَكَ بِاللَّهِ وَلَوْ رَمَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوَى الْعَذَابُ أَنَّ الْعَوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَإِنَّ اللَّهَ سَكِينٌ الْعَذَابِ ﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَزَادُوا
الْعَذَابَ وَتَقَلَّبَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَغْلَابَهُمْ حَسَرَتْ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْ
النَّارِ ﴾ [الفرقة: ١٦٥ - ١٦٧].

الكلمات الرابعة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَخْلًا مِمَّا
تَبَرَّأَ مِنَ الْوَيْلِ وَمِنْ الْحَبَالِ جُدَدٌ بَضُّ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمَا وَعَرَبٌ سَوْدٌ ﴾ وَمِنْ
النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يُخَفِّئُ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ الْعِلْمَ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿ لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ
وَرِيبَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ غَفُورٌ شَاكِرُونَ ﴿ [طه: ٢٧ - ٣٠].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَنُحْصِيَ بِنَصْرِهِ إِلَى السَّيَاءِ، ثُمَّ قَالَ: « هَذَا أَوَّلُ مَنْ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا
يَقْبَلُوا مَعَهُ عَلَى شَيْءٍ » فَقَالَ زَيْدُ بْنُ لَيْبٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِمَّا وَقَدْ قَرَأْنَا
الْقُرْآنَ؟ قَوْلَهُ لِنَفَرَاتِهِ وَلِنَفَرَاتِهِ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا. فَقَالَ: « تُكَلِّفُكَ أَمَلُكَ يَا زَيْدُ إِنْ كُنْتُ
لَأُعَذِّبَكَ مِنْ فَنَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التُّرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي
عَنْهُمْ؟ » قَالَ حَبِيزٌ: فَلَقِيتُ غِيَاثَ بْنِ الصَّامِتِ فَلَمَّا لَا نَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَحْوَكُ

أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ. قَالَ: صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ بَيَّنَّتْ لَأَخَذْتُكَ بِأَرْبَلِ عِلْمٍ يُزْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الْخُشُوعُ، يُوسِيكَ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَزَيَّ فِيهِ رَجُلًا خَائِبًا» (١).

وقال سفيان بن عيينة: «كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله يخشى الله، ليس بعالم بأمر الله، وعالم بالله عالم بأمر الله يخشى الله، فذاك العالم الكامل. وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، لا يخشى الله، فذلك العالم الفاجر» (٢). وأخرج البخاري في صحيحه - تعليقا - عن ابن عباس (رضي الله عنه)، قال: «كوتوا رياتين»: حلماء ففهاء. ويقال: الرياني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره» (٣).

البيان الثاني: وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إِنْ أَوَّلَ مَا يَخَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ ضَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْقَضَ مِنْ قَرْبَضِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ نَعَالِي: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَبِكَمَلٍ مِنْهَا مَا انْقَضَ مِنَ الْقَرْبَضَةِ، ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذَا» (٤).

(١) رواه الترمذي، والحاكم عن أبي الدرداء. رصحه الألباني في صحيح سنن الترمذي. ورواه أحمد، والنسائي والدارمي والحاكم أيضا عن عوف بن مالك الأشجعي. وقال الشيخ شعب الأرنؤوط في تحقيقه على المستدرك: «حديث صحيح، وهذا إسناد قوي».

(٢) رواه الدارمي في سننه والبيهقي في شعبه وأبو نعيم في الحلية.

(٣) كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

قال ابن القيم بكثرة: (جهاد النفس أربع مراتب (...)).

إحداها: أن يجاهدنا على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومنى قائمها علمته شقيت في الدارين. الثانية: أن يجاهدنا على العمل به بعد علمه، ولا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم يقعها. الثالثة: أن يجاهدنا على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبيانات ولا ينفعه علمه ولا يجنبه من عذاب الله. الرابعة: أن يجاهدنا على الصبر على مشاتت الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرياتين. فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى رياتا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عقيقا في ملكوت السموات (زاد اعتماد لابن القيم: (١٠/٣)).

(٤) رواه النسائي، وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن غريب. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

البيان الثالث: وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يُحاسَبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صلَّحتْ صلَّحَ له سائرُ عمله، وإنْ فسدتْ فُسدَ سائرُ عمله» ^(١).

البيان الرابع: عن رفاعه بن رافع قال: «بينما رسول الله ﷺ جالسٌ ونحنُ حولُه؛ إذ دخلَ رجلٌ فأثنى الأئمةَ فضلي، فلما قضى صلاتَه جاءَ فسلمَ على رسول الله ﷺ وعلى القومِ، فقالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «عليك، اذهبْ فصلِّ فإنَّك لمْ تَصَلِّ». فذهبتْ فضلي، فجعلَ رسول الله ﷺ يؤمُّنُ صلاتَه، ولا يذري ما يعبثُ مِنها، فلما قضى صلاتَه جاءَ فسلمَ على رسول الله ﷺ وعلى القومِ، فقالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «وعَلَيْكَ، اذهبْ فصلِّ، فإنَّك لمْ تَصَلِّ فأعادها مرَّتَيْنِ أو ثلاثاً»، فقالَ الرجلُ: يا رسولَ الله، ما عبثَ مِن صلاتي؟ فقالَ رسول الله ﷺ: «إنَّها لمْ تَبِمِ صلاةٌ أُخبرَكمُ حتَّى يُسَبِّحَ الرُّضْوَةُ كَمَا أَمَرَ الله ﻻ، فبغسلِ وَجْهِهِ وَتَذْبِيهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَتَمْسِخِ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يَكْبِرُ اللهُ ﻻ، وَيُحَمِّدُهُ وَيُجَلِّدُهُ، وَيَقْرَأُ مَا تَبَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ بِمَا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَيَرْكَعُ حتَّى تَطْمَئِنَّ مَقَابِلُهُ وَتَسْتَوِجِي، ثُمَّ يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ يَسْتَوِي فَأَيْمًا حتَّى يُقِيمَ صَلَاتَهُ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَيَسْجُدُ حتَّى يَمْكُنَ وَجْهَهُ، حتَّى تَطْمَئِنَّ مَقَابِلُهُ وَتَسْتَوِجِي، وَيَكْبِرُ فَيَرْفَعُ حتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِدًا عَلَى مَقْعَدَيْهِ وَيُقِيمُ صَلَاتَهُ، ثُمَّ يَكْبِرُ فَيَسْجُدُ حتَّى يَمْكُنَ وَجْهَهُ وَتَسْتَوِجِي. فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ هَكَذَا لَمْ يُقِيمِ صَلَاتَهُ» ^(٢).

(١) رواه الطيالسي، والضياء، عن أنس. وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه أحمد، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الرسالة السادسة

في بيوت الله

رأت المساجد هي صفرة العروج إلى الله، رفقات الدعوة إلى الله،
رأت الرباط بها نعلنا من علمائها ونعلينا لسيماها، رهاظا على أداء
الصلوات بهما عانها، يذرت القلب بالله، روصله بنوره على عمله، ربنر
الصلح في كل نظام، ويرصل الدعوة إلى كل البقاع. فالمساجد هي
مصرات الهدى ونطير الإسلام، منها ينظرون العالم برعي كل خير.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِ كَيْسَكُوفٍ فِيهَا مَضِيحٌ
الْمَضِيحُ فِي زَجَاجٍ الزَّجَاجُ كَانَتْ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ يُوَفِّدُ مِنْ شَجَرٍ مُبْتَرِكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفَبَرٍ
وَلَا غَرْبَبَرٍ بَكَادُ زَيْتَا بُسْبُيٍّ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
بَنَاهُ وَمُضَرِبٌ اللَّهُ الْأَمْتَلُ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فِي بَيْتٍ إِذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ بَسْبُيٍّ لَهُ فِيهَا بِالْمُتَدَوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٢﴾ بِحَالٍ لَا لِيهِمْ بَحْرَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِنَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَغَلَّبُ فِيهِ الْقَارِبُ وَالْأَبْصَرُ ﴿٣﴾
يُجْزِيهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَرْبِّدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ بِزُرْقٍ مَنْ بَنَاهُ يَغَيِّرُ حِسَابَ ﴿٤﴾

[المرآة: ٣٥ - ٣٨]

الكلمات الثانية: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿١﴾ قَرِيبًا هَدَى وَبَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ
إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢﴾ يَبْقَى تَأْتِي

حُدُوا وَبَيِّنُوا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢١١﴾
[الأعراف: ٣١ - ٣٢]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَنْ سَرَفَ أَنْ يُلْفَى اللَّهُ غَدَاً مُشْبِلًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يَتَذَكَّرُ بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم سِتْرَ الْهَذَى، وَإِذَا بَدَأَ مِنْ سِتْرِ الْهَذَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَنَزَعْتُمْ سِتْرَهُ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ نَزَعْتُمْ سِتْرَهُ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَتَوَكَّلُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ؛ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحْطُ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَتَلُومٌ الْفُتَّافُ! وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ! » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُتَأَقِّقِينَ صَلَاةَ الْبُشَاءِ وَصَلَاةَ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ خَبُوا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَتُطْلَقَ مِنِّي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ خُزْمٌ مِنْ خُطْبٍ؛ إِلَى قَوْمٍ لَا يَنْهَضُونَ الصَّلَاةَ فَأُخْرِقَ عَلَيْهِمْ نِيرَانُهُمْ بِالنَّارِ » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا تَمْنَحُو اللَّهَ بِهِ الْخَطَايَا وَتَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِشْبَاحُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُوهَا الْحَقُّ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ! فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ! » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَنَسَّ عَنْ مُؤَمِّنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ بَشَرَ عَلَى مُقْبِرٍ بَشَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُشْبِلًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَجَبِهِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ

لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي شَيْءٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُنَادُوا صَوْتَهُ يَنْتَهُم، إِلَّا نُزِلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغُشِبَتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ، وَخُفَّتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذُكِّرَتْ لَهُمُ اللَّهُ فَيَمُوتُ عِنْدَهُ. وَهُنَّ بَطَأٌ بِهِ غَضْلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (١).

البيان الخامس: عن عُقْبَةَ بْنِ غَابِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفَّةِ فقال: «أَبُكُمُ أَحَبُّ أَنْ يَغْدُرَ كُلُّ نَوْمٍ إِلَى نَظْحَانٍ أَوْ الْعُقْبِيِّ؛ فَيَأْتِيَنِي مِنْهُ بِنَافِثَيْنِ كَوْثَرَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ» (١)، بِأَخَذَهُمَا بَعِيرٍ إِيَّاهُ بِاللَّهِ تعالى، وَلَا قَطْعَ رَجَمٍ؟» قالوا: كُلُّنَا بِأَرْسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «فَلَأَنْ يَغْدُرَ أَحَدُكُمْ كُلُّ نَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ؛ فَيَتَغْلَمَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تعالى؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَافِثَتَيْنِ، وَفَلَأَنْ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَغْذَاذِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» (٢).

...

(١) رواه مسلم.

(٢) أهل الصُّفَّةِ: هم فقراء المهاجرين كانوا يبيتون بالمسجد النبوي. وأما نَظْحَانُ فهو: اسم وادٍ قرب المدينة المنورة، وكذلك العقبي مثله. ونافثان كَوْثَرَاوَيْنِ: تشبة كرماء، وهي: النافقة العظيمة الشَّامُ العالبة. وزهراء: عني سبيحة، تميل إلى البياض من الشَّيْبِ.

(٣) رواه مسلم، وأبو داود، وأحمد، وابن حبان، والبيهقي، والطبراني.

الرسالة السابعة

في أداء حقوق الله المأبىة

رَأَيْتُ اخْتِامَ الصَّلَاةِ فِيهِ الْإِسْلَامِ مُفْرَدٌ أَبَدًا بِإِبْنَاءِ الزَّكَاةِ، رَأَيْتُ إِيْمَانَ الْعَبْدِ لَا يَتِمُّ حَتَّى يَكُونَتْ مِنْ الْمُنْفَعِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةٌ مُصِيفَةٌ الْإِسْلَامَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِزُهْدِ اللَّهِ فِي الْمَالِ، عَلَى نَاعِمَةٍ أَنْ « الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، وَالْبَشَرُ سَخِيفَةٌ فِيهِ » رَأَيْتُ رِبَانِيَّةَ الْإِسْلَامِ بِهَا مَهْمُ النَّفْسِ، وَنَظْمُهَا بِالْإِنْفَاقِ فِي مَصَارِفِ الزُّكْرَاتِ وَفِي كُلِّ وَجْهِ الْغَضَبِ

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَلِّفِينَ فِيهِ قَالَتِ بَنَاتُ الْإِسْرَءِيلَ وَانْفِقُوا نَحْنُ أَكْبَرُ كَيْدًا ﴾ [الحديد: ١٧]

الكلمات الثانية: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ بَايَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنْ رَأَيْنَا: مَا كَانُوا يُؤْتُونَ. اللَّهُ يَذَرُ النَّاسَ. لَا تَدْرِي بِاللَّهِ الْآخِرُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَابِتٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ فِيمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَنْفُسَهُمْ مَرْسَابَ اللَّهِ وَتَتَّبِعُنَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَمٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْهَلًا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُغَيِّرْهَا

رَأَيْدُ قَتْلٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٠﴾ أَبَوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
وَأَعْتَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَكُنْ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَمْ يُدْرِئَهُ
مُغْنَاهُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنْ طَائِفَتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكُمْ مِنْ
الْأَنْفُسِ وَلَا تَبْمِغُوا الْحَبِيبَ وَمَنْ تُبْفِتُوا فَلَكُمْ سَلَامٌ وَلَا تَنْفِقُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ غَنِيٌّ حَسْبُهُ ﴿٢١٢﴾ السَّابِقُ يَدْعُكُمْ الْغَرَّ رَّبَّكُمْ بِالْفَحْشَى وَاللَّهُ يَدْعُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٣﴾ يُؤْنِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٤﴾ وَمَا أَنْفَعُهُمْ إِذْ تُنْفَذُ مِنْ
تَحْتِهَا فَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢١٦﴾ إِنْ يُدْعُوا لِلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا
هِيَ وَإِنْ تُخْفُوا رُؤُوسَكُمْ الْمَغْفِرَةُ فَبِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١٧﴾ رَزَقْنَاهُمْ مِنْ سَكَنٍ لَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ حُدُودُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفِقْكُمْ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْنَاءَ اللَّهِ وَجِو اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢١٩﴾ لِلْمَغْفِرَةِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَلْبِثُونَ مَسْكِنًا فِي الْأَرْضِ بِحَسْبِهِمْ الْكَافِلُ أَغْنَىٰ عَنْهُمُ الْغَنِيُّ
تَعْرِفُهُمْ بِسَبْعِهِمْ لَا يَسْتَلْبِثُونَ الْقَامِ إِلَّا كَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْمَ
عِلْمِهِ ﴿٢٢٠﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالْهَمَامِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢١﴾ [الفرقة: ٢٦١ - ٢٦٢].

الكلمات الثالثة ﴿٢٢١﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا وَمَا يُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَوْمَ عِلْمِهِ ﴿٢٢٢﴾ [ال عمران: ٩٢].

الكلمات الرابعة: ﴿٢٢٣﴾ لِلْمَغْفِرَةِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يُبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيُصْرَفُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَىٰ بِكُلِّ صَافٍ هُمْ وَالَّذِينَ يُبْتَغُونَ وَالَّذِينَ يُبْتَغُونَ
وَالَّذِينَ يُبْتَغُونَ مِنْ قِبَلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ دَلِيلًا كَانَ يَوْمَ حَصَاةٍ وَمَنْ يُوَفِّ سَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢٤﴾ [الحشر: ٨، ٩، ١٠].

الكلمات الخامسة ﴿٢٢٥﴾ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي

سَبِيلَ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكَوِّتُ
بِهَا جِثَاهُمْ وَجُودُهُمْ وَلَهُمُوهُمْ هَكَذَا مَا كُنْتُمْ لِأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَذَرُونَهَا مَا كُنْتُمْ
تُكْبِرُونَ ﴿ [الآية: ٢٤، ٢٥]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَبْضُقُوا أَخَذَ بِنَفْسِهِ
مَنْ كَسَبَ طَيْبٌ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِنَفْسِهِ فَيَرْبِطُهَا كَمَا يَرْبِطُ
أَخَذَكُمْ فَلَوْهٌ أَوْ فَلَوْضَةٌ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْحَبْلِ أَوْ أَغْطَمَ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا خَسَدٌ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ:
رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْسَ
أُوبَيْتُ مِثْلَ مَا أُوبِئِي فَلَانَ؛ فَغَبِلْتُ مِثْلَ مَا تَعْمَلُ، وَزَجَلُ آثَاءَ اللَّهِ مَا لَا فَيُؤْزِئُكَ فِي
الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْسَ أُوبَيْتُ مِثْلَ مَا أُوبِئِي فَلَانَ؛ فَغَبِلْتُ مِثْلَ مَا تَعْمَلُ » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لَا خَسَدٌ إِلَّا
فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آثَاءَ اللَّهِ مَا لَا فَيُؤْزِئُكَ فِي الْحَقِّ، وَزَجَلُ آثَاءَ اللَّهِ جُكْمُهُ فَهُوَ
يَقْتَضِي بِهَا وَيُعْلَمُهَا » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَاذَ بِلَالًا، فَأَخْرَجَ لَهُ صَبْرًا مِنْ تَحْرِ ^(٤)،
فَقَالَ: « مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟ » قَالَ: ادْخَوْنَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ - قَالَ: « أَمَا تَخْشَى أَنْ يُغْفَلَ
لَكَ بِخَارٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ أَلَيْسَ يَا بِلَالُ وَلَا تُحْشَى مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِذْ لَا » ^(٥).

البيان الخامس: عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) متفق عليه. والفلوة: هو المهر. والفأوض: الشاة الشاة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه. والمراد بالحسد هنا: الغبطة. وهو تمنى مثل ما للغير. وهذا أمر حسن؛ وله ابنه، فإن
تمنى زوالها عنه فذلك حرام؛ وهو الحسد المذموم.

(٤) الصبر: جمع صبرة، وهي: ما جميع من الطعام بلا تحيل ولا وزن، بعضها فوق بعض على هيئة
الكومة. ن. لسان العرب: (صبر) .

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير والأوسط، كما رواه البزار، والبيهقي في الشعب،
وأبو نعيم في الحلية. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، وفي صحيح الجامع، وفي صحيح الترغيب.

« لا تُوجي فيوخي غلبك » ^(١). وفي رواية أخرى عنها أيضا أنه عليه السلام قال: « إنفجي أو
إنصحي أو أنفجي، ولا تحصي فيحصي الله غلبك، ولا تُوجي فيوغي الله غلبك » ^(٢).
البيان السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما من يزوم يُصيح
العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: « اللهم أعط مُتَبِقًا خَلْفًا ». ويقول الآخر:
« اللهم أعط مُتَبَكًّا نَلَقًا » ^(٣).

...

(١) منفق عليه، وقوله: (تُوجي) هم يَنْقُلُ «أَوْجِي»، أي: ربط ضم الهمزة - أو الشفاه - وشده بالخط؛
فصد الحفظ والادخار.

(٢) منفق عليه. والتَّحْي: التَّنَحُّ. والتَّضَح: الضُّح. وكلاهما بمعنى العطاء. وأَوْجِي يُوجِي بِمَاءٍ، أي: أَمْسَكَ الْمَالُ فِي الْيَمِينِ
وَتَنَفَّه.

(٣) منفق عليه.



الرسالة الثامنة

فِي أَنْ الدَّعْوَةَ دِينًا

رأيت أصول الإسلام ثابتةً أهمالاً وعملاً، وهي مدار السنين والدعوة، وإنما تلتصق انساناً نبي مدونه الله، والتفقه نبي الصلوات الاخرية، رأيت الرعد السريعة نبي الإسلام نابعاً للرعد الاخرية، والعكس غير صحيح، رأيت صفة ايج عمل اسلامي اما تنصده بفننه ارتباطه بها فمدونه دُخلًا.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك لَمْ وَيَذَلِكَ أَبْرُثْ وَأَنَا أَرْثُ الْمُسْلِمِينَ ﴿الأنعام: ١٦٢، ١٦٣﴾.

الكلمات الثانية: ﴿سَرَّحَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا وَكُنْ يَوْمَ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا يَوْمَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِلُوا إِلَيْنَ وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْنَ اللَّهُ يَجْتَبِىَ إِلَهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَمَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْكَ أَجَلٌ مُسَمًّى لَفُضِّ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿قُلْ لِلَّهِ تَدَاعَوْا وَأَسْتَفِيزْ كَمَا أُورِثَ وَلَا تُلَاحِظُوا هَؤُلَاءِ وَقُلْ آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُورِثَ لِأَعْدَلٍ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبَّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٣ - ١٥].

الكلمات الثالثة: ﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ حَبِيبُ مُوسَى﴾ إِذْ رَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا

إِنِّي دَانَسْتُ نَارًا تَلْعَلُ وَيَكُفِّرُ بِنَهَا يُفْقِسُ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٦﴾ فَلَمَّا آتَاهَا نُورِيٌّ
يُسَوِّحُ ﴿١٧﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاتَّقِ عَلَيَّ إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ تَالُوَادُ الْمُتَّقِينَ طَوًى ﴿١٨﴾ وَأَنَا أَخْزَنُكَ
فَأَسْمَعُ لِمَا يُوْحَى ﴿١٩﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَعْبُدِ الصَّلَاةَ لِلَّذِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿٢١﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ
بِهَا وَأَتَّعَ حَوَاشِيَهُ فَتَرَدَّى ﴿٢٢﴾ ١٦ - ٢٢

الكلمات الرابعة: ﴿٢٢﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ
رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ بِكَ كُذُوبٌ فَلِمَ
تَكْذِبُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُكَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ
جَاءَكَ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّسَوٰءِ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ الَّذِي
دَامَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ بِئْسَ بَوْرُ الْأَخْرَابِ ﴿٢٥﴾ يَنْدُبُ ذُلَّ قُوَّةِ نُوْجٍ وَعَاوٍ وَمَعُوذِ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٧﴾ يَوْمَ
تُؤَلَّفُونَ مَنِّبِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَإِنْ بَضَّلُوا اللَّهَ قَالَهُ مِنْ هَٰؤُلَاءِ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ
بُورُسُ بْنُ قَبِيلٍ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَمْ يَكُنْ فِي سَبِيلِنَا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ
يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا كَذَلِكَ يُعِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ يَقْبِذُوا إِلَهُهُ سُلْطَانِي أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقَفًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ دَانَسُوا
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّكْذِبٍ جَبَّارٌ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَنِيَّ بْنَ لِي صَرَمًا
لَعَلِّي أَنْتَلِقُ الْأَنْبِيَاءَ ﴿٣١﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِقَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنُ الْفِرْعَوْنَ سَوَّىٰ عَلَيْهِمْ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كُنْتُمْ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
نِيَابِ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِي دَانَسَ يَقُولُ أَتُعْبُدُونَ أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرَّسَوٰءِ ﴿٣٣﴾ يَقُولُ إِنَّمَا
هَذِهِ الْحَبْوَةُ الدُّبَابُ مَتَّعَ وَإِنَّ الْأَخْصَرَ هِيَ دَارُ الْفَكَرِ ﴿٣٤﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُخْزَىٰ
إِلَّا مِنْهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْمَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِعَبْرِ حَسَابٍ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُ مَا لِيَ أَذْهَبَكُمْ إِلَىٰ النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونِي إِلَىٰ
النَّارِ ﴿٣٦﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَتُحَرِّكُمْ إِلَىٰ
الْعَزِيزِ الْعَلِيِّ ﴿٣٧﴾ لَا جَرَمَ أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَمْ دَعَوْتُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَا

مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَسْحَبُ النَّارِ ﴿٦٠﴾ فَسَدَّكُرُوهٗ مَا أَقُولَ لَكُمْ
وَأَفْئِضْ أَسْرِعْتَ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٦١﴾ قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا
وَمَكَاتٍ بِتَالِ يَفْرَعُونَ مَوَدَّ الْعَذَابِ ﴿٦٢﴾ [عائش: ٢٨ - ٤٥]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَمْرُ السَّفَرِ وَلَا بَعْرِفَةٌ بِمَا أَخَذَ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْتَدْرَكْتَنِي إِلَى رُكْبَتِهِ وَوَضَعَ كَتِفَهُ عَلَيَّ فَبَحَثَنِي، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تُشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ تُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ، وَتَقْبِلَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُصُومَ وَغَضًا، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ امْتَنَعَتْ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَنَجِصًا لَهُ سَهْلًا وَيُسَدِّدُهُ؟ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَعَلَا بَكْبِهِ، وَكُتْبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالنَّيِّمِ الْأَجْرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ حَتَّى تَكُونَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» . قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ وَتَمُتَ، وَأَنْ تَرَى الْحَقَّاءَ الْغُرَاءَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَنْطَاطِرُونَ فِي الْبُيُوتِ» . قَالَ: ثُمَّ انْطَلَبْتُ فَلَيْسَتْ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنْ السَّائِلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَشْلَمُ؟ قَالَ: «قَالَهُ جِبْرِيلُ أَنَا كُمْ بَعْلُكُمْ دِينُكُمْ» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مِثْلُ مَا بَغَيْتَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهَدْيِ وَالْعِلْمِ، حَمَلْتُ الْغَيْثَ الْكَبِيرَ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَفِيعَةٌ فَلَيْسَ الْمَاءُ، فَأَنْشَبَ الْكَلَا وَالْعُشْبَ الْخَيْرِ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَسْكَبَ الْمَاءَ فَطَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا وَسَقُوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تُبْسِتُ كَلَاً، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَتَحَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَغَيْتَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدًى اللَّهُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ» ^(٢).

البيان الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»

ضَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّمَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي غَدِيٍّ، ... لِيُطَوِّبَ قُرْبَيْهِ؛ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَوْسَلَ رَسُولًا؛ لِيَسْطُرَ مَا هُوَ؟ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَفُورَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَحْبَزْتُكُمْ أَنْ خِيَلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصْذِقِي؟». قَالُوا: نَعَمْ مَا جِئْتَنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «فَلْيُيْ نَذِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ! ... الخديت^(١)».

البيان الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْفَرِيٍّ جَوَاطٍ، سَخَابٍ فِي الْأَسْوَافِ، جَبْقَةٍ بِاللَّبْلِ، جَمَارٍ بِالْثَنَائِرِ، غَالِمٍ بِالذَّنْبِ، خَاجِلٍ بِالْأَجْرِ»^(٢).

البيان الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نِعَسٌ عَيْنُ الذَّنْبَارِ وَالذُّوْهَمُ وَالْقَطْبَقَةُ وَالْحَبْبُضَةُ، إِنْ أُعْطِيَ زُحْيٌ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطٌ، نِعَسٌ وَانْتَكَسٌ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طَوْنِي لِعَبْدٍ أَحْبَدَ بَعَانٍ قَرِيبَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسَهُ، مُغْزِبَةٌ قَدَمَاهُ؛ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّافَةِ كَانَ فِي السَّافَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ سَمِعَ لَمْ يُسْمَعْ! ...»^(٣).

» » »

(١) متفق عليه.

(٢) رآه البيهقي. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع. والجعفري الجواط: هو المنكير العليظ، الخبيث الأخلان. والشخبت والضخبت: كلاهما بمعنى: رفع الصوت المنكر كصوت الحمار. والخديت كتابة عن الرجل همه الدنيا والكسب المادي، حيث يظل النهار كله في صراع الأكسبات والصناعات لا يحرم حراماً ولا يحل حلالاً ولا يعرف لله حقاً ولا مقاماً! حتى إذا كان الليل خرو على فراشه ذمام نومة تقيلاً، فَتَقَنَّنَ رُوحَهُ كالحبقة؛ بما يفقد عليه الشيطان من عُنْفِدِ الغفلة عن الصلاة والقيام.

(٣) رواه البخاري.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا كُنْهَكَ الشَّهْرَيْنِ ﴿١٠١﴾ أَلَيْسَ بِمَعْلُومٍ مَعَ اللَّهِ إِنَّهَا آخِرُ نَسْفٍ
بَعْلُوتٍ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٣﴾ فَسَجَّحْنَا عُقْدَ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ
الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٠٤﴾ وَاعْبُدْ وَتَكَ حَتَّىٰ بَأْيِكَ الْبَيْتُ ﴿١٠٥﴾ (المحر: ٨٧ - ٩٩ - ١)

الكلمات الرابعة: ﴿١٠٠﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ يُزْعَوْنَ إِيَّاكَ هَذَا لَسَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ يُرِيدُ أَنْ
يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ خَبِيرِينَ ﴿١٠٣﴾
بِأُتُوكَ بِكُلِّ سَجَرٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٤﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ بِرُغْوَتٍ قَالُوا إِيَّاكَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ
الْمُغْلِبِينَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالُوا بَلُمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا
بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَرْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مُطَهَّرٌ ﴿١٠٩﴾
وَقَدْ خَلَقْنَا الْخَلْقَ وَبَدَّلْنَا مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ ﴿١١٠﴾ فَفَعِلُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَبِيرِينَ ﴿١١١﴾ وَالَّذِينَ
السَّحَرَةُ ﴿١١٢﴾ قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ الْمَلَائِكَةِ ﴿١١٣﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ (الأعراف: ١٠٩ - ١٢٢ - ١)

الكلمات الخامسة: ﴿١٠٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَرَبُّكُمْ لَا تَدْعُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْجَنَ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْرَى ﴿١٠١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَتَوُا النَّجْوَى ﴿١٠٢﴾ قَالُوا إِنْ
هَذَا لَسَجْرٌ يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرَفَيْكُمُ النَّفْلَ ﴿١٠٣﴾
فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنْ أَسْفَلِ ﴿١٠٤﴾ قَالُوا بَلُمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ
وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿١٠٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَالُكُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يُجْزَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ
أَنَّهُ سَعَى ﴿١٠٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ جِنَّةٌ مُوسَىٰ ﴿١٠٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِي مَا
فِي بَيْتِكَ لَلْكَفِ مَا صَنَعُوا إِمَّا صَنَعُوا كَيْدُ سَجْرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٠٩﴾ فَالَّذِينَ
السَّحَرَةُ سَجَدُوا قَالُوا إِنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿١١٠﴾ (طه: ٩١ - ١٠٠ - ١)

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه أن الوليد بن المغيرة، لما بعثه فريسي إلى
النبي صلى الله عليه وسلم يفارضه في شأن الدين، قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن؛ فزُقِيَ له الوليد، ثم
رجع إليهم فقال: «والله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم بيزجريه
ولا بفصده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن
لفظه الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمبجج أغلا، فغلبني أسفله، وإنه لمبجلو

وَمَا يُغْنِيٰكُمْ إِنَّهُ يَبْخِطُكُمْ مَا تُحَنُّ ۖ (١).

البیان الثانی: عن ابن عباس رضی اللہ عنہما أنَّ أبا بکرٍ رضی اللہ عنہ قال: «بُئِثَ نَارُ رَسُولِ اللَّهِ»، فقال ﷺ: «شَيْبَتُنِي هَوْدٌ»، و«الْوَاغَةُ»، و«الْمُرْسَلَاتُ»، و«غَمٌ بِنِسَاءِ لَوْنٍ»، و«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (٢). وفي رواية أخرى: «شَيْبَتُنِي هَوْدٌ» وأخواتها مِنْ الْمُتَفَضَّلِ (٣).

□ □ □

(١) الحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان. وثمة القصة أن أبا جهل تخايل عليه فأثار كرباهه ورده إلى جاهليته، فقال له: دعني أفكره ثم قال: أقول: «هم ساحر» فنزل قول الله تعالى: ﴿إِنْ لَهُمْ لَكُرٌّ فَنُذِرْ﴾ فنزل ﴿يَنْفِرُ فَنُذِرْ﴾ ثم قيل كيف فنذر؟ ثم فنر؟ ثم عس ونر؟ ثم أمير ونشكر؟ فقال: إن هذا إلا قول القوم: «سأصلب سقر» (المعنى: ١٨ - ٢٦).

(٢٦) رواه الترمذي، والحاكم عن ابن عباس، ورواه الحاكم عن أبي بكر، ورواه ابن مردويه عن سعد. وقال الشيخ الألباني: صحيح. النظر: حديث رقم: (٣٧٢٣) في صحيح الجامع.

(٣) رواه الطبراني وابن مردويه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

الرسالة العاشرة

في «مجالس القرآن»

وانت السُّرُورُ في التَّزْيِينِ الْفَرَّانِيَّةِ، بِطَوْدَةِ رُؤْدَانِيَّةٍ وَنَدْبِيَّةٍ، نُسْنُجِ
الْفَنْدِ صَفِيَّةِ الْفُغْرَةِ، زُيْنَبِةٍ بِضَانِبِ الْعُسْبَةِ وَالزُّقْبِ، وَبِقَمَرِ نَلْبِهِ
بَانِوَارِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَيَجْعَلُهُ سَنَ جُلُوسِ الْعَمَلِ لَكَ، وَسَنَ
الْمَذْكُورِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْعَمَلِ الْمَعْلُومِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ، مَنْ لَنَا مِنْ عِبَادِنَا وَإِلَيْكَ لَنَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الكلمات الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
الْقَائِمُونَ﴾ لَوْ أَرَأَيْتَ هَذَا الْفَرَّانَ عَلَى جُبُلِ لَرَأَيْتَهُ حَتِيئًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَسْبَةِ اللَّهِ
وَبِئَازِ الْأَمْثَلِ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الَّذِي أَلْهَمَ الْمُتَدَوِّسَ أَلَسَلْتُمْ الْمُؤْمِنَ الْمُهَيَّجَ الْعَزِيزَ الْجَبَّارَ الْمُكَرِّمَ مُبْحِنَ اللَّهِ
عَمَّا يَنْزَكُونَ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّيْ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى بَيِّنْ لَمْ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٤].

الكلمات الثالثة: ﴿وَالْحَقِّيْ اَنْزَلْتَهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا اَرْسَلْتَكَ اِلَّا مَّبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٠﴾ وَفَرَأَيْنَا
فَرَغَتَهُ بَلْغَاءً عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّيٍّ وَفَرَقْنَاهُ مُتَّبِعًا ﴿١٠١﴾ فَلَوْ لَمْ يَأْمُرْنَا بِهِ لَمْ نَكُنْ لَكَ فَوْصِلًا اِنْ اَلَيْسَ اَوْلٰٓئِكَ
اَلْبَلَمُ مِنْ قَبْلِهِ اِذَا بَشَّرْنَا عَلَيْهِمْ بَعِيْرُوْنَ لِاَلْاَقَابِ سَجْدًا ﴿١٠٢﴾ وَيَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا اِنْ كُنَّ رُءُوسُ
رَبِّنَا لَسَمُوْا اِلٰهًا مَّا نَدْعُوْا فَلَهُ الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰٓئِكَ وَلَا تَخَافُ يٰهَا وَابْتَغِ بَيْنَ
ذٰلِكَ سَبِيْلًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهٗ مَرْبًى لَمْ يَكُنْ لَكَ مَرْبًى فِي الْمَلٰٓئِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهٗ
وَلَدٌ مِنْ اَزْوَاجِ الْمَلَائِكَةِ كَثِيْرًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الاسراء: ١٠٥ - ١١١).

الكلمات الرابعة: ﴿اَلَمْ يَأْتِ الْاٰمَنِيْنَ اَمْرًا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ وَلَا يَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ اُوْتُوْا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْاَمَلُ فَخَسَفَتْ قُلُوْبُهُمْ وَكِبَرَتْ
بَيْنُهُمْ مُّشْكُوٰتٌ ﴿١٠٥﴾ اَعْمٰوْا اَنَّ اللّٰهَ يَخِى الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُوْنَ ﴿١٠٦﴾ اِنَّ الْمُصْطَفٰى وَالْمُصٰبِقِىْنَ وَالْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ اَللّٰهُ قَرِيْبًا حَسْبًا بِمُسْتَمْتٍ لَّهُمْ وَلَهُمْ اٰخِرٌ
كَرِيْمٌ ﴿١٠٧﴾ وَالَّذِيْنَ دَامَسُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُصٰبِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ
اٰمِرُهُمْ وَوَرُءُهُمْ وَاللّٰهِكَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِرِاٰدَتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْحَجِيْبِ ﴿١٠٨﴾ اَعْلَمُوْا
اَلَمَّا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَهَبٌ وَقَدْ وَدَّعَتْ وَتَغَاوَرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاوَرُ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَزْوَاجِ كَسَلٌ
غَيْبٌ اَحَبُّ الْكُفٰرِ لِبَآئِهِمْ ثُمَّ يَبْجُ قَرْعُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُوْنُ حَطْمًا وَفِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ
شَدِيْدٌ وَمُغْفِرَةٌ مِنْ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلَّا مَتَاعٌ الْعٰشِرَةُ ﴿١٠٩﴾ سَابِقُوْا اِلَى
مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اَهْدَتْ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ
وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَسَلِّ اللّٰهُ بِرُزْنِهِ مَن يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿١١٠﴾﴾ (الحديد: ١١١ - ٢١).

بيان الكلمات:

البيان الأول: غن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من نفس غن مؤمن
كثرة من كثر الدنيا نفس الله غنة كثرته من كثر يوم القيامة. ومن بشر على مغبر
بشر الله غلبه في الدنيا والآخرة. ومن سنز مسلمًا سنز الله في الدنيا والآخرة. والله
في غن الغني ما كان الغني في غن أبيه. ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله
له به طريقًا إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله،
ويتذادرسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحففتهم الملائكة،

وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ يَتْلُهَا بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ^(١).

البيان الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَمْزَجِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الثَّمَرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْفَاقِي الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الزُّمْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْفَاقِي الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَتَّظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» ^(٢).

البيان الثالث: عن أبي سريح الخزاعي قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أُبَشِّرُوا... أُبَشِّرُوا...! الْبَشْرُ تَشْهَدُونَ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَأَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَنِيَّتٌ، طَرَفُهُ بَيْنَ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بَيْنَكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُضَلُّوا، وَتَرَى نَهْبَكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» ^(٣).

البيان الرابع: عن أبي سعيد رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَكُنَّابُ اللَّهِ هُوَ خَيْرُ اللَّهِ لِلْمُتَدَوِّدِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» ^(٤).

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني في الكبير، وعبد بن حميد في التلخيص من المسند، وصححه الألباني في المسلسلة الصحيحة: (٧١٣).

(٤) رواه الطبراني في تفسيره: (٣١/٤) د نشر دار الفكر بيروت لبنان: (١٤٠٥ هـ). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (٤٦٧٣).

الرسالة الحادية عشرة

في الإخلاص الدعوي

وَأَنْتَ تَحْمِيهِ الزُّلْمَةُ الدَّعَوِيَّةُ لِلَّهِ قَوْلُهُ دَعَايَهُ يَسْتَقْبِلُ تَأْيِيدَ اللَّهِ
وَنُصْرَتِهِ، وَأَنْتَ الْغَيْبُ شَيْءٌ مَا هُفُتِ الْإِبْهَامَاتُ فِيهِ ذَلِكَ أَذْهَلُهُ اللَّهُ -
فَهَلْ هَذَا لَهُ - نَبِيٌّ وَدَلِيلُهُ، دَائِلُهُ بَرٌّ كَرَامَتُهُ، وَكَانَتْ تَعَالَى فِيهِ
نُصْرَتُهُ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿يَكَلِّمُ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُغْفِرُ لَهُمْ أُولَئِكَ عَلَى الْمُتَّقِينَ أَجْرٌ عَلَى الْكَثِيرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ قَوْلَ
كَافِرٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّا وَرَدَّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ يُفِضُونَ الصَّلَاةَ وَزُكُوتَ الزَّكَاةِ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ [الطه: ٥٤ - ٥٦].

الكلمات الثامنة: ﴿هُوَ أَرْحَمُ حَسْبَتْ أُمَّ أَسْحَبَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيبِ كَانُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَءِيلَ إِذْ أَوَى الْبَنِيُّ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَمَّةٌ وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَحْمَةً ﴿٥٧﴾ فَصَرَبْنَا عَلَى إِمَامِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَّةً ﴿٥٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبِّئَهُ أَتَى
الْجَرِيزَ أَحْمَرَ لَمَّا لَبَسُوا أَمَدًا ﴿٥٩﴾ تَحْنُ نَفْسُ عَلِيٍّ تَبَاهُمُ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٦٠﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ
نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ﴿٦١﴾ هَكَذَا قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
لَوْ لَا بَأْسُنَا عَلَيْهِمْ لِمُلُوكٍ بَنِي قَوْمٍ أَظْلَمُ مِنْ قَوْمِكُمْ كَذِبًا ﴿٦٢﴾ وَإِذْ

أَعَزَّائِسُكُمْ وَمَا يَمْدُودُ إِلَّا اللَّهُ فَأُولَئِكَ أَكْثَبُ بَشَرُكُمْ وَرَحِمَنُكُمْ وَرَحِمَنُكُمْ
لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿١٦﴾ [الكهف: ١٦ - ١٧]

الكلمات الثالثة: ﴿وَأَنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ مَرْيَمَ لَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ
كَادُوا بِكُفْرَانِهِ يَدْعُوهُ ﴿١٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَنَالُكُمْ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا
رَشَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يَجْعَلَ مِنَ اللَّهِ مَنًّا وَلَكِنْ أَجِدُ مِنْ دُونِهِ مَلَكًا ﴿٢١﴾ إِلَّا تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٢﴾ [الجن: ١٨ - ٢٢]

بيان الكلمات:

عن أبي العباس عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)، قَالَ: كُنْتُ خَلَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ،
فَقَالَ: « يَا عَلَامُ إِنِّي أَغْلَمْتُ كَلِمَاتٍ: أَحَقُّظُ اللَّهَ بِحَقِّظُكَ، أَحَقُّظُ اللَّهَ نَجْدَةً نَجْدَةً، إِذَا
سَأَلْتُ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَلِ الْأُمَّةِ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ
يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ؛ فَذُكِّرْتَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ
لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ؛ فَذُكِّرْتَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَفَعَبَ الْأَفْلامُ وَجَفَبَ الصُّخُفُ » (١).

وفي رواية أخرى: « أَحَقُّظُ اللَّهَ نَجْدَةً أَمَامَكَ، نَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّعَاءِ يُشْرِكُكَ فِي
الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُبَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ
النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْقَرْجَ مَعَ الْكَزْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » (٢).

...

(١) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في
صحيح الجامع.

(٢) هكذا في الأربعين النووية، وهذه ألفاظ مركبة من عدة أحاديث صحيحة.

الرسالة الثانية عشرة

فِي أَنْ الدَّهْوَةَ خُلِقَ

رَأَتْ مَكَارِمَ الْمُرْصَلَاتِ سَعَارَ الْمَدِينِ وَالْمَدِينَةِ، رَأَتْ الْمَدِينِ بِهَا خِلَافَ
مَدِينَةٍ بِالْمَقَاتِ، رَأَتْ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَمْ تَعْمَدِ الْفُلْنَ الصَّنِ سَلَكًا
لَمْ يَبَارِكِ اللَّهُ نَبِيَّهَا، رَأَتْ الْهَيَاءَ هَرَانِيَّةَ خِلَافِ الْمَسْلَمِ، رَأَتْ الرِّيَابِيَّةَ
الْمُهَيَّجَةَ أَمَّا هِيَ مِهْنَتُ الْمَدِينِ فَرَدَّ دَعْمَهُ. رَأَتْ طَرِيقَ الصُّدُورِ
الَّتِي بِهَا بَنَاتُ الْعَبْدِ وَدَلِيلُ اللَّهِ، رَأَتْ الْمُنْهَرَاتِ عَنْ ذَلِكَ كَلِمَةَ ضَرْبِ
سَرِّ التَّفَاتِ الْمَرْبِ لَمْ يَفْلَحْ صَاحِبُهُ أَبَدًا.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيطَ الْفَلَسِ
لَا تَقْعُدُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَغْفِ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يُصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا
الَّذِي يُصْرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران: ١٥٩-١٦٠].

الكلمات الثانية: ﴿وَأَنَّكَ لَآتَى خُلُقِي عَظِيمٍ ﴿١﴾ [القم: ١].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَبٍ رَجَدَ عَلَيْهِ أَمَةً بَنَتِ الْكَاسِ بِسُفُوفِ
وَرَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَانِ تَذَوَّلَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا تَسْفِي حَتَّى بُصِّدَ الرَّعَاةُ
رَأَيْتُكَ سَبَّحَ كَبِيرٌ ﴿٢﴾ فَسَقَى لَهَا ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ
مِنْ خَيْرٍ قَرِيرٌ ﴿٣﴾ فَأَمَّا هُنَّ إِذْ هُمَا نَتَمَّى عَلَى أَسْنَنِجَاوٍ قَالَتْ إِنَّكِ أُنَى بِدَعْوِكَ
لِيَجْزِيَنَّكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ جَعَلَتْ

مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ [النفس: ٢٣ - ٢٥].

الكلمات الرابعة: ﴿ بِجَانِبِ الذِّبِّ. اسْتَوْا أَنْفُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْجِعُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ إِذْ أَنَّهُمْ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَلَا نَفْسٍ وَلَا يَتَحَفَّضُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِنًا يَوْعِدُ الْكَافِرَ وَلَا يَتَلَوَّنَا مِنْ عَدُوِّ نَبَلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ يَوْمَ عَمَلٍ صَالِحٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَلَا يُفْقِرُونَ نَفَقَهُ صَنِيعًا وَلَا كِبَرَهُ وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الحج: ١١٩ - ١٢١].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: « إِنْ أَخْبَكُمُ إِلَهِي وَأَفْرَزَكُمُ مِنِّي فِي الْأَعْرَةِ مِجَالِسَ أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَافًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمُ إِلَهِي وَأَبْغَضَكُمُ مِنِّي فِي الْأَعْرَةِ أَسْرُوكُمُ أَخْلَافًا، الثَّرَفُازُونَ، الْمُتَفَهِّقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ » ^(١).

البيان الثاني: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لُغْمًا » ^(٢).

البيان الثالث: عن أبي مسعود قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنْ جُمَا أَذْرَكَ النَّاسُ مِنْ تَخْلَامِ النَّبِئَةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَشْتَخِجْ فَأَضْنَعْ مَا بَشَتْ » ^(٣).

البيان الرابع: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « إِنْ الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رَفَعَ أَحَدُهُمَا رَفَعَ الْآخَرَ » ^(٤).

البيان الخامس: عن أنس وابن عباس أن النبي ﷺ قال: « إِنْ لِكُلِّ دِينٍ خُلْفًا، وَإِنْ خُلِفَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءُ » ^(٥).

(١) رواه أحمد، وابن حبان، والطبراني، والبيهقي. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه الترمذي. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الحاكم، والبيهقي. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٥) رواه ابن ماجه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

البيان السادس: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَوْمُنْ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُجِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُجِبُّهُ لِنَفْسِهِ» ^(١).

البيان السابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَخَاسَدُوا، وَلَا تَتَاخَسَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَذَابِرُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، زَكُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْرَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَخْفَرُهُ. النَّفْسُ هَاهُنَا - وَيُسِيرُ إِلَى صَنْدَرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - يَحْسِبُ امْرَأً مِنَ الشُّرَاءِ أَنْ يَخْفَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خِرَافٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ. إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ. وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَنْدَرِهِ» ^(٢).

البيان الثامن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِّنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خُصْلَةٌ مِّنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَذْهَبَهَا: إِذَا أُوْمِنَ خَائًا، وَإِذَا عَدْتُ كَذِبًا، وَإِذَا عَاهَدَ عَدَرَ، وَإِذَا عَاصَمَ كَبَرَ» ^(٣).

البيان التاسع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِنَّا كُفَّ الْكَذِبُ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» ^(٤).

الرسالة الثالثة عشرة

فِي الْبَلَاغِ الْحَكِيمِ

رَأَتْ التَّعْلِيْقَ بِالْمَكْنَةِ فِي الدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرَ عَلَى الدَّعْوَى، وَدَعَمَ
الْمُسْتَهْزِئَةَ لِلْمُسْتَغْزِزَاتِ، ثُمَّ مَرَاعَاةَ الْعَاطِلَاتِ فِي الْغَنَائِزِ وَالتَّصْرِيفَاتِ،
تَسْرِيقًا، وَنَافِلًا، وَنَاطِقًا، وَالْعَمَلَ وَتَمَّ ذَلِكَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، بِمَنْجِلَتِ مَعْبَةِ
اللَّهِ لِلدَّعَاةِ وَتَابِعِهِ لِلدَّعْوَةِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ رِجْدُهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْذِبِينَ ﴾ وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وَأَصِرْ وَمَا
صَبَرْتُ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبْرِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُغْتَابُونَ ﴾ (شعر: ١٢٥ - ١٢٨)

الكلمات الثانية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا نَنْزِلُ عَلَيْهِمْ
الْمَلَكُكَةَ أَلَّا تَعْبُدُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ تَعْنُ
أَوَّلًا وَكُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ تَزَالُ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وَمَا بَلَّغْتَهَا إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا بَلَّغْتَهَا إِلَّا دَوْ حَظِّ عَظِيمٍ ﴾ وَإِنَّمَا بَرَفَعْنَا مِنَ السَّبْطِ نَجًّا

فَأَسْعِدْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٦].

الكلمات الثالثة: ﴿ثُمَّ جِئْت عَلَى نَذِيرٍ بِمُوسَى﴾ وَأَصْطَفَيْنَا لِنُفِى ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَعُوقُ يَتَابِعُنِي وَلَا يُبَا فِي ذِكْرِي﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّسَانًا يُسْمَعُ﴾ أَوْ يُنْصِتْ ﴿١١ - ١٠﴾

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «غَلَبَكَ بِالْوَقْفِ، إِنَّ الْوَقْفَ لَا يَكُونُ فِي سَيِّءٍ إِلَّا رَأَاهُ، وَلَا يَشْرَعُ مِنْ سَيِّئٍ إِلَّا سَأَاهُ» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي بردة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَقِيَ مَعَهُمَا وَأَمَّا مُوسَى إِلَى الْيَمِينِ، قَالَ لِهَئِمَّا: «تَسْمُرَا وَلَا تُعْشِرَا، وَتَسْمُرَا وَلَا تُتَفَرَّجَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تُخْتَلِفَا» ^(٢).

البيان الثالث: عن علي رضي الله عنه قال: «حَدَّثَنَا النَّاسُ بِمَا يَفْرُقُونَ، أَتُخَيَّرُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» ^(٣)، وقد جعل الإمام البخاري رحمته الله هذا الحديث الموقوف على علي رضي الله عنه ترجمةً لباب من أبواب «كتاب العلم» من صحيحه، صاغها في حكمه ربعة، وهي قوله: (بَابُ مَنْ تَخَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَلَا يَفْهَمُوا) كما أورد ترجمة أخرى في السيف نفسه لفقه المالات وهي:

البيان الرابع: قال الإمام البخاري: - (بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الْإِخْتِيَارِ خَافَهُ أَنْ يَنْقُصَ قُلُوبُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ؛ فَيَقْعُوا فِي أَسَدٍ مِنْهُ) ^(٤) فأخرج بسنده عن الأسود بن بريد الشَّخْصِي قَالَ: «قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَابِسَةُ تُبْهِرُكَ كَثِيرًا، فَمَا حَدَّثَكَ فِي الْكُفَّةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَابِسَةُ لَوْلَا قَوْلُكَ حَدِيثٌ غَلَبَهُمْ بِكَفَرٍ لَنَقُضَتْ الْكُفَّةُ فَيُجْعَلَتْ لَهَا بَابَيْنِ، بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ». فَقَعْلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ» ^(٥)، وفي رواية أخرى: عَنْ عَابِسَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْلَكَ لَمَّا بَنَوْا الْكُفَّةَ انْقَضَتْ عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا رَدَّهَا عَلَيَّ قَوَاعِدُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: «لَوْلَا جَدُّانُ قَوْلِكَ بِالْكَفَرِ لَفَعَلْتُ» ^(٦)، ولذلك لَمَّا رَدَّهَا عَيْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه على

(٢) متفق عليه.

(٤) صحيح البخاري: كتاب العلم.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٥ و ٦) رواه البخاري.

قواعد إبراهيم هَدَمَهَا الطاغية! الحجاج، ثم أعاد بناءها على ما كانت عليه في عهد
النبي ﷺ. فأنتى مالكٌ يَهْرَثُ بعد ذلك الخلفاء بني العباس بعدم جواز إعادة بنائها على
قواعد إبراهيم؛ حتى لا نكون عبثاً بين الأمراء.

• • •



الرسالة الرابعة عشرة

في التَّوَهُُّصِ الدَّعَوِيِّ

وَأَنَّ تَسْبِيحَ السَّاتِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ مَرَاتِعُهُ وَنَمَكِبَتَا اِتِّصَافُ هَرَمَتِ سُدُورَتِ
الرَّيْبِيَّةِ، وَأَنَّ لَيْسَ لِهَاطَسَاتِ مِنْهُ إِلَّا عِبَادَةُ اللَّهِ بِأَسَاطِيرِهِ.

الكلمات

الكلمات الأولى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

الكلمات الثانية: ﴿لَقَدْ تَقَالَوْهُمْ وَلَكِنْ قَالَ اللَّهُ فَلَاحُهُ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ الْإِيمَانُ مِنْهُ إِلَّا بَلَاءٌ حَسْبًا إِنَّ اللَّهَ سَبِيحٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

الكلمات الثالثة: ﴿مُتَمِّمٌ﴾ [١] يَتَكَلَّمُ الْكِتَابُ الْإِيمَانِ [٢] لَمَّا كَانَ بَيْنَ قَسَاكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [٣] إِنْ تَشَاءُ نُنِزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَصِمِينَ [٤] وَمَا بَالِهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ عَذَابٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ [٥] فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَنِيهِمْ أَتَكُونُوا كَانُوا بِهِ، يَسْتَهْزِئُونَ [٦] [الشعراء: ١-٦].

الكلمات الرابعة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا بَرَأُولَ مَخْلُوفِينَ﴾ [١] إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [٢] وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ، فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [٣] وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَسْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ إِنْ أَعْمَلُوا [٤]

وَأَنْطَرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١١٨﴾ وَإِلَهُ عِبَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِمُعْتَدِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ [هود: ١١٨ - ١٢٣].

الكلمات الخامسة: ﴿وَلَقَدْ مَتَنَّا عَلَيْكَ نَرًّا أُخْرَى﴾ [إذ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا بُوِّحَ] ﴿أَنِ اقْبِزْ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْبِزْ فِي الْبَرِّ فَلْيَقِزْ الْبَرُّ بِالسَّاحِلِ بِأَخْذِهِ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّكَ وَالْقَبِزُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ نَبِيٌّ وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْفَى﴾ [إِذْ نَمِيقَ أَعْنَاكَ] فَتَقُولُ هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ بَكَلْتُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عِبَتَنَا وَلَا تَحْزَنَ وَقُلْتَ فَقَسَا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَيْسَتْ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدِينٍ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ بِنُورِي ﴿[٢٧: ١٠ - ١٠]﴾
بيان الكلمات:

- عَنْ خِيَابٍ قَالَ: « أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُنَوِّدٌ لِرُودِهِ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَشَكَّرْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: أَلَا نَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا نَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ فَجَلَسَ مُخْفِرًا وَجْهَهُ فَقَالَ: « قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِأَخْذِ الرَّجُلِ فَيُخْفِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْإِنْسَانِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ قَوْقَبٌ، مَا يَضْرِبُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُخْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَبِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ، مِنْ لَحْمٍ وَغَضَبٍ، مَا يَضْرِبُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَسْمُنُ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ؛ حَتَّى يَسِيرَ الرَّابِطُ مَا يَرَى ضَعَاءَ وَخَضِرَ مَوْتٍ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذُّبَّ عَلَى عُنُوبِهِ، وَلِكَيْتُمْ تَفْعَلُونَ » (١).

...

الرسالة الخامسة عشرة

في الاعتصام

رأت النقيب باهكلام الكتاب والسنة، والفقه المنيبي عليهما، بعصر
السعرة والساعية من الدهرات المضيوية والسلوكي المنهاجي، رأت
الفقه السليم للكتاب والسنة إنما يؤخذ من سنة الغلفاء الراشدين،
فربما وفتريلها: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ورضوان الله عليهم
أجمعين، ثم عامة فقهاء الصحابة الكرام. رأت ذلك المنهج هو النهج
ثجلى - نبيا بعد - في مذاهب علماء الأصداء، الأئمة الأعظم،
مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، رحمهم الله ورضي عنهم
أجمعين.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَقَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلَهُمُ الْبَشَرِ خُلَفَاءَ لَهُمْ فَهُمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنِّي هَدَىٰ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَبُلاً لَّهِ فُطِنَ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ بُرِّئَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الأصنام: ١٥٩ - ١٦٣].

الكلمات الثانية: ﴿وَأَعْتَبُوهَا حَبِطًا لَا يَنْفَعُهَا شَيْءٌ وَلَا يَضُرُّهَا شَيْءٌ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَاتَّخَذُوا مِن بَينِ يَدَيْهِمْ حُجُورًا وَابْتِغَاءً لِّلْغَيْبِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتْلِحُونَ ﴿١٠٦﴾

[آل عمران: ١٠٣ - ١٠٥]

الكلمات الثالثة: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْفَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُسْتَعْمَلُونَ مَسْكُوفَ الْأَرْضِ وَمَعْرُوبَهَا أَلْنِي بِسَرِّكَانَا بَيْتًا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَوَعَدْنَا مَا كَانَتْ يَفْهَمُونَ فَزَعَوْهُ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْيَمْرَ فَاذْنَأْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٠٧﴾ إِنَّا هَؤُلَاءِ مُتَبَّرُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٨﴾ [الأعراف: ١٣٧ - ١٣٩]

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَخَذْتُ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ زُذٌّ » ^(١).

البيان الثاني: عن أبي نجيع البرزخ بن سارية رضي الله عنه، قال: « صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَجْلَسَ عَائِشَةَ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذُكِرَتْ فِيهَا الْقُبُورُ، وَوَجِلَتْ بَيْنَهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَحْنُ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُؤَدِّعٍ، فَمَاذَا نَعْبُدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: « أُرْصِبْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ غِيَدَا خَيْبِشَا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْشِ بِكُمْ بَعْدِي لَسَوْيَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُبْحِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَغَضُّوا عَلَيْهَا بِالْوَجْدِ، وَإِذَا كُنْتُمْ وَمَعْدَنَابِ الْأَعْمُرِ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُخَلَّفَةً بِدَعَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ^(٢).

...

(١) منفق عليه.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



الرسالة السادسة عشرة

في الفن

رأت رحمة الدعوة الإسلامية مدخرات لخدمة المعنى والفن؛
 نبي دينهم، وأنفسهم، وأمرالهم، وقد تنهت على الفتنه نبي صوره النعمة،
 وربما نسيب السبطات الى الإنسان من باب الفهم، فبرهانه انه قد
 حاز فصوص علم ديامات، وهو من أشد الفن، وذلك هو المندراج
 والعبارة بالله.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ آتَى ۝ أَحْيَى النَّاسَ أَنْ يُزَكَّرُوا أَنْ يُزَكَّرُوا مَا نَسَا وَهُمْ لَا
 يُفْنُونَ ۝ رَفَعْنَا أَلْفِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الْبَيْتَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ۝
 أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَفْضَوْنَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ
 اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَمَنْ جَاهَدْ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنُفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ
 لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرًا لَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَرَضِينَا الْإِنْسَانَ بَوْلَدِهِ حَسَنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْفِثُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
 فِي اللَّهِ جَمَلٌ فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ كَذَّابٍ اللَّهُ وَلَيْسَ بَأْسٌ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَتَبْرَأَنَّ إِلَىٰ كُنَّا
 مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ۝ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الْبَيْتَ مَا تُوذُوا
 وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ۝ [العنكبوت: ١ - ١١].

الكلمات الثابتة: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْقَوْا إِذْءَاؤُهُمْ يَدٌ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَكُمْ وَرَحِمَكُمْ لَأَتَّبَعْتُمُ السَّبِيلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الحاس: ٨٣].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ الشَّاعِبَةِ بَنَاتٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَابِئِ، وَالْمَأْمُونُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. فَكَسِّرُوا قَبَائِكُمْ، وَظَلُّوا أَوْتَارَكُمْ، وَاصْبِرُوا سُبُوقَكُمْ بِالْحِجَابَةِ، فَإِنَّ ذُجُلَ - يُعْنِي عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ - فَلْيَكُنْ كُخَيْرِ الْبَقِيَّةِ آدَمَ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ بَنَاتُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ تَبْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يُبْعِدُ دِيْنَهُ بِغَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » ^(٢).

البيان الثالث: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا - قَوْمٌ غَفَرُونَ ضَلَاتِكُمْ مَعَ ضَلَاتِهِمْ، وَصَبَاتِكُمْ مَعَ صَبَاتِهِمْ، وَعَمَلُكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَخَافُونَ خُلُوقَهُمْ، أَوْ خَتَا جِرْهُمْ، يُخْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ مَزُوقُ الشَّهْمِ مِنَ الزُّبَيْدَةِ، فَيَنْظُرُ الرَّامِي إِلَى سَهْمِهِ، إِلَى نَضْلِهِ، إِلَى رِصَافِهِ، فَيُتَمَارَى فِي الْقُرْفَةِ، حُلٌّ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ » ^(٣).

البيان الرابع: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « سَيَخْرُجُ فِيهِمْ أَجْرُ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَّاءُ الْإِنْسَانِ، سَهَاءُ الْإِحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَخَافُونَ خَتَا جِرْهُمْ، يُخْرِفُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يُخْرِفُ الشَّهْمُ مِنَ الزُّبَيْدَةِ » ^(٤).

البيان الخامس: عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « سَمِعْنَا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: أَتُبْكُمُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « قَالُوا قَوْمٌ نَحْنُ سَمْعَانَا، فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ نَعْتُونَ بَنَاتُ الرَّجُلِ

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألباني في « صحيح الجامع ».

(٢) (٤٠٣) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: بَلَّكَ نَكَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصُّنَامُ وَالصَّدَقَةُ. وَلَكِنْ أَهْكُمْ
مَنْعَ النَّبِيِّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنََ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجُ الْبَحْرِ؟ قَالَ حَدَّثَنِي: فَأَسْكَنْتُ الْفَوْمَ.
فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: « أَنْتَ لِلَّهِ أَثْبَتُ! » قَالَ حَدَّثَنِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« نَعْرَضُ الْفِتْنََ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عَوْدًا عَوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا لُبَّتْ فِيهِ نَكْنَةُ
سَوْدَاءٍ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا لُبَّتْ فِيهِ نَكْنَةُ بَيْضَاءٍ؛ حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَيْضٍ مِثْلِ
الضَّفَا، فَلَا تَضُوهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْأَخْرُ أَسْوَدُ مُرْنَادًا كَالْكُورِ
مُجْحَبًا، لَا تَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا تُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهَا ».

قَالَ حَدَّثَنِي وَحَدَّثَنِي: أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُؤَلَّفَا يُوسِبُكَ أَنْ يُكْتَمَرَ. قَالَ عُمَرُ:
« أَكْتَمَرَا لَا أَبَا لَكَ؟ فَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَ لَعَلَّهُ كَانَ بُغَادًا! » قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْتَمَرُ، وَحَدَّثَنِي: أَنَّ
ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يُبْرَثُ، خَبِيرًا لَيْسَ بِالْأَعْلِيَّاتِ » (١).

(١) رواه مسلم. وقوله: « أَسْوَدُ مُرْنَادًا » أي: بَشَدُ التَّيَاضِ فِي مَرْنَادٍ. وَ « الْكُورُ الْحَكِي: الْإِهْرِيُّ الْكُورُ
عَلَى رَأْسِهِ بِحَيْثُ لَا يَحْتَفِظُ بِمَا فِيهِ.

الرسالة السابعة عشرة

في فتنة الزعامات

وانت اول ما مرضت للمصاحبة من الفتنة شهرة الشهرة وحسب الظهور، وتنشأ الرياسة والقيادة، فلما يتغير العيد من ذلك الا بهجدهم المذهل، والمرض على تجريد القلب من الشهوة، والمصطبار على سلك العبدية لله.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْغُونُ بِمَا أَنَا وَهُمْ لَا يُعْلَمُونَ أَن يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَقْعُوا وَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارِفِ بِنِ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ وَالتَّحَلُّفِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَتَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَنَكَ قَبْلَنَا عَذَابٌ أَثَرٌ ﴾ ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُمْ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْآخِرِينَ ﴾ ﴿ رَبَّنَا وَمَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخَيِّبْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَبْسُغُ بِغَمَلٍ غَمَلٍ يَنْكُمْ بَن ذَكَرَ أَوْ أَتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرُوا بَن وَبَنِيهِمْ وَأَرَادُوا فِي سَبِيلِ وَقَتَلُوا وَقَتَلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَجْلَلَّهِنَّ جَنَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَوَاكِبًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ﴾ ﴿ لَا يَغْنَثُكَ نَفْسُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْآلَمِ ﴾ ﴿ مَنَعَ

قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ رِيسَ الْإِلَهَادِ ﴿١٨٨﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَوْا رَهْمَ لَهْمُ جَسَتْ تَجْرَى مِنْ
عَنْهَا الْأَنْهَارُ خَلِيدِي فِيهَا بَنُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ حَرٌّ لِلْأَرْوَاحِ ﴿١٨٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ
الْحَسْبِ لَمْ يُوْنِ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَلِيمِينَ بِاللَّهِ لَا يَشْرُونَ
بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ شَيْئًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٩٠﴾ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَصْدَرُوا وَصَارُوا وَرَاطُوا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٨٨ - ٢٠٠].

الكلمات الثامنة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أُشْهِدَ رَبُّهُمْ وَلَوْ رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَبْرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ سَكِينٌ الْعَذَابِ ﴿١٩٢﴾ إِذْ نَبَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا
الْعَذَابَ وَنَفَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٩٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ
كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ ﴿١٩٤﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٧٧].

الكلمات الثالثة: ﴿أَتَّخِذُوا أَنْبَاءَكُمْ زِينَةً زِينَةً أَنْبَاءَكُمْ مِنَ دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠١﴾ [التوبة: ٢١].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنا والله لا نؤلفي
على هذا الغملي أحدا سألته ولا أحدا عرض عليه» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنا لن نستقبل على
غملي من أراذه» ^(٢).

البيان الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستعرضون على الإمارة،
وستكون لكم أيامة يوم القيامة فبعض الموضعة ويشب القاطعة» ^(٣).

(٢) منفى عليه.

(١) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

البيان الرابع: عن غنيد الرحمن بن مسفرة عليه السلام قال: « قال لي رسول الله عليه السلام: يا غنيد الرُحْمَنِ لا تسأل الإمامة، فإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَها عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَانَتْ إِلَيْها، وَإِنْ أُعْطِيتَها عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْثِتْ عَلَيْها » ^(١).

البيان الخامس: عن أبي أمانه عن النبي عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: « ما مِنْ رَجُلٍ يَطْلِي أَمْرَ عَشْرَةِ فَمَا يَفُوقُ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ تعالى مُغْلُولاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذُّهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكُهُ يَرَهُ أَوْ أَوْفَقَهُ إِثْمُهُ، أَوْ لَهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَأَجْمَزُهَا حِزْبِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ^(٢).

البيان السادس: عن جندب أن النبي عليه السلام قال: « مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ وَهُوَ يُزَانِي يُزَانِي اللَّهَ بِهِ » ^(٣).

البيان السابع: عن أبي هريرة قال: « جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ عليه السلام، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكَ يَنْزِلُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا الْمَلَكُ مَا نَزَلَ مُنْذُ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ قَلَمًا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أُرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ أَتُعْلِمُكَا مَبِيتًا يَخْلَعُكَ أَمْ عِنْدَا رَسُولًا؟ قَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: « لا، بَلْ عَبْدًا رَسُولًا » ^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد، وابن حبان، وأبو يعلى. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المستدرج إسناده صحيح على شرط الشيخين. وصححه الألباني في صحيح الترغيب وفي السلسلة الصحيحة.

الرسالة الثامنة عشرة

فِي فِتْنَةِ الْعَجَبِ النَّظْمِيِّ

وَأَنَّ خُلُقَ النَوَاصِعِ الدَّعَوِيَّةِ، وَالنَّجْدِ مِنْ كُلِّ صَوْتِ دُرَّةٍ، وَالنَّهْدِ
مِنْ سَهْوَةِ «الْمَنَا» الْقُرْبَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَغَدَمِ الْإِفْرَادِ بِالْمَنَافَةِ الْعَدَوِيَّةِ
لِلْمُنَافِقِ، هُوَ شَرْطُ الْفَعْلِ الرَّحْمَانِيِّ وَالنَّائِبِ الرَّيَاسِيِّ.

الكلمات

الكلمات الأولى: ﴿لَقَدْ فَصَّلَكُمْ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ
أُنْزِلَتْ عَلَيْكُمْ كَذَّبْتُمْ فَلَمْ تَكُنْ عَنْكُمْ شَيْئًا وَهَمَّائَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُمْ مُدِيرِينَ﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ مَكِينَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ
جُنُودًا لَمْ نَرُوهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿[البرق: ٢٥، ٢٦]

الكلمات الثانية: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ اللَّهُ وَعَدَّاهُ إِذْ نَحْنُوهُمْ بِأَدْنِيهِ حَتَّى
إِذَا فَتَلَّاهُمْ وَنَحَرْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَمَّكِبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا مَا تُجِيبُونَ
مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ مَكَّنَّاكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَمَّا عَنْكُمْ وَاللَّهُ دُو فَضْلِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

الكلمات الثالثة: ﴿رَبِّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا
وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ الَّذِينَ يَجْتَنُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوْجُشِ إِلَّا اللَّيْمُ إِذْ رَأَى
رَأْسَ الْغَفَرِ هُوَ أَكْبَرُ بِكُمْ إِذْ أُنْزِلَ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أُنْزِلَ أَمْرُهُ فِي بُطُونِ أَنْهَاجِكُمْ فَلَا
تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّبَى ﴿[الحج: ٣١، ٣٢]

الكلمات الرابعة: ﴿ وَدَرُوا ظَهْرَ الْأَنْعَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْإِيمَ سَبَجُونَ ﴾
بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿ (الأنعام: ١٢٠).

الكلمات الخامسة: ﴿ وَلَقَدْ كَاتَبْنَا لَنُفْسِ الْحِكْمَةَ أَنْ أَشْكُرَ اللَّهُ وَمَنْ بَشَكَرْ فَإِنَّمَا يَكْفُرْ بِإِغْوَاهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ﴿ وَإِذْ قَالَ نُفْسُ لِأَتِيبَهُ وَهُوَ يَخِطُّهُ بِحَبْلٍ لَا شَرِيكَ يَاللَّهُ إِنَّكَ الْبُزْكُ لَطَلُّ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ وَصَبْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ حَمَلَةً أَتَمُّ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَاكَ إِلَى الْعَصِيرِ ﴾ ﴿ وَإِنْ جَعَلْنَاهُ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَآتَيْنَا سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى شَرِّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَتَيْنَاكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ بَقِيَ إِلَيْهَا إِنْ تَكُ مَشْقَالٌ حَبْرٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّعْتَرِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأَيِّهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَظَلِيلٌ حَبِيرٌ ﴾ ﴿ بَقِيَ أَمِيرُ الْقَصَلَةِ وَأَمْرُ بِالْعُرُوفِ وَاللَّهُ عَنِ الْمُشْكِرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الْأُمُورِ ﴾ ﴿ وَلَا تُصَبِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَسِرْ فِي الْأَرْضِ سِرًّا إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَالٍ فُخُورٍ ﴾ ﴿ وَأَفْضِدْ فِي مَشِيكِ وَأَغْضُضْ مِنْ صَرْبِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْرَابُ لَصُوتُ الْغَيْبِ ﴾ ﴿ (النسان: ١٢ - ١٩).

الكلمات السادسة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَجْتَهِدُوا بِأَمْرِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْعَصِيدُونَ ﴾ ﴿ قُلْ أَسْمِعُونِ اللَّهَ يَرْبِّبْكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّعْتَرِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ بَقِيَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْمِعُوا قُلْ لَا تَسْمِعُوا عَلَى إِنْشَاءِكُمْ بَلَى اللَّهُ بِمَنْ عَابَكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّعْتَرِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ (الحجرات: ١٥ - ١٨).

بيان الكلمات:

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فَبِمَا يَرْبِّيه عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قَالَ اللَّهُ ﷻ : يَا عِبَادِي إِنِّي خَوَّضْتُ الظُّلُمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ فَخَرْتُمْ فَلَا تَنَظَّاهُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَفِذْنِي أَهْبِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ غَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَّنْتُهُ، فَاسْتَكْسِنُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُحْطِرُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا،

فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا حَرِيَّ فَطَرْتُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْثِي فَتَقْعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَأَجْرَتَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَنْفِي قَلْبَ وَجَلٍ وَاجِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَأَجْرَتَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ وَجَلٍ وَاجِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَأَجْرَتَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ، قَانُوا فِي صَنِيعٍ وَاجِدٍ فَمَا لَوْ لِي فَمَا عَظُمَتْ كُلُّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتُهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ عِزِّي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْخَيْطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَيْخُرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَغْفَاكُمْ أَحْصَاهَا لَكُمْ، لَمْ أُولَئِكَمْ إِلَّاهَا، فَمَنْ رَجَدَ غَيْرًا فَلْيَعْبُدِ اللَّهَ وَمَنْ رَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومُنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ۝ (١١)

• • •



فِي قَعْنَةِ النِّسَاءِ

وان المبررات في مخالطة النساء، بفهم ضوابط شرعية، وهنك حجاب الفتاة والصبا، بين الرجال والنساء - سداً ومحصناً - من أخطر المهلكات للسيرة والمراعية، ومن اقبح التلبسات السطانية، التي يلقيها البليس على نلوب شباب الدعوة، ذكرنا وإتفا، باسم «المصلحة الشرعية»، و«الضرورات التنظيمية». ولما الضرورة في كل هذا فقد نذكرها.

الكلمات

[illegible]

الكلمات الثابتة: ﴿جَاءَهَا الْمَلَأُ كُلٌّ لِنَرْيَا مَا فِيكَ﴾ وَتِلْكَ رُسُلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَأُ مِنْ سُلَيْمِينَ ذَلِكَ أَتَى أَنْ بَصُرْنَاهُ وَلَا بُدَّ مِنْهُ وَكَانَ غُفُورًا رَحِيمًا ﴿الأنعام: ٥٩﴾.

الكلمات الثالثة: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْغَائِبِينَ

الرسالة العشرون

في فتنه المال

وَأَنَّ سَهْرَةَ النِّفْتِ مِنْ أَضَرِّ الْفُتَنِ عَلَى الْعَزِيزِ، وَأَنَّ الْعَالِ
الْفُضِيئَةَ - مِنْ شَيْءِ انْتِزَاعِ الشُّعْبِ وَكُلِّ انْتِزَاعِ الرِّيَا - مِنْ أَكْبَرِ الْمَصْلَكَاتِ
لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمَعْرِفَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ أَضَرِّ مَا يُبْنِي بِهِ الدُّعْرَاتِ
وَالْعَرَاكُ دَرَجَاتُهَا! وَأَنَّ الْأَصْطِفَاءَ عَلَى الصِّلَةِ وَالصَّبَامِ وَالْمَدْرَةِ
الْفَرَاغِ، لِلْمُتَخَلِّصِينَ بِمَنَازِلِ الزَّهْدِ وَالرَّيْعِ مِنْ أَنْفَعِ الطَّرِيقِ لَهَا.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿فَإِذَا نَاصِرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيَحْجِزُ رَيْكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
ضُرُوبِهَا وَمِنْ رَأْيَايَ الْبَلَى فَيَسْجَعُ وَأَطْرَافُ الْكِبَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ وَلَا تَكُنْ عَيْنِي إِلَى مَا مَنَعَنَا
بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرًا الْحَبْوَةُ الدُّبَا لَهْفَتْنَهُمْ فِيهِ وَبِذُّ رَيْكَ حَبْرٌ وَأَبْقَى ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ
بِالْمَصْلُوحِ وَأَصْطَفِرْ عَيْنًا لَا تَسْكَرُ رِزْقًا عَنْ رِزْقِكَ وَالْعَفِيفَةُ لِلْفَقْرِ﴾ [٥: ١٣٠ - ١٣٢].

الكلمات الثانية: ﴿وَأَنْذِرْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ. وَلَنْ
يُجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِمًا﴾ وَأَضْمِرْ فَسْكَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَهْمَ بِالْقُدْرَةِ وَالْعَبِيَّ يُرِيدُونَ
وَحَبْرًا وَلَا تَغْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ يُرِيدُ رِبْضَةَ الْحَبْوَةِ الدُّبَا وَلَا تُطْعِمَنَّ أَغْفَلًا قَلْبَهُ عَنْ وَكْرَانِ
وَأَنْفَعُ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْبًا ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَزْزَ قَدْ مَنَّا قَلِيلِينَ وَمَنْ مَنَّا فَلْيَكْفُرْ
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا تَبَاوَأَ كَالْمُهْلِ يَصْوَى
الْوَجُوهُ يَنْفَسُ الشَّرَابَ وَسَلَتْ مُرْتَفَعًا﴾ إِنَّ الدُّعْرَةَ أَسْمَاؤُا وَعِيَالُهَا الصَّلَاحَاتُ إِنَّمَا لَا
تُصْبِحُ أَجْرٌ مِنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿[الكهف: ٢٧ - ٣٠].

الكلمات الثالثة: ﴿ وَامْرِبْ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَذَلِكُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَبِيبًا نَدْرُهُ أَزْهَقُ أَذْنًا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُتَّبِعًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْكَافِبَةُ الْفَاسِدَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ وَبِوَسْمِ السَّيْرِ الْجِبَالِ وَرَمَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَغَرِصُوا عَلَى رَبِّكَ صَدًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُو أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ جَعْلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَذَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ فَمَا فِيهِ وَتُعْلَوْنَ بُيُوتُنَا مَا لِهَذَا الْحَكْمِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْمَسْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاشِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ ﴾ [الكهف: ٤٥ - ٤٩].

الكلمات الرابعة: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخِرُّطُ النَّسِيطُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِدَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاْتَمَرَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الْمَسْكُونَةَ وَاللَّهُ لَا يَجْعَلُ كُلَّ أُمَّةٍ قَلْبًا أَهْلًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ بَنَاهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا أَكْثَرُوا اللَّهَ وَذَرَوْا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَقْلُمُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُنْتَهُ فَلَئِنْ رَأَوْا أَمْوَالَكُمْ لَا تَقْلُمُونَ وَلَا تَقْلُمُونَ ۝ وَإِنْ كَانَتْ دُونَ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ يَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٨١].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَلِبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمَرْبِيِّينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كَلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ». وَقَالَ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ». ثُمَّ دَخَرَ الرَّجُلَ بَطِيلَ السَّفَرِ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ثُمَّ نَبَذَهُ إِلَى

السَّمَاءِ: « يَا رَبِّ، يَا رَبِّ! » وَمَنْعَهُمْ حَرَامَ، وَمَنْعَهُ حَرَامَ، وَمَنْعَهُ حَرَامَ، وَعَدَّيْ بِالْحَرَامِ؟ فَأَنَّى يَسْتَحَابُّ لِذَلِكَ؟^(١)

البيان الثاني: عَنِ الثُّعَيْنِ بْنِ يَتِيمٍ عَلَيْهِ قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: - وَأَهْوَى الثُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ - « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْعٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْعٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْشِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالزَّاعِمِ يَزْعِي حَوْلَ الْحَيِّ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ جَمْعِي، أَلَا وَإِنَّ جَمْعِي اللَّهُ مَخَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ »^(٢).

البيان الثالث: عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرُّبَا وَمُوكِلَهُ وَمُشَاهِدِيهِ وَكَاتِبِيهِ، هُمْ فِيهِ سَوَاءٌ »^(٣).

البيان الرابع: عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ عَلَيْهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « دَرَاهِمُ دِهَا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ بَيْتِهِ وَفُلَانِيْنَ زَنْيَةٌ »^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد، والطبراني. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير والسلسلة الصحيحة.



الرسالة الحادية والعشرون

في الاقتصاد

وراثُ التوسط نبي العيسى هو آية المرسل العزم. ذات التيسير هو
صفة المفترسين بدعاية الشيطان الاستهلاكية، العابرين للمنام
الانحصار الاستعماري القاروني

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿وَإِنْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالْأَسْفَلَىٰ وَلَا يُؤْخَرْ
بِذِكْرِهِمْ﴾ إِنَّ الْيَتَامَىٰ كَانُوا يَلْعَنُونَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
نَعِيشَ عَنْهُمْ أَيُّهَا رَحْمَتُ رَبِّكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
إِلَٰهَ غَيْرَكَ وَلَا تَسْطِطْ عَلَىٰ كُلِّ الْيَسِيرِ فَتَقَعُوا مُلُومًا نَّحْسُورًا﴾ إِنَّ رَبَّكَ بِسَطِّ الْأَعْيُنِ
بَصِيرٌ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِبَيَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿[الإسراء: ٢٦ - ٣٠]

الكلمات الثانية: ﴿إِنْ فَكَّرْتُمْ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُّسْرِئِينَ﴾ وَأَنْتُمْ مِنْ
الْكُفَرِ مَا إِنَّ مَفَازَهُمْ لَنُحْرًا بِالنَّصْبِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿وَلَتَنْبَغُ فِيهَا مَا تَلْبَسُ اللَّهُ الذَّارِ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْكُ نَفْسِكَ مِنْ
الْذُّنُبِ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ تَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ
مِنْ الْفُرُونَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَلَكِنَّكُمْ جَمْعًا وَلَا تَتَنَزَّلُ عَنْ دُونِهِمُ السَّعِيرُونَ ﴿
فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْ لَنَا مِمَّا آوَتْ
قُلُوبُنَا إِنَّمَا لَدُنَّا حَظٌّ عَظِيمٌ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَلَبَّكُمُ الرَّبُّ اللَّهُ عَزَّ

لَنْ دَامَكَ وَصَلَ صَلَاحًا وَلَا بُلْغَهَا إِلَّا الْكَثِيرُونَ ﴿٦٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَيَدَاوِي الْأَرْضِ
فَمَا كَانَ لَمْ مِنْ فِتْنَةٍ بِصُرُوفِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْتُسْتَبِيرِ ﴿٦١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَنَبَّؤُوا مُكَافَّةً بِالْآخِسِ بُولُوكُمْ وَبَكَاتُكَ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَتَقْدِيرُ لَوْلَا
أَنْ شَرَّ اللَّهُ عَيْنًا لَمْ تَسَفْ مِتًّا وَبَكَاتُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْأَذَارُ الْأَخْرَجُوا عَنْهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَصَى لِلْمُتَعَبِينَ ﴿٦٣﴾ [الفصل: ٧٦ - ٨٣] .

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن المقدم ابن عدي كُتِبَ، قَالَ: « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
« مَا مَلَأَ أَذْيَمِي دَعَاءً شَرًّا مِنْ نَظَرٍ بِخَشَبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتِ يَقْفُضُ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ
لَا مَخَالَفَةَ فَلَنْتَ لِبَطْنِهِ، وَتِلْكَ لِشَرَابِهِ، وَتِلْكَ لِنَفْسِهِ » (١) .

البيان الثاني: عن أبي هريرة قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ
مُحَمَّدٍ قُرُونًا » (٢) .

البيان الثالث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « نَعَسَ عَبْدُ الدُّنْيَارِ وَالذُّرْهَمِ
وَالْقُطَيْبِ وَالْحَبِيبِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخَطَ، نَعَسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَبَكَ
فَلَا انْتَكَشَ، طَوْبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانٍ قَرِيبَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ وَأَشَدَّ، مُغْبِرَةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ
كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّافَةِ كَانَ فِي السَّافَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ
يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » (٣) .

البيان الرابع: عن عبيد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خَصِيرٍ،
فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ: « مَا لِي وَمَا
لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا تَحْرَاكِبٍ اسْتَظَلُّتُ تَحْتِ شَجَرَةٍ ثُمَّ زَاغَ وَتَرَكْتُهَا ») (٤) .

البيان الخامس: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: « أَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ:
« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَائِبٌ سَبِيلٍ » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: إِذَا أُمْسَيْتُ

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(٤) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَالضَّيَّاءُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن
خباتك لولئك ^(١).

الرسالة الثانية والعشرون

في المُكْفِرَاتِ وَالْمُطَهَّرَاتِ

رأت الذِّكْرَ، والصِّلَةَ، والْفَيْحَامَ، والرَّاحَ، والمسَامَ لِبَنَاتِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ أمامَ الفَنَنِ، رأت الصِّلَةَ الصِّفَةَ اثْنَا هِجِ التَّحِي
نَصَبَ صَاحِبِهَا إِلَى جَمِيعِ مَنَاصِيحِ الْعِبَادَةِ الْإِسْمَاعِيَّةِ وَالْإِسْمَاعِيَّةِ
صِلَاحًا لِلنَّفْسِ وَاصِلًا لِلنَّبِيِّ كَمَا أَنَّ الصِّرْمَ هُوَ سَلَامُ الْعَزَمَةِ
الدَّاعِيَةِ، بِسَرِيقَةِ الرَّعْبَةِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿ فَإِذَا فَصَّلْتُمْ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فَبَسًا وَتَعُودُوا وَعَلَى
جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مُوقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

الكلمات الثانية: ﴿ أَنْزَلَ مَا أَرْجَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَنْبِئِ الصَّلَاةَ بِإِسْمِ
الصَّلَاةِ نَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾
[الحجرات: ١٥].

الكلمات الثالثة: ﴿ فَاسْتَنْبِطْ كَمَا أَمَرْتُ رَمَنَ قَابِ مَعَكَ وَلَا تَقْلُوبُوا إِلَهُكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَعِيدٌ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى اللَّهِِينَ ظَلَمُوا فَتَنَّاكُمُ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
أُولِيَاءَ ثُمَّ لَا تُعْزِرُونَ ۝ وَأَنْبِئِ الصَّلَاةَ طَرِيقَ الْقَهَارِ وَزُلُمًا مِنَ الْبَلَاءِ إِنَّ الْخَسْفَ
يَذْهَبُ السَّيْفَاتِ ذَلِكَ يَذْكُرُ لِلذَّاكِرِينَ ۝ وَأَمِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضْمَعُ لَجَرِ الْمُحْسِنِينَ ۝
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُوقِ مِنْ قَلْبِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا

يَسَّرَ أَجْبَسًا مِنْهُمْ وَأَنْجَحَ الَّذِينَ طَلَمُوا مَا أَنْفَرُوا وَجِبَ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٧﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ الْكُفْرِ بِطَلَمِهِمْ وَأَعْلَانِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٨﴾ [مؤد: ١١٧ - ١١٨]

الكلمات الرابعة: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَرُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا إِلَيْكَ الْيَزَانَ إِنْ أُرْسِلَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنْ لَأَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ بَوْمٍ مُّجْبِطٍ ﴾ ﴿ وَيَنْفَرُوا أَوْفُوا إِلَيْكَ الْيَزَانَ وَالْيَزَانُ بِالْغَيْبِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَنْسَابَهُمْ وَلَا تَعُوا فِي الْأَرْضِ مُنْتَفِينَ ﴾ ﴿ يَمِئْتُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ عَلَيْكُمْ بِمُجْبِطٍ ﴾ ﴿ فَالْأَرْضُ بِسَعْيِكُمْ أُصْغِرَتْ فَأَمَرَهُ أَنْ تَنْزِلَ مَا بَيْنَهُمْ أَبَاقُونَ أَوْ لَمْ تَعْمَلْ فِي أَمْرِنَا مَا نَنْزِلُ إِنَّكَ لَآتَى الْعِلْمِ الرَّبِيبُ ﴾ ﴿ قَالَ يَنْفَرُوا أَوْفُوا إِلَيْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَدَدْنِي مِنْهُ رَدًّا حَسَسًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنَهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [مؤد: ٨٢ - ٨٥]

الكلمات الخامسة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلَ عَظَمًا الْقَمَرُوتِ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَفِينِ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْحَكِيمِينَ الْقَبْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَعَبِينَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ فَجَسَدٌ أَوْ طَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا قَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيَعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢ - ١٢٦].

بيان الكلمات

بيان الأول: عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِي رَمَازٍ تَبَىٰ جَبَلٍ ﴿١١٧﴾ قَالَا: ﴿ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَتَى اللَّهُ خِيَمَتَنَا كُنْتُ، وَأَتَيْتُ السَّبْعَةَ اخْتَصَمْتُ فَمَحَا، وَخَالِي الثَّانِي بِخُلُقِي خَسَنَ » ^(١).

البيان الثاني: عَنْ حذيفة بن اليمان ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « بَشَنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ،

(١) إيراد أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، والبيهقي. وقال الترمذي: « حديث حسن صحيح ». وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وماله، ونفسيه، وولده، وجاهه؛ يُكْفَرُهَا الصَّيَّامُ، والصلوة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ^(١).

البيان الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصَّيَّامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ ضُومٍ أَخَذَكُمْ فَلَا يُرْفَتُ، وَلَا يَضْحَبُ، فَإِنْ سَابَهُ أَخَذَ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْخَتَانِ يَفْرَخُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرَخٌ، وَإِذَا لَفِيَ رُبُّهُ فَرَخٌ بِضُومِهِ» ^(٢).

البيان الرابع: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء، وعلبك بالجهاد فإنه زُهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وعلبك بذكر الله تعالى ربلاوة القرآن، فإنه دُوحُكُ فِي السَّمَاءِ وَدُكُوكُ فِي الْأَرْضِ» ^(٣).

البيان الخامس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سيروا هذا جُضْدَانِ. سَبَقُ الْمُتَّقِدُونَ» قالوا: وما الْمُتَّقِدُونَ يا رسول الله؟ قال: «الَّذَاكِبُونَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذَاكِبَاتُ» ^(٤).

(٢٠١) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه مسلم.



الرسالة الثالثة والعشرون

فِي دُعَاءِ الْأَمَانِ وَكَاشِفِ الْأَخْزَانِ

رَأَيْتُ أَهْلَ مَدِينَةِ الْمَسْتَعَاذَةِ بِاللَّهِ، تُرَكِّلُهُ، دَائِمَةً، وَاسْتِغْفَارًا، دُعَاءً،
وَاتِبِينَاهُ إِلَيْهِ نَعَالِي، فِيهِ كَلَّتْ رِلَتُ دَمِينٍ، هَرَأَانُ الضَّالِّفِينَ وَفُضْرَةُ
الْمُسْتَظْفِينَ، رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ طُرُوزَاتِ الشَّهْرِ النَّبِيِّ لَدَى غُبْنِي عَنْهَا
بِلُؤْمَرِي وَالْمُجَابِبَةِ.

الكلمات:

الكلمات الأولى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي تَلَقَّوْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَبِيرًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَجَّهَهُ فَوَضَعَهُ قَالَ الْمُخْتَصِمُونَ فِي اللَّهِ رُكْنٌ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾
وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ.
عَلَيْكُمْ سُلْطَانٌ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٢﴾ وَبَلَّغْ حُجَّتَنَا مَا نَبَّغْنَا
إِزْهَامِهِ عَلَى نَوْبِهِ رَفَعْنَا رُوحَنَا مِن تَرْجَمٍ مِّنْ لُّثَامٍ إِنْ رَّبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ [الأنعام: ٧٩ - ٨٣].

الكلمات الثانية: ﴿إِنَّمَا رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْطِي الْبَلَدَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسَخَّرِينَ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وُخْلَةً إِنَّمَا لَا يَجِبُ الْمُتَدَبِّرُ ﴿١٤﴾ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ
خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦].

الكلمات الثالثة: ﴿وَلَمَّا اسْتَغْفِرُوا مِنْكَ لَمْ يُؤْمَرْ إِلَيْهِ بِمُنْعِكُمْ شَفَاعَةً إِلَىٰ أَهْلِ سَكْرِ وَيَوْمَ كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُمْ وَإِنْ قُلْتُمْ لَا فَإِنَّهُ خَافَ عَلَيْكُمْ صَدَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ١٣].

الكلمات الرابعة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الكلمات الخامسة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١-٥].

الكلمات السادسة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْإِغْتِي ۝ وَالنَّفْثَاتِ﴾ [الناس: ١-٦].

بيان الكلمات:

البيان الأول: عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل العبادة الدعاء» ^(١).

البيان الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لنفس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء» ^(٢).

البيان الثالث: عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله خبيء خرمين يستغيث به إذا رفع الرجل إليه يديه أن يُرَدَّهُمَا صَفَرًا شَايِئِينَ» ^(٣).

البيان الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إله من لم يشأل الله تعالى بغضب عليه». وفي رواية: «من لا يدعوه الله بغضب عليه» ^(٤). وقالت عائشة رضي الله عنها: «سألوا الله كل شيء، حتى الشنشع، فإن الله تعالى إن لم يُسْمِعْهُ لم يُسْمِعْهُ» ^(٥).

(١) رواه الحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد، والترمذي، والحاكم. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وحسنه، واللفظ له. ورواه أيضًا ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط الشيخين». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٤) أخرجه أحمد، والترمذي، والبيهقي، والطبراني، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. ثم صححه الألباني في صحيح الجامع، بينما قال في السلسلة الصحيحة: «هو حديث حسن».

(٥) الشنشع: أحد شوبر الثعلبي، مما يعقد به. والحديث مرفوع على عائشة رضي الله عنها. وقد أخرجه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في شعبه، هكذا ابن السني رقم: (٣٤٠). وقد ضعف الألباني رفعه في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة. سيما حسن وقفه على عائشة رضي الله عنها.

البيان الخامس: عن الأغر المُرَني أَنَّ النبي ﷺ قال: « يا أيها الناس لوئلا إلى ربكم، قَرَأَ اللَّهُ إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ فِي الْيَوْمِ جَاءَهُ مَرَّةٌ » ^(١).

البيان السادس: عن الزبير بن العوام ﷺ أَنَّ النبي ﷺ قال: « مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسْرُهُ صَحْبَتُهُ فَلْيَكْبِرْ فِيهَا مِنَ الْإِسْفَاقِ » ^(٢).

البيان السابع: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: « خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مُعْطِرَةً وَعِلْمَةً سَدِيدَةً نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَذْرَكُنْهُ فَقَالَ: « قُلْ ». قُلْنَا أَقُلْ مُطِئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ ». قُلْنَا أَقُلْ مُطِئًا، ثُمَّ قَالَ: « قُلْ ». قُلْنَا: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمَعْرُودَيْنِ، جَبْنٌ قَمْسِي وَتَضْبِيعٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَكَبِّبْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » ^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي، والضعفاء. وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود، والضعفاء، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي صحيح الترغيب.



- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الأربعون النووية للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي.
- ٣ - حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت. ط. الرابعة: (١٤٠٥ هـ).
- ٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد. طبعة جديدة بتاريخ (١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م).
- ٥ - سنن أبي داود، دار إحياء التراث العربي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦ - سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧ - سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٨ - سنن الدارمي، دار الكتاب العربي: (١٩٨٧ م).
- ٩ - سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٠ - شعب الإيمان للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط. أولى: (١٤١٠ هـ).
- ١١ - صحيح البخاري، دار الفلم، بيروت: (١٩٨٧ م).
- ١٢ - صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي. بيروت. ط. الثانية: (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م).
- ١٣ - صحيح الجامع الصغير وزيادته. تأليف محمد ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي. بيروت/دمشق. ط. الثالثة: (١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م).
- ١٤ - صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، (١٩٧٢ م).

- ١٥ - المسند للإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامي: (١٩٨٥ م).
- ١٦ - الموطأ للإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (١٩٨٥ م).
- مراجع عامة:
- ١٧ - أبحاث في البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، منشورات الفرنان، الدار البيضاء.
- ١٨ - الأخطاء السنية للحركة الإسلامية بالمغرب، طبع دار الكلمة، منشورات « رسالة القرآن »، مكناس المغرب، (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م).
- ١٩ - بلاغ الرسالة القرآنية، تأليف فريد الأنصاري، منشورات ألوان مغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- ٢٠ - البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، تأليف فريد الأنصاري. منشورات ألوان مغربية، ط. دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. الأولى: (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م).
- ٢١ - تجديد أصول الفقه للدكتور حسن النوازي.
- ٢٢ - تفسير ابن كثير المسمى « تفسير القرآن العظيم »، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الفكر بيروت: (١٤٠١هـ).
- ٢٣ - تفسير الطبري، المسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. نشر دار الفكر، بيروت: (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م).
- ٢٤ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النعري، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب: (١٣٨٧هـ).
- ٢٥ - النوحيد أولاً يا دعاة الإسلام: (٢٥ - ٢٩) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط. ط. الثانية: (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م).
- ٢٦ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ١٠٣). نشر دار الشعب، القاهرة. ط. الثانية: (١٣٧٢هـ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

- ٢٧ - الحركات الاجتماعية: تحولات البنية وانفتاح المجال. بحث للدكتور إبراهيم البومبي غاتم، منشور على الموقع الإلكتروني: «إسلام أون لاين».
- ٢٨ - الحركات الاجتماعية المفهوم والتاريخ. للباحثين: (ربيع وهبة، وجوزيف شكلا)، بحث منشور على الموقع الإلكتروني:
<http://www.hic-mena.org/homea.htm>
- ٢٩ - زاهد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق الشيخين عبد القادر الأرنؤوط وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- ٣٠ - شرح الحكم العطائية، للشرنوبلي.
- ٣١ - شرح النووي على صحيح مسلم. نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط. الثانية: (١٣٩٢هـ).
- ٣٢ - عارضة الأحوذى بشرح منن الترمذي، لأبي بكر بن العربي المعافري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، نشر دار المعرفة بيروت.
- ٣٤ - الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب، دراسة في التدافع الاجتماعي. فريد الأنصاري. منشورات الفرقان الدار البيضاء. (سلسلة: اخترت لكم رقم: ٣) مطبعة النجاح الجديدة. ط. الأولى: (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ٣٥ - فتاويل الصلاة: مشاهدات في منازل الجمال، فريد الأنصاري، نشر دار الكلمة مصر/ المنصورة. ط. الثانية: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).
- ٣٦ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام الإمام نفي الدين بن نيمية. جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد. مكتبة المعارف بالرباط، المغرب.
- ٣٧ - مفهوم العالمية، تأليف فريد الأنصاري منشورات رسالة القرآن (رقم ١). طبع دار الكلمة، مكناس/ المغرب: (٢٠٠٦م).
- ٣٨ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس،

لإسماعيل بن محمد المجلوني الجراحي. تحقيق أحمد الفلاش، نشر مؤسسة الرسالة بيروت. ط. الرابعة (١٤٠٥هـ).

٣٩ - كليات رسائل النور تأليف بدیع الزمان معبد النورسي. ترجمة إحسان فاسم الصالحی، نشر دار (سبزلر) للنشر، فرع القاهرة ط ٢ بمصر (١٤١٢هـ/ الموافق ١٩٩٢م).

٤٠ - لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت.

٤١ - مجالس القرآن، تأليف فريد الأنصاري، منشورات ألوان مغربية، مطبعة النجاشي الجديدة، الدار البيضاء.

٤٢ - مجمع الزوائد للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ).

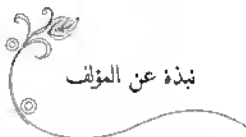
٤٣ - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس. تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل. بيروت، ط: الأولى (١٤١١هـ/١٩٩١م).

٤٤ - المفردات في غريب القرآن. تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق محمد سيد كيلاني. طبع شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: (١٣٨١هـ/١٩٦١م).

٤٥ - المقاومة المدنية: مدارس العمل الجماهيري وأشكاله، للدكتور عبد الهادي خلف. نشر مؤسسة الأبحاث العربية (ش.م.م) بيروت، لبنان.

٤٦ - الموافقات للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) بشرح الشيخ عبد الله دراز. نشر دار المعرفة. بيروت. ط. الثانية: (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٤٧ - ميثاق العهد في مسائل التعرف إلى الله. تأليف فريد الأنصاري. مطبعة أنفوبرانت فاس/ المغرب.



نبذة عن المؤلف

- ولد بإقليم الرشيدية جنوب شرق المغرب سنة: (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م).
- حاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب محمدية - المغرب.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا « دكتوراه السلك الثالث » في الدراسات الإسلامية تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.
- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين) « الماجستير » في الدراسات الإسلامية - تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.
- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة السلطان محمد ابن عبد الله، كلية الآداب - فاس / المغرب.
- صدر له من الدراسات العلمية:
- ١ - أبحاث في البحث في العلوم الشرعية: محاولة في التأصيل المنهجي، نشر دار السلام، القاهرة (٢٠١٠ م).
- ٢ - الأخطاء السنية للحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الكلمة، مكناس / المغرب، (٢٠٠٧ م).
- ٣ - بلاغ الرسالة القرآنية، نشر دار السلام، القاهرة : (٢٠٠٩ م).
- ٤ - التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة: (٢٠١١ م).
- ٥ - جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح، نشر دار السلام، القاهرة: (٢٠٠٩ م).

- ١ - سیدہ امینہؓ کی اسلام پر تصدیق و تصورات بشریہ دار السلام، المدینہ (١٩٠٠ء)
- ٢ - فقہ اسلامی و تحریک اسلامیہ بصرہ: حواشی و تصانیف لاجلہ، بشریہ دار السلام، المدینہ (١٩٠٠ء)
- ٣ - الخطبہ خطہ السیدہ لکھنے سے تحریک اسلامیہ کی دعوت اسلامی، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٤ - ذیل اسلام، کتاب فی تفسیر اصحابیہ اسلام، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٥ - مسائل الفکر من الفتنہ الی تکلیف بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٦ - اصطلاح الاحادیث عند الشافعی (ترویج و تکرار)، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٧ - مدائح حمودہ برسات شمسہا، تصانیف لکھنے رسائل حسن لدیج الفوائد الثمینیہ، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٨ - تصانیف تصانیف حسنہ، تصانیف رسائل و تصانیف (١٩٠٠ء)
- ٩ - سیدہ، تصانیف، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٠ - مقالہ تفسیر فی مسئلہ تفسیر الی اللہ، بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١١ - رسائل الاصلیہ الاصلیہ
- ١٢ - تفسیر تفسیرہ روایت بشریہ دار السلام، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٣ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٤ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٥ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٦ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٧ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٨ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ١٩ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٠ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢١ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٢ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٣ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٤ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٥ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٦ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٧ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٨ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٢٩ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)
- ٣٠ - سیدہ، القاہرہ (١٩٠٠ء)

- ١ - دیوانہ انتہائی شعر، ستر دہائی قلمبرد (١٩٩٦ء)۔
- ٢ - کعبہ المصوب: روایتِ سحر دہائی قلمبرد (١٩٩٦ء)۔
- ٣ - الزہد، شعر سمیت آغوشِ شب (١٩٩٧ء)۔
